الاسلام وتحديات العصر

الكتاب الخامس عشر

المسلمون وتحديات العصر

دكتور عبد الغني عبود
كلية التربية جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني / القاهرة
ص ب ١٣٠٠ - ت ٧٦٠٥٢٣

الطبعـــة الأولى

مايو ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ــ « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، الملك القدوس ، العزيز الحكيم . هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (الجمعة ــ ٦٢ : ١ ــ ٤) .

* * *

ــ « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ، لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد ، وكن من الشاكرين . وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (الزمر ــ ٣٩ : ٦٥ ، ٦٦) .

* * *

ــ « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (الاسراء : ١٧ : ٧٣ ــ ٧٥) .

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible] (۵۷ [illegible] : ۷۱ [illegible]) .

* * *

محتويات الكتـــاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذه السلسلة

ليست هذه السلسلة سلسلة دينية بالمعنى التقليدى ، كما يبدو للوهلة الأولى من عنوانها ، وان كان الدين الاسلامى يعتبر محورها الأساسى .

ولقد كان الدافع الى اصدار هذه السلسلة ، بعيدا كل البعد عن الدين ، قريبا كل القرب من العلم الخالص ... فى مجال التربية ، الذى تخصصت فيه ، وحوله تدور قراءاتى ودراساتى ، وما أقوم به من أبحاث .

وصحيح أن الدين ليس حكرا على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والأدب واللغة والتربية ، ولكن المتخصصين فيه – بالضرورة – أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه لابد أن يكون عطاؤهم أقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع الى اصدار هذه السلسلة الى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا (سمنار) الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد أحد الدارسين تسجيل رسالة عن (التربية الاسلامية) ، يحصل بها على درجة الماجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء – الأساتذة – عليه بأنه لا يوجد – للأسف – تربية اسلامية(١) .

---

(١) الف الزميل كتابا فى (التربية الاسلامية) ، بعد حوالى أربع سنوات من قوله هذا ، وذلك عندما صار (الحصان الاسلامى) ، هو (الحصان الرابع) ، فى الساحة العالمية .. كما هو واضح اليوم .. بحمد الله .

ولم يكن بين يدى الرد ليلتها على الزميل ، ولا قدرة — بالتالى — على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليــل .

ورجعت الى ما كتب عن (التربية الاسلامية) ، فى الكتب والمجلات العلمية ، فلم أجد فيما كتب متصلا بالتربيــة الاسلامية ، سوى ... العنوان ، رغم أن بعض ما قرأته كان لمفكرين اسلاميين ... كبار .

وكان على أن أعتمد على الله وعلى نفسى ، فى التصــدى لهــذه المغالطة العلمية ، التى يقول بها بعض رجال التربية عن جهل ، ويسكت عنها البعض الآخر عن قصور .

وجمعت المــادة العلمية فيما يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هــذه المــادة ، وكتبت — بالفعل — على أساسها — كتابا متكاملا عن (الأيديولوجيا والتربية ، فى الاسلام) ، لم يكن ينقصه سوى أن يدفع به الى المطبعة ، ليرى — بعدها — النور ، ويبث — بعدها — نور الحقيقة فى قلوب الجاهلين بهــا ، والمتغافلين لهما .

ثم عدت الى نفسى ، وقلت لهــا : ولكن المسئولية أمام الله أكبر من هذا الجهد الذى بذلته ، فقد كان لابد — فى نظرى — من مزيد من البحث .

وقلت لنفسى أيضا : ولكن هــذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جدير بأن يرى النور .

واستقرت نفسى على أن الخص هــذا الذى كتبتــه ، فى ستين صفحة ، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجــلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ .

ثم استقرت — بعد ذلك — على نشر هذا المقال ، مع مقالين آخرين ، ظهرا فى مجلات علمية أخرى ، عن (التربية الاسلامية) ، فى كتاب يصدر قريبا ، تحت عنوان (مقولات فى التربية الاسلامية) [1] ، نظرا لأن كل مقال من المقالات الثلاثة ، قد صدر — حيثما صدر — مليئا بالأخطاء المطبعية ، التى أفسدت المعنى الذى كنت أريده فى بعض المواقف افسادا .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهومى عن الاسلام ، وعن (الشخصية القومية الاسلامية) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن (التربية الاسلامية) .

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضوء (الشخصية القومية) لذلك المجتمع ، وبدون تلك (الشخصية القومية) ، يكون نظام التربية — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقا فى الهواء .

وفى ضوء تلك (الشخصية القومية) درست — وتدرس — التربية فى البلاد الرأسمالية عموما ، وفى كل بلد منها ، كما تدرس التربية فى البلاد الشيوعية عموما ، وفى كل بلد منها .

وفى ضوئها كذلك ، درست — وتدرس — التربية المسيحية ، والتربية اليهودية .

أما التربية الاسلامية .. فلم تجد — حتى الآن — فى حدود علمى — من درسها هذه الدراسة العلمية المنهجية .

---

(١) صدر الكتاب بالفعل ، تحت عنوان (فى التربية الاسلامية) ونشرته (دار الفكر العربى) سنة ١٩٧٧ ، وضم الى جانب المقال المذكور فيه ، مجموعة مقالات ، كانت قد نشرت فى مجلات علمية مختلفة ، بمناسبات مختلفة ، تدور كلها حول هذا (المحور) ، الذى اتخذ (عنوانا) للكتاب .
وقد صدر بعده كتابان على نفس الطريق ، نشرتهما (دار الفكر العربى) أيضا ، فى منتصف سنة ١٩٨٢ ، أحدهما ، هو (التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى) ، والثانى هو (الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته « أيها الولد ») .

ومن ثم كان هناك من يقول بأنه لا توجد تربية اسلامية ، لأن الشخصية الاسلامية اليوم ، شخصية ، لا هى الى الاسلام تنتمى ، ولا هى عن الاسلام تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية شرا على الاســلام ، وخطرا عليه ، أكبر من الشر والخطر الذى يستطيعه أعــداء الاسلام أنفسهم .

ومن ثم فالشخصية القومية الاسلامية المعاصرة ، لا يمكن أن تكون هى المدخل الصحيح لفهم التربية الاسلامية ، وانما المدخل الصحيح لها ، هو تلك الشخصية القومية الاسلامية ، فى عصور الاسلام الأولى .

ولو عاد المسلمون الى فهم الاسلام من جديد ، كما يجب أن يفهم ، لعادوا الى أنفسهم ، وعادت اليهم قوتهم وعزتهم .. وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بهــا ، أكدت لى أن الاسلام قادر على مواجهة (تحديات العصر) ، وأن المسلمين — بالاسلام — قادرون على مواجهة تلك التحديات ، وأنهم — بدونه — عاجزون .

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة .. تربويا خالصا .

ولكنه هدف .. دينى أيضا .

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الاسلام الكثير ، وهم يعرفون عنه ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم ، من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة .

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة .. ذات البريق — الأخاذ — الكثير والكثير .. لأن غيرهم أراد ذلك لهم .. بفعل عوامل متعددة كذلك .

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسلة هى : أن تضع الاسلام ـ بجوانبه المتعددة ـ وجها لوجه ـ أمام النظم والفلسفات المعاصرة .. لنري : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر؟

وعندما يكتشف المسلم ، أن اسلامه هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، ان هى الا ألوان من العلاج مؤقتة ـ مفلسة ، فانه ـ لابد ـ سيعود الى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه .. وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ .. الخادع .

وعند هـذا الحد ، تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت ، على أنهـا ليست سلسلة دينية بالمعنى التقليدى .

ومن أراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبـه معروفـة ، وكتـابه معروفون .

ولكن المسلمين الذين أكتب هـذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين ـ منذ البداية ـ لأن يضيعوا وقتا فى قراءة تلك الكتب الدينية ، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الاسلام ـ كما فهموه ـ لا يستحق أن يضيعوا فيه وقتا ، يضيعون أكثر منـه فى المذاهب ذات البريق .. الخـداع .

وبعد اتضاح معالم (الشخصية القومية) الاسلامية ، مقارنة بمعالم (الشخصيات القومية) الأخرى ، التى نراها فى ظـل الأيديولوجيات المعاصرة ، من زوايا عديدة ، وذلك خلال هـذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فألخص ما وصلت اليه ، وأتخذ منه منطلقا للحديث عن (التربيـة الاسلامية) .

والجهد الذى يجب أن يبذل فى اعداد هذه السلسلة كبير ، والجهد الذى يجب أن يبذل — بعدها — فى الحديث عن (التربية الاسلامية) كبير .. ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الاسلامية — بعــدها — فى نظــرى — أكبر وأعظم ، وفى سبيله تهون الصعاب ، وعلى الله قصــد السبيل .

دكتور عبد الغنى عبود

القــاهرة فى : — مايـــــو ١٩٧٦م .
— جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ .

وهـــذا الكتـــاب ... الخامس عشر

بدأت رحلتى مع هذه السلسلة ، منذ عشر سنوات تقريبا ، حيث كان التفكير فى اصدار هذه السلسلة ، تمهيدا لاصدار كتاب عن (التربية الاسلامية) ، أيا كان عنوانه [1] ، كنت قد ألفته ، ثم رأيت أن ألخصه ، وأنشره فى صورة مقال فى مجلة علمية متخصصة ، تمهيدا لفهم الاسلام ذاته ، قبل التفكير فى تأليف كتاب عن (التربية الاسلامية) ،على نحو ما وضحت فى تقديمى للسلسلة ، سواء فى هـذا الكتاب [2] ، أو فى كل كتاب صدر من كتبها ــ فقد تعمدت أن يكون تقديم السلسلة ، هو نفس التقديم ، من كتابها الأول ، إلى كتابها الأخير ، ولذلك كان تاريخ تقديم السلسلة (جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ ــ مايو ١٩٧٦ م) متفقا مع تاريخ تقديم الكتاب الأول من كتبها ، وبعيدا كثيرا عن تاريخ تقديم كتابهـا الأخير ــ هـذا الكتاب ــ مثلا .

كان هدف السلسلة ــ منذ البداية ــ واضحا اذن ، وهو الوقوف على (الاسلام) ، من مختلف جوانبه ، لبناء كتاب (التربية الاسلامية) على ما يتم التوصل اليه ، عن الاسلام ، فالتربية لا تقوم ــ حين تقوم ــ فى فراغ ، وانما هى (نبتة) اجتماعية بالدرجة الأولى . ورغم هـذا الهدف العلمى الأكاديمى ، حققت السلسلة أهدافا أخرى فرعية كثيرة ، لا تقل أهمية عن الهدف الأصلى ، من بينها اظهار الاسلام ، نظاما قادرا على مواجهة تحديات العصر ــ على نحو ما اتخذت السلسلة عنوانا لها .

والمتتبع للسلسلة ، منـذ بدايتها سنة ١٩٧٦ وحتى اليوم ، يرى ــ بسهولة ــ أنها قـد اتخذت مسارا محددا ، يحقق الهدف التربوى

---

(١) استقر العنـوان على (التربية الاسلامية وتحديات العصر) ، لأسباب كثيرة ، ليس هنا مجال ذكرها ، وقـد تمت بكتابة جزئه الأول ــ النظـرى ، بينما ترك الجـزء الثانى ــ العملى أو التطبيقى ، للأخ الدكتور حسن عبد العـال ، وهو يقوم بانهـائه الآن ، ليدفع بالكتاب الى المطبعة ، فى وقت نأمل أن يكون قريبا .

(٢) أراجع الى ص ٧ ــ ١١ من الكتاب (تقـديم السلسلة) .

— الهدف الأول والأساسى — بالدرجة الأولى . لقد بدأت بالانسان من الداخل — ان صح هـذا التعبير ، فتحدثت عن (العقيدة الاسلامية) — الكتاب الأول ، وعن فكرة الألوهية فى الاسلام ، وفى غيره — موضوع الكتاب الثانى .

ومن (داخل) الانسان ، أخـذت السلسلة تنتقـل الى بعـده (الميتافيزيقى) ، فكان (الاسلام والكون) ، موضوع الكتاب الثالث وعنوانه ، وكان التصور الاسلامى للانسان فى الكتاب الرابع ، وكانت فكرة اليوم الآخر ، موضوع الكتاب الخامس ، وكان الحديث عن أنبياء الله فى الكتاب السادس .

ثم أخذت السلسلة — بعد ذلك — تغادر الانسان ، الى المجتمع الذى يعيش فيه ، فانتقلت الى عدد من القضايا ، التى تربط بين الانسان فردا ، وبين المجتمع الذى يعيش فيه ، والعالم الذى يحكم حياته وحياة مجتمعه ، فى الكتاب السابع (قضية الحرية ، وقضـايا أخرى) ، ثم انتقلت الى مجتمعه الأصغر — الأسرة ، فى الكتاب الثامن ، ثم انتقلت الى ديناميات مجتمعه الذى يعيش فيه فى الكتاب التاسع ، ثم انتقلت الى (الملامح العامة) لذلك المجتمع ، فى الكتاب العاشر ، ثم الى حضارة الاسـلام فى الكتاب الحادى عشر ، ثم الى دولة الاسلام فى الكتاب الثـانى عشر .

ومن الانسان المسلم ، فردا وجماعة ومجتمعا ونظاما وحضارة ، ننتقل الى غير المسلمين فى عالمنا المعـاصر ، وأخطرهم على الاسـلام والمسلمين ، اليهود — موضـوع الكتاب الثالث عشر ، والمسيحيون — موضوع الكتاب الرابع عشر .

على أن الخطر عندما يتهدد الانسان — فردا أو جماعة — انمـا يتهدده من داخله — أى من شيطانه فردا ، ومن نظامه جماعة . ومن ثم كانت السلسلة ستظل ناقصة ، ما لم تختتم — فى كتابها الخامس عشر — هذا الكتاب — بالحديث عن المسلمين أنفسهم ، ومن ثم كان (المسلمون

وتحديات العصر) ، هو العنوان المختار ، لهذا الكتاب الأخير ، من كتب السلسلة .

ويتوزع هـذا الكتاب على خمسة فصول ، يبدأ الفصل الأول منها (الاسلام والمسلمون) بالحديث عن الاسلام ـ الوحى ، أو الاسلام كما نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وبه حول الأعراب من حال الى حال .. وقياس المسلمين اليوم عليه ، لنرى : الى أى مدى يمكن أن يكون المسلمون اليوم ـ بالفعل ـ مسلمين ؟

ثم يدور الفصل الثانى حول (المجتمع الاسلامى) ، لنقف ـ من خلاله ـ على (صورة) المجتمع الاسلامى المعاصر ، ومدى اقترابهـا من المجتمع الاسلامى ، كما أراده الاسلام ـ الوحى .

ثم يدور الفصل الثالث حول (الفرق الاسلامية) ، ليتحدث عن صلة هـذه الفرق الاسلامية ، التى ظهرت مع عصور الاسلام الأولى ، بالاسلام ـ الوحى ، ومدى تعبيرها عنه ، فيتحدث عن نشأة الفـرق فى الاسلام ، وعن الشيعة والسنة ، وعن فرق الشيعة ، ومذاهب السنة ، وغيرها وغيرها ، مما هو واقع حياة المسلمين .. اليوم .

ثم ينتقل الكتاب ، فى الفصل الرابع (المسلمون وتحديات العصر) ، الى الاجابة على السؤال الذى يفرض نفسه على كل مهتم بأمر الاسلام ، سواء كان مسلما أو غير مسلم ، وهو : هل الاسلام هو المسئول عن تخلف المسلمين اليوم ، أم أن بعد المسلمين عن الاسلام ـ الوحى ، هو المسئول عن هـذا التخلف ؟

ولا يقف الفصل عند حـد الاجابة على السؤال المطروح ، رغـم خطورته ، بل انه يتعدى ذلك الى محاولة وضع اليد على امكانات التقدم فى العالم الاسلامى المعاصر ، وعلى سبل استغلال هـذه الامكانات ، بازالة العقبات ، التى تعترض طريق هذا التقدم .. الاسلامى .

ثم يأتى الفصـل الخامس ـ والأخير ـ فيتحـدث عن مستقبل الاسلام ، على نحـو ما تسفر عنه فصول الدراسة كلها ، اضافة الى

حاجة البشرية اليوم اليه ، أكثر من أى وقت مضى ، وهو فى الحالين حديث لا يقف عند حد الاعتماد على الحدس ؟ والأمنيات الطيبة ، بل يتعدى ذلك الى (استقراء) الأحداث ، فى الشرق وفى الغرب ، وفى داخل العالم الاسلامى ، اضافة الى إعادة فتح صفحات التاريخ الاسلامى الماضى ، والتاريخ لمن يقرؤه ، خير مؤشر على المستقبل .

ويختم الكتاب ، بما ختم به كل كتاب سبق من كتب السلسلة ، بصفحات تحمل عنوان (وللمسلم أن يفخر باسلامه) ، تقول ـ باختصار ـ ان المسلم اليوم ، رغم الجهل والتخلف والفقر ، ورغم الاستبداد والظلم ، من حقه أن يفخر باسلامه ، الذى تبدو حاجته اليوم اليه ، أكثر مما بدت فى أى وقت مضى ، والذى بدأ يعود اليه ، بعد أن ضاع بدونه ، والذى لولاه ، حيا فى ضميره ، ما كان له اليوم وجود ، بعد الحملة الشرسة ، التى شنت عليه ، من كل مكان فى الأرض ، فلم تردم هذه الحملة الا قوة .

وهكذا يكون الكتاب ، هو كتاب السلسلة الأخير بالفعل ، الذى لم تكن السلسلة لتكتمل بدونه .

يضاف الى ذلك ، أنه ـ بفصوله التى استعرضناها ـ هو الكتاب الممهد ـ بالفعل ـ لكتاب (التربية الاسلامية وتحديات العصر) ، الذى كتبت هذه السلسلة كلها على طريق الاعداد له ، على نحو ما سبق ـ لأنه يهتم بأوضاع المسلمين الراهنة ، التى يجب أن تكون هى البداية ، فى التفكير ، فى أية تربية اسلامية معاصرة ، اضافة الى اهتمامه بالاسلام ـ الوحى ، الذى يجب أن يكون الطريق المسلوك ، الى أية اصلاحات ترى للتربية اليوم .. فى البلاد الاسلامية .

وأسأل الله سبحانه ، أن يكون هذا العمل خالصا له ، مقبولا عنده ، وأن ينفع به ، انه نعم المولى ، ونعم النصير .

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : ـ ربيع الثانى ١٤٠٥ هـ .
ـ يناير ١٩٨٥ م .

الفصل الأول

الاسلام .. والمسلمون

تقـــديم :

عنوان غريب ، يبـدأ به الفصـل الأول ، من الكتاب الأخير ، من كتب هـذه السلسلة (الاسلام ، وتحديات العصر) ،ولكنه ــ رغم غرابته ــ ضرورى ،حتى نقف على سر ما يعيش فيه المسلمون اليوم : من فقر وجهل ومرض وتخلف ، ومن هوان على النفس وعلى الغير .

ويحلو للغربيين أحفاد قدامى الصليبيين ، وحملة راية الصليب من بعدهم ،أن يعزوا تخلف المسلمين اليوم ، الى الاسلام ، مع أنهم أعلم الناس ، ان حياة المسلمين اليوم ، هى نتيجة مباشرة لبعدهم عن الاسلام أسلوب حياة ، وان تمسك به بعضهم ، شعائر وعبادات وطقوســا ، ومع أنهم يعلنونها حربا شعواء ، على كل من (نادى) بالاسلام لأسلوب حياة ، متهمين اياه بالتعصب والتطرف والجمود ، وغيرها من الصفات ، التى صار مألوفا سماعهــا من الاذاعة والتلفزة ، وقراءتها فى الصحف والمجلات والكتب وغـيرها ، ومع أنهم ــ أى الصليبيين ــ كانوا هم الذين خططوا ــ بوسائل متعددة ــ ليصـل المسلمون الى ما وصلوا اليه اليوم ، من بعد عن الاسلام كأسلوب حياة ، ومن بعد عن أسباب التقدم والنهوض أيضا ، حتى يتمكنوا ــ فى النهاية ــ من القضاء على الاسلام كدين يماشى ، بعد أن فشلوا فى القضاء عليه بقوة السلاح ، وبالغلبة العسكرية .

وحتى نضع أيدينا على موطن الداء فى حياة المسلمين اليوم ، فاننا يجب أن نضع اليد على حياتهم ، لنرى مدى قربها ــ أو بعدها ــ عن

الاسلام ، كما يجب أن يعاش ، وكما عاشه المسلمون بالفعل ، فى حياة المسلمين الأولى ، فكانت عزتهم وقوتهم ، وكان سيرهم فى طريق الحضارة أيضا — مما يمكننا — فى النهاية — من اقتراح الحلول الاسلامية ، لمشاكل المسلمين الراهنة .

معنى الاسلام :

فى الكتاب الأول من كتب هذه السلسلة ، عن (العقيدة الإسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة) ، رأينا أن « الله سبحانه وتعالى ، هو جوهر العقيدة الاسلامية ، ومحورها الأساسى » (١) ، بمعنى أن « عقيدة الاسلام » « تتلخص » « فى مطلق وحدانية الله ، خالق الكون ومالكه » (٢) .

وليست وحدانية الله عملا يقف عند حد الاعلان عن ذلك باللسان ، أو الاقرار به فى القلب ، بل انه يتعدى ذلك الى تسليم الانسان — أو اسلامه نفسه — تماما — وعن طواعية واختيار — لله سبحانه ، فى كل ما يسلك ، فان « (الاسلام) معناه ، الانقياد والاطاعة والرضا ، والمسلم هو الذى يذعن لأمر الآمر ، ونهى الناهى ، اذعان رضى » (٣) ، ومن ثم « ينشأ عنها انقلاب فى الذهن ، وفى الحركات والأعمال » (٤) ، يؤدى فى النهاية الى الارتقاء بالانسان ، الى مستوى المثل الأعلى الذى ينشده ، وهو الله سبحانه — أو على حد تعبير الرسول الكريم ،

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٦١ .

(٢) الدكتور احمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان امين — دار الشروق — ١٩٧٥ ، ص ٥٢ .

(٣) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية — دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٢٥٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٥) ، وذلك من خلال (مراقبة) المسلم لربه ، فى كل ما يسلك — أو على حد تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » (٦) .

وتحدد معاجم اللغة (أصل) الاسلام فى الفعل المجرد (سلم) ، الذى يتحول الى (أسلم) ، عندما يزاد بالهمزة .

وتحدد معاجم اللغة للفعل (سلم) معانى متعددة ، أقربها لما نحن بصدده ، « (سلم) من الآفات ونحوها — سلاما وسلامة : برىء » (٧) .

وينبنى (الاسلام) — عند اللغويين — على الفعل (سلم) ، ومصدره (سلام) و (سلامة) ، حيث يرى صاحب (مختار الصحاح) — مثلا — أن « (السلم) السلام ، وقرأ أبو عمرو (ادخلوا فى السلم كافة) ، وذهب بمعناها الى الاسلام » (٨) — ولو أن ما ذهب اليه أبو عمرو — عند صاحب (مختار الصحاح) — يحمل معنى واحدا من معانى (السلم) ، على نحو من الأنحاء ، على نحو ما سنرى ، ولكنه لا يدل على كل معانى الكلمة .

---

(٥) الشيخ الامام العلامة ، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد العينى : عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى — المجلد الحادى عشر — الجزء الثانى والعشرون — دار الفكر — بيروت ، ص ١١٨ .

(٦) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الأول — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨هـ ، ص ٢٠ (من كتاب الايمان) .

(٧) المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — القاهرة — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ، ص ٤٤٨ .

(٨) مختار الصحاح ، للشيخ الامام ، محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر — ١٩٦٩هـ — ١٩٥٠م ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

ويحمل (الاســـلام) على عمومه معنى ((الانقياد)) (٩) ، حيث يقال : « أسلم الى : انقاد To yield, surrender, submit » (١٠) ، حيث يعني الاسلام (انقياد) الانسان المسلم لربه ، وتسليم أمره له ، والتزامه بكل ما أمر به سبحانه ، فى محكم كتابه ، وعلى لســـان نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم .

أما فى اللغات الأخرى ، غير العربية ، فان ((الاسلام) ، لا يعنى أكثر من ((الاسلام) (١١) ، أو « الايمان بدين محمد » ، أو « الاستسلام للمسلمين » (١٢) — هكذا ، أما (المسلم) ، فهو « التابع لمحمد » (١٣) ، وبالتالى فهو « المحمدى » (١٤) — والمسجد Mosque ، هــو « المكان الذى يعبد فيه أتباع محمد ربهم » (١٥) — هكذا .

ورغـم ما فى بعـد الاســـلام — كما يفهمه الغربيون — عن (حقيقة) الاسلام ، فانها تدلنا على معنى الاسلام عندهم ، لأنهم عندما يتعاملون مع الاسلام ، أو مع المسلمين ، أو مع العالم الاســـلامى ،

---

(٩) المعجم الوسيط — الجزء الأول (المرجع الأسبق) ، ص ٤٤٨ .

(١٠) الياس انطون الياس ، وادوار ا. الياس : القاموس العصرى ، عربى / انكليزى — الطبعة التاسعة — المطبعة العصرية بمصر — ١٩٧٠ ، ص ٣١٢ .

(11) SAISSE, L. & CHEHATA, I. : Vocabulaire Francais-Arabe ; Longman, Green and Co., London, New-York, 1951, p. 202.

(12) The Concise Oxford Dictionary, of Current English, Edited by : H. W. FOWLER and F.G. FOWLBR, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959, p. 633.

(13) WEST, MICHAEL PHILIP and ENDICOTT, JAMES GARETH : The New Method English Dictionary ; Twenty-fourth Impression ,with Illustrations, Longman Group Ltd., London, 1976, p. 212.

(14) The Concise Oxford Dictionary , of Current English ; Op. Cit., p. 771.

(15) Ibid., p. 771.

انما يتعاملون على أساس فهمهم هم ، لا على أســاس فهم المسلمين انفسهم ، ومن ثم كان مفيدا الوقوف على (ما يرونه هم) للاســلام والمسلمين من معان ، وسوف يتضح من فصول الكتاب ، مدى هــذه الفائدة ، للدراسة كلهــا .

واذا كان الغربيون يفهمون الاسلام ، على أنه يعنى (الاستسلام) للمسلمين ، على نحو ما رأينا فيما سبق ، أو (الخضوع) لمحمد صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما سبق أيضا ، لأنه بهون هذا (الاستسلام) للمسلمين ، لا يتحقق للانسان ســلام ، فى زعمهم .. فانهم معذورون فيما يرونه ، لأنهم هكذا يفهمون الاسلام منذ ظهر ، ولأن هذا الفهم قــد أتاهم ، من خلال الكنيسة الكاثوليكية ، التى ما هانت فى قلوب متبعيها ، الا منذ ظهوره ، فلقد صارت الكنيسة « فى واقع الأمر ، دولة أوربية ، فوق الدول جميعــا ، تضطلع بشئون العبــادات والأخــلاق والتعليم والزواج والحــروب العامة والحــروب الصليبية ، والموت ، والوصايا ، لنصف سكان قارة من القــارات ، وتشترك اشتراكا فعليا فى تصريف الشئون الزمنية » (١٦) ـــ ثم اذا بها بعد ظهور الاســلام ، قــد دالت دولتها ، ودالت دولة المسيحية ذاتها معها ، فانه « لم يكد دين المسيح يجنى ثمار انتصاراته على الامبراطورية الوثنية ، وعلى الشيع المسيحية الملحــدة ، حتى انتزعت منه أعظم ولاياته ، عزة على الدين ، واستمساكا به ـــ انتزعهــا منه ، فى يسر مروع . دين يحتقر فلسفة الالهيات المسيحية ، والمبادىء الأخــلاقية المسيحية . نعم ، ان البطارقة ظلوا فى كراسيهم بأنطاكية وبيت المقدس والاسكندرية ، بفضل تسامح المسلمين ، ولكن مجد المسيحية قــد زال ، من تلك الأقاليم ،

---

(١٦) ول ديورانت : قصة الحضارة ـــ الجزء الخامس ، من المجــلد الرابع (١٦) (عصر الايمــان) ـــ ترجمة محمد بدران ـــ الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية ـــ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ص ٦٨ .

وكانت المسيحية الباقية منها ، مسيحية مارقة قومية » [١٧] — على حد تعبير ول ديورانت .

أما المسلمون ، فانهم يفهمون الاسلام (تسليما) اختياريا لله سبحانه ، تسليما يتحقق من خلاله (سلام) الانسان المسلم مع نفسه ، و (سلامه) مع عالمه الذى يعيش فيه ، بجانبيه الفيزيقى والميتافيزيقى ، وببعديه الدنيوى والأخروى .

وما دام هذا هو الاسلام ، فانه لا يمكن أن يكون ذلك الدين الذى نزل به الوحى الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وحده ، وانما يكون كل دين نزل من السماء ، منذ كانت الديانات السماوية ، هداية للبشرية الضالة ، الى طريق الله المستقيم ، فانه « رغم تعدد الأنبياء ، وتعدد القوم الذين أرسلوا اليهم ، واختلاف ظروف الزمان والمكان بالنسبة لكل منهم ، فقد كانت الرسالات — فى جوهرها — رسالة واحدة » [١٨] ، تدعو الى تسليم الأمر لله وحده ، على النحو الذى فعله الاسلام — خاتم هذه الديانات .

ولذلك ختم القرآن الكريم ، حديثه عن أنبياء الله ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فى السورة التى خصصها لهم ، وسماها باسمهم (الأنبياء) ، بقوله سبحانه :

— « .. ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » [١٩] .

---

(١٧) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع) (١٤) (عصر الايمان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ ، ص ٣٦٣ .

(١٨) دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله ، والحياة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٢٨ .

(١٩) قرآن كريم : الأنبياء — ٢١ : ٩٢ .

ويعلق الشهيد سيد قطب ، على هـذه الآية بقوله : « وفى نهاية الاستعراض ، الذى شمل نماذج من الرسل ، ونماذج من الابتلاء ، ونماذج من رحمة الله — يعقب بالغرض الشامل من هذا الاستعراض ، (ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) .

ان هذه أمتكم : أمة الأنبياء . أمة واحدة : تدين بعقيدة واحدة ، وتنهج نهجـا واحدا ، هو الاتجاه الى الله دون سـواه . أمة واحدة فى الأرض ، ورب واحد فى السماء ، لا اله غيره ، ولا معبود الا اياه .

أمة واحدة ، وفق سنة واحدة ، تشهد بالارادة الواحدة ، فى الأرض والسماء » (٢٠) .

أو على حد تعبير الشيخ حسنين مخلوف : « (ان هذه أمتكم) ، أى أن ملة التوحيد والاسلام ، وهى دين جميع الأنبياء عليهم السلام — دينكم الذى يجب أن تحافظوا على حدوده ، وتراعوا سائر حقوقه ، (أمة واحدة) ، دينا واحدا ، متفقا عليه من جميع الأنبياء » (٢١) .

وطالمـا كان الاسلام — بمعنى اسلام الأمر أو تسليمه لله — هو دين جميع الأنبياء ، كان مجال التفاضل بين الناس ، هـو مدى هـذا الاسلام لله ، بغض النظر عن اللون أو الجنس — أو على حـد تعبير القرآن الكريم :

— « وقالوا : لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى ، من أسلم وجهه

---

(٢٠) سيد قطب : فى ظلال القـرآن — المجلد الرابع (الاجزاء ١٢— ١٨) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ .

(٢١) القرآن الكريم ، ومعه صفوة البيان ، لمعانى القرآن ، لفضيلة الأستاذ ، الشيخ حسنين محمد مخلوف — الجزء الثانى — الطبعة الأولى — مطابع دار الكتاب العربى بمصر — ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م ، ص ٤٣ .

لله وهـو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خـوف عليهم ولا هـم يحـزنون » (٢٢) .

ومن ثم كانت تقوى الله ، هي (المحك) الأسـاسى فى التفاضل بين الناس :

— « يأيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (٢٣) .

الاســلام خاتما لديانات السـماء :

يشتق الدين فى اللغة العربية ، من الفعل (دان — يدين) ، بمعنى « خضع وذل » و « أطاع » (٢٤) .

ومعنى الخضوع والذل هنا ، هو (الايمان) بمجموعة من الآراء والأفكار و (القيم) ، ايمانا يستتبع (الطاعة) لها ، والانصياع لما تأمر به ، ومن ثم كان « (الدين) ، ما يدين به الانسان » ، وهو « الاعتقاد بالجنان ، والاقرار باللسان ، وعمل الجـوارح بالأركان » ، أو هـو « السيرة » ، و « الحال » ، و « الشأن » (٢٥) الخ — أى أن يعتاد الانسان « خيرا أو شرا » (٢٦) .

وعلى هذا الأساس ، فليس الاسلام وحده هو الدين ، سواء كان هــذا الاسلام ، هو ما نزل به الوحى الأمين على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، أو كان الاسلام بمعناه الواسع — اسلام الأمر لله ، على النحو الذى تنزلت به ديانات السماء ، على قلوب الرسل جميعا ، عليهم أفضل الصلاة والسـلام ، وانما الأديان المحرفة هى الأخرى أديان ، وكذلك الأديان الوضعية ، مهما كانت مخالفة للاسلام .

---

(٢٢) قرآن كريم : البقـرة — ٢ : ١١١ ، ١١٢ .
(٢٣) قرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١٣ .
(٢٤) المعجم الوسيط — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٠٦ .
(٢٥) المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .
(٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقول سبحانه ، مخاطبا (الكفار) على العموم :

— « قل يأيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ، ولى دين » (٣٧) •

ويرى العلامة ابن كثير ، أن « لكم دينكم » دالة « على أن الكفر كله ملة واحدة » ، وعلى أن « الأديان ما عدا الاسلام ، كلها كالشىء الواحد فى البطلان » (٣٨) ، وذلك (لانحراف) هذه الأديان عن خط السماء ، الذى نزلت عليه أصلا — فكان الانحراف عن خط السماء ، هو (الجامع) بينها جميعا •

ويلخص لنا عبد الله يوسف على القضية ، حين يرى أن الدين Religion ، هو « أسلوب الحياة Way of life » (٣٩) ، الذى يسير عليه الناس ، نتيجة لما يعتقدون بطبيعة الحال ، اذ أن (سلوك) الانسان فى حياته اليومية ، يترتب أساسا على مجموعة ما (يعتقده) من أفكار وآراء ووجهات نظر •

أما فى اللغة الانجليزية — مثلا — فان الدين Religion يعنى « كل تلك الأعمال والمشاعر والمعتقدات ، التى تتعلق بعمل الانسان ، وما يراه واجبا عليه نحو ربه » (٣٠) — ومن ثم فهو يعنى (الشخصية) الانسانية ،

---

(٢٧) قرآن كريم : الكافرون — ١٠٩ : ١ — ٦ •

(٢٨) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين ابى الفداء ، اسماعيل بن كثير ، القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ — الجزء الرابع — ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م ، ص ٥٦١ •

(29) ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur - an, Text, Translation and Commentary, Volume Two ; Hafner Publishing Company, New - York, U.S.A., 1946, p. 843.

(30) WEST, MICHAEL PHILIP and ENDICOTT, JAMES GARETH ; Op. Cit., p. 257.

فى تصرفاتها المختلفة ، تصرفات تعكس (ايمان) الانسان على نحو معين ، بالحياة ، ونظرته اليها [٣١] .

وبذلك لا يختلف فهم الغربيين للدين ، عن فهمنا نحن العرب اليه ، وان كنا قد رأينا — فيما قبل — فهمهم للاسلام ، فهما بعيداً عن حقيقته ، لجهلهم به ، أو لحقدهم المتوارث عليه [٣٢] .

وقد رأينا — فى كتابنا الثانى من كتب السلسلة — أن (حاجة) الانسان الى (قوة عليا) ، تحكم حياته ، وتوجه هذه الحياة ، و « يلجأ اليها الانسان وقت الشدة ، يحفظ بها تكامله النفسى » [٣٣] ، هى حاجة (نوعية) ، لا يستغنى عنها انسان ، أو هى « غريزة فطرية » [٣٤] فيه ، لا يملك أن يتنازل عنها ، مهما كابر ، « ففكرة (الله خالقى ، وأنا عبده) ، منقوشة فى اللاشعور الانسانى ، وهى ميثاق سرى ، مأخوذ على الانسان ، منذ يوم مولده الأول ، وهو يسرى فى كل خلية من خلايا جسمه » [٣٥] .

كما رأينا فى هذا الكتاب — الثانى من كتب السلسلة — أن « الكفر بالله ، نقيض الايمان به ، الا أن اجتماع النقيضين فى الانسان ، يتفق مع طبيعته » ، « فلا تناقض بين كون الانسان كفورا ، أو كفارا ، أو غشوما ، أو جهولا ، أو غير ذلك من الصفات ، التى يصف بها

---

(31) The Concise Oxford Dictionary of Current English ; Op. Cit., p. 1029.

(٣٢) رجع الى ص ٢٠ ، ٢١ ن الكتاب .

(٣٣) دكتور عبد الغنى عبود : الله ، والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨١ ، ص ١٩ .

(٣٤) دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٢٤ .

(٣٥) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان — ترجمة ظفر الاسلام خان — مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الاسلامى — ١٩٧٤ ، ص ١٥٤ .

القرآن الانسان ، وبين كون هـذا الانسان — بطبعه — ذا عقيدة ، تلجئه الى الله ، ويهتدى بهـا فى ظلمات حياته •

فهو يلجأ الى عقيدته ، ويتوجه الى ربه ، عندما تظلم من حوله الحياة ، أو تغلق فى وجهه الأبواب — فهنا — عند الشـدة — تصحو (الغريزة) ، لتنبه ذلك الكيان الخامد الجهول •• أما عندما تضحك الحياة ، وتفتح الدنيا أبوابها ، ويبتعد الخطر ، فهنا يصحو (الحيوان) فى ذلك الكيـان ، فينسى الخطـر ولحظـاته ، وتشـده الجاذبية الى الحضيض » (٣٦) •

كما رأينا — فى الكتاب — أن شد تلك (الجاذبيـة) للانسان الى الحضيض فى مجتمع ما ، كان يستدعى ارسال رسول من قبل الله سبحانه وتعـالى ، لينتشل (القـوم) من الحضيض الذى وصلوا اليـه ، الى مستوى الانسانية المنشـود ، ومن ثم كانت رسالات السـماء تأتى ، « (لتهدم) ما أقامه الظلم والطغيان والجهل ، من بنيان عقائدى ، مقام غير أساس » ، ومن ثم كانت « تصطدم أول ما تصطدم ، بالنظـام وبالسلطة » ، ولكن « لم يكن اصطدام رسالات السماء بالنظـام هدف الأهداف ، وانما كان تصحيح الوضع الخاطىء هو الهدف •

وفى تصحيح الوضع الخاطىء مس بالمصـالح المكتسبة للطغمـة الحاكمة ، وللقـريبين منها ، ولفئـات أخرى كثيرة من الناس ، يرتبط وجودها ، وترتبط حياتها بهـذا النظـام » (٣٧) ، ومن ثم كان « يقـع صـدام ، لابد أن يقع ، بين الرسول ، ومعه القلة المستضعفة التى آمنت به ، وبين الكثرة القوية ، يحميها السلطان ، ويتوفر لديها المـال والرجال ، ولكن نتيجة الصدام (كانت) لا تأتى على السنة التى ألفهـا

---

(٣٦) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر (مرجع سابق)، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

هؤلاء وهؤلاء ، بل على السنة التى أرادها الله سبحانه ، وهى أن الحق لابد أن ينتصر » (٣٨) .

واذا كانت هـذه هى قصة ديانات السماء مع الانسـان : يهبط الانسان الى أسفل ويهبط ، حتى يصل الى القاع ، فتمد العناية الالهية يدها الى الانسان لتنتشله ، « على يد نبى مرسل » (٣٩) ، فأنبياء الله ليسوا الا « هداة ، يجعلون من حياتهم نموذجا قويا ، يحمل معه شهادته على نفسه » (٤٠) — ثم يعود الانسان الى الهبوط بعد فترة من الرسول، فيكون نبى آخر ، وهكذا ، ومع كل نبى (معجزته) ، الدالة على تأييد السماء له ، وهى معجزة (خارقة) للنواميس والقوانين الطبيعية — اذا كانت هذه قصة ديانات السماء ، فانها — فى الاسلام — شىء آخر تماما .

لقد كان كل دين من الأديان يعتمد على (شخصية) النبى المرسل به الى قومه ، وكان دور النبى — بالتالى — هو قيادة (التمـرد) على الوضع السائد ، أما الاسلام ، فهو « دين لايعتمد على شخصية مؤسسه، بل على الله ذاته ، وليس النبى سوى السبيل ، الذى بواسـطته تلقى البشر رسالة تتعلق بطبيعة المطلق ، وبالتالى بطبيعة النبى ، رسالة تحتوى عقيدة وطريقة ، وعليه ، فان الله ذاته ، هو الحقيقة الأساسية فى الدين ، ودور النبى فى الاسلام ، ودور المسيح فى المسيحية ، يختلفـان اختلافا كبيرا ، ولكن فى الوقت ذاته ، وعلى أنهما من (رسل الله) ، يتشابهان » . ومن ثم فانه « وفقا للنظرة الاسلامية ، نؤثر أن نسمى الدين الاسلامى بـ (الالهى) ، اذا اقتضى الأمر ، لأن هذه التسمية أفضل من تسميته بالدين المحمدى » (٤١) .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٣٩) محمد قطب : التطور والثبات ، فى حياة البشر — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٤٢ .

(٤٠) الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسـلامية — من (مكتبة الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ ، ص ٦٨ .

(٤١) الدكتور سـيد حسين نصر : الاسلام ، اهدافه وحقائقه — الطبعة الأولى — الدار المتحدة للنشر — بيروت — ١٩٧٤ ، ص ١٣ .

وهكذا ، تنتقل (المبادرة) ، من يد الله سبحانه ، وعن طريق نبيه — بالاسلام — الى يد الانسان المسلم نفسه ، بعد أن وصل الانسان الى درجة من النضج ، جعلته (أهلا) لتحمل المسئولية ، وبالتالى لأن توضع فى يده المبادرة ، وجعلته قادرا على (الاستغناء) عن ارسال الأنبياء اليه ، من قبل الله سبحانه . ولعل هذا هو ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

— « ان مثلى ومثل الأنبياء ، كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : أنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » (٤٢) .

على أن انتقال (المبادرة) من يد الله الى يد الانسان المسلم ، لا يعنى أن الانسان قد حل محل الله ، فى تصريف أمور الحياة ، ولكن معناه أن ارادة الله ، التى كانت تظهر مع كل نبى قبل الاسلام ، (خارقة) لقانون طبيعى ، هو من صنع الله سبحانه وتعالى أساسا ، لتثبت للناس نبوة النبى ، أو لتنتصر النبى على الكافرين به ، والمحاربين له ، بدأت تظهر — مع الاسلام — فى صورة الجهد البشرى المبذول نفسه ، متخفية وراءه ، ومؤيدة له بطبيعة الحال ، حيث أن الله — فى الاسلام — قد فتح الحرية « للانسان ابتداء ، لكى يصنع تاريخه الفردى والجماعى ، ولكى يشكل مصيرهما معا ، اعتمادا على ما ركب فى وجوده ، من قوى العقل والارادة ، والانفعال والحس والحركة .. والانسان بدوره ، عندما

---

(٤٢) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الرابع — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨هـ ، ص ٢٢٥ (من كتاب بدء الخلق) .

وارجع كذلك الى :

— عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : تيسير الوصول ، الى جامع الأصول ، من حديث الرسول — الجزء الثالث — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده بمصر ، ص ٢٢٤ (أخرجه الشيخان) .

يستخدم حريتـه ، لصياغة الحدث ، وتوجيه المصير ، انما يعتمد على مقدمات ، لا يمكنه بحال الاستغناء عنها : الزمن ، التراب ، ثم التعاليم والنظم والقيم والأعراف والتقاليد ، وضعية كانت أم دينيـة ، ويبلغ التناغم والتداخل والتشابك ، بين ارادة الله وارادة الانسان — على خلاف النظرة الغربية — حدا يصعب علينا معه ، التفريق والفصل والقول ، بأن هـذا من عمل الله ، وهـذا من عمل الانسان ، وان كانت القـاعدة الأساسية ، التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا لحظة ، أن (الكل) من عمل الله » • « الا أن عمل الانسان ، من خلال العلاقات الكونية الشاملة ، يمتلك حريتـه الكاملة ، فى الصياغة والتخطيط والتنفيذ ، واستغلال النتائج » (٤٣) •

هكذا ، كان انتقال (المبادرة) — بأمر الله سبحانه — من الله الى الانسان ، هو (الهـدية) ، التى قدمها الاسلام الى الانسانية ، معلنا بلوغها رشدها ، وبموجب هذا البلوغ ، تغيرت كل المفاهيم الدينية ، بل وتغيرت علاقة السماء بالأرض ، فقد « كان (دليـل) النبوة ، ينزل مع كل نبى ، قبل نبوة الاسـلام ، متمثلا فى (معجزة) ، يقـدمها الى القـوم ، لعلهم يؤمنون به وبرسالته ، أما الدليل على نبوة الاسلام ، فقد كان رسولها ذاته » • « فمع أبى الأنبياء ، ابراهيم عليه السلام ، كانت قصة النار ، التى لا تحرق ، ومع أقرب الأنبياء الى نبينا من الناحية التاريخية ، عيسى بن مريم ، كانت قصـة الولادة غير الطبيعية ، وكان شـفاء المرضى ، واحيـاء الموتى ، ونزول مائدة من السـماء •• ومع كل نبى ، بين النبى الأب ، وبين النبى قبل الخاتم •• كانت قصـة ، شبيهة بالقصص السابقة : معجزة من السماء ، (تدل) على أن الداعى الى الله ، مبعوث من الله ، وليس دعيا •

---

(٤٣) الدكتور عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ ، ص ١٣٨ •

أما مع الصادق الأمين ، فقد كان هو ذاته .. المعجزة .

وتلك فى حد ذاتها ، هى (معجزة) الاسلام ، وسر خلوده ، رغم كل المؤامرات .. والتحديات .

ذلك أن السماء والأرض معا ، قد شكلتا (وحدة) واحدة فى الاسلام ، بعد أن كانت السماء — قبله — بعيدة عن الأرض ، لا تمد اليها اليد ، الا عند الضرورة .

ولأول مرة فى تاريخ الفكر الدينى ، (التحم) العقل البشرى ، بالعقل الكونى ، بعد أن كان العقل الكونى قبل الاسلام ، يرتب كل الأمور ، وعلى العقل البشرى أن يخضع نفسه ، رضى أم لم يرض ، لترتيبات العقل الكونى ، بل ان من مصلحته أن يتعطل عن العمل ، حتى يستطيع استيعاب تصرفات العقل الكونى كاملة .

أليس ذلك تفسيرا معقولا للفكرة التى كانت شائعة قبل الاسلام ، من أن الايمان والعقل ، لا يلتقيان ، ومن أن الفكر نقيض الايمان ؟

وكان سر خلود الاسلام — من هذه الزاوية — أنه جعل الايمان به ، غير مناقض للعقل والفكر ، بل انه جعل الفكر ، هو السبيل الوحيد للايمان ، ومن ثم رفع من شأن العلماء ، وجعلهم ورثة الأنبياء ، على نحو ما هو متواتر فى القرآن الكريم ، وفى الحديث الشريف » (٤٤).

وبقدر ما كان انتقال (المبادرة) من الله الى الانسان ، على هذا النحو ، تكريما للانسان ، وتشريفا له وإعلاء لقدره ، كان (عبئا) جديدا ملقى على عاتقه ، اذ صار عليه أن (يأخذ بالأسباب) فى كل

---

(٤٤) عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الاسلامية فى الحديث الشريف — الكتاب الخامس من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربي — ١٩٨٣ ، ص ١٧ ، ١٨ (من التقديم ، للدكتور عبد الغني عبود) .

ما يفعل ، وصار عليه أن يتحمل مسئولية ما يفكر فيه ، وما يقوم به من عمل ، (جزاء وفاقا) .

ومن ثم صار عليه أن (يعلم) ، وأن (يتعلم) حتى يعلم ، فان « من يرد الله به خيرا يفقهه ، وانما العلم بالتعلم » (٤٥) ، على حد تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يظل واضعا أقدامه على طريق العلم ، (من المهد الى اللحد) ، على حد تعبيره أيضا .

المسلمون :

رأينا فى مطلع هذا الفصل ، أن (الاسلام) يعنى (اسلام) الانسان نفسه لربه ، أو (تسليمه) إياها له سبحانه (٤٦) . والاسلام — بهذا المعنى — هو دين كل الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، على نحو ما نرى فى قوله سبحانه :

— « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ، ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك واله آبائك ، ابراهيم واسماعيل واسحق ، الها واحدا ، ونحن له مسلمون . تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » (٤٧) .

---

(٤٥) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٧ (من كتاب العلم) .

(٤٦) ارجع الى ص ١٩ ، ٢٠ من الكتاب .

(٤٧) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ١٣٠ — ١٣٤ .

وهذا (الاسلام) الذى نصح به ربنا سيدنا ابراهيم ، فاستجاب له دون تردد ، حتى صار (ملته) وأسلوب حياته ، ووصى به بنيه ، هو « دين التوحيد ، وهو دين الاخلاص لله فى العبادة والطاعة ، والانقياد لحكمه » (٤٨) ، وهو الدين الذى وصل الى الانسان على الصورة الكاملة ، محفوظا من ربه ، الى يوم تقوم الساعة ، على يد خاتم الأنبياء ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم .

وهـذا (الاسلام) ، ليس — عنده — خروجا على الناموس الذى خلق الله عليه الناس ، بل هو استجابة لهذا الناموس ، استجابة (للفطرة التى فطر الله الناس عليهـا) (٤٩) — أى (لطبيعـة) الانسـان . أو « خلقته » (٥٠) أو « طبيعة تكوينه » (٥١) ، حيث خلقـه الله سبحانه « جسما كثيفا ، وروحا شفافا . جسما يشده الى الأرض ، وروحا يتطلع الى السماء . جسما له دوافعه وشهواته ، وروحا له آفاقه وتطلعـاته ، جسما له مطالب أشـبه بمطالب الحيوان ، وروحا له أشواق كأشواق الملائكة » .

« وهـذه الطبيعـة المزدوجة ، ليست أمرا طارئا على الانسان ، ولا ثانويا فيه ، بل هى فطرته التى فطـره الله عليهـا ، وأهله بهـا

---

(٤٨) القـرآن الكريم ، ومعه صفوة البيـان لمعـانى القـرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .

(٤٩) ونص الآية رقم ٣٠ فى سورة الروم (رقم ٣٠ فى المصحف) ، هو قوله سبحانه :

— « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطـر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(٥٠) أوضح التفاسير ، بقلم محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب ، صاحب الفرقان — الطبعة الخامسة — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة — شعبان ١٣٧٥ هـ — مارس ١٩٥٦ ، ص ٣٤١ .

(51) ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur-an .... Volume Two ; Op. Cit., p. 1059.

للخلافة فى الأرض ، منذ خلق آدم ، خلقا جمع بين قبضة الطين ، ونفخة الروح » (٥٢) .

واضافة الى قبضة الطين ، ونفخة الروح ، هناك « الخاصية التى تجعله انسانا ، وهى العقل والفكر » ، « فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها الاختيار ، وهى منطقة التكليف من الله » (٥٣) ، وهى المنطقة التى وجه اليها سبحانه الكلام ، عندما خاطب ابراهيم ، وعندما خاطب (الانسان) مطلقا فى أى دين نزل من السماء ، ولذلك ففاقدها ، لا يحاسب على أعماله يوم القيامة ، لأن التكليف يسقط عنه .

وجملة « هـذه القوى ، من النفس والعقل والروح ، هى (الذات الانسـانية) ، تدل كل قوة منها على (الذات الانسـانية) فى حالة من حالاتها ، ولا تتعدد (الذات الانسانية) بأية صورة من صور التعدد ، لأنها ذات نفس ، أو ذات روح ، أو ذات عقل ، فانما هى انسان واحد ، فى جميع هـذه الحالات » .

و « الذات الانسانية أعم من النفس ، ومن العقل ، ومن الروح ، حين تذكر كل منها على حدة » ، « فالانسان يعلو على نفسه بعقله ، ويعلو على عقله بروحـه ، فيتصـل من جانب النفس بقـوى الغرائز الحيوانية ، ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح بعـالم البقاء وسر الوجود الدائم ، وعلمه عند الله .. وحق العقـل أن يدرك ما وسعه من جانبه المحدود ، ولكنه لا يدرك الحقيقة كلها من جانبهـا المطلق ، الا بايمان والهام » (٥٤) .

---

(٥٢) الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ــ الطبعة الثانية ــ مكتبـة وهبـة ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٥٣) فضيلة الشيخ محمد متولى الشـعراوى : القضاء والقـدر ، معجزات الرسول ، اعجـاز القـرآن ، مكانة المرأة فى الاسـلام ــ اعداد وتقـديم احمد فراج ــ الطبعة الثانية ــ دار الشروق ــ سبتمبر ١٩٧٥ ، ص ٤٢ .

(٥٤) عباس محمـود العقاد : الانسان ، فى القـرآن الكريم ــ دار الاسلام ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٣٧ ــ ٤٠ .

ولذلك ، فالاسلام يأمر المسلم بأن يستجيب (لفطرته) تلك ، (فيشبع) مختلف جوانب ذاته ، اذ « لا يجوز للمؤمن بالكتاب ، أن يبخس للجسد حقا ، ليوف حقوق الروح ، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ، ليوف حقوق الجسد ، ولا يحمد فيه الاسراف فى مرضاة هذا ، ولا مرضاة ذاك » ، « والقرآن الكريم ينهى عن تحريم المباح ، كما ينهى عن اباحة المحرم » (٥٥) ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٥٦) .

وأكثر من ذلك أن الاسلام يدفع دفعا الى اشباع حاجات الجسد ، حتى ما يتصل بجانب (الجنس) فى هذا الجسد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاث حق على الله عونهم » ، منهم « الناكح ، الذى يريد العفاف » (٥٧) ، ويقول : « فى بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك اذا وضعها فى الحلال ، كان له أجر » (٥٨) .

---

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٥٦) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء السابع — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨ هـ ، ص ٢٠ (من كتاب النكاح) .

(٥٧) عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : تيسير الوصول ، الى جامع الأصول ، من حديث الرسول — الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٢٩٧ (رواه النسائى والترمذى) .

(٥٨) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ (رواه مسلم) .

وهو — أى الاسلام — يعتبر اشباع مختلف جوانب الحياة الانسانية، واجبا مقدسا ، لما له من انعكاسات ايجابية ، على (الذات الانسانية) كلها ، وتمكين للانسان من أن يقوم بالمهام والمسئوليات والأعباء ، الملقاة عليه فى هذه الحياة ، من قبل ربه سبحانه ، على نحو ما رأينا فى كتب السلسلة السابقة ، وعلى نحو ما سنرى فى فصول الكتاب التالية — اضافة الى تمكينه من القيام بما يكلف القيام به من شعائر : لا يكون المسلم مسلما الا بها ، وهى تلك التى حددها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عنه البخارى : « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » (٥٩) .

واذا كان (الاسلام) يتميز على غيره من الديانات السابقة عليه ، بانتقال (المبادرة) من يد الله ، الى يد الانسان ، على نحو ما رأينا من قبل (٦٠) ، فاننا نستطيع أن ندعى أن (تحرير) الانسان ، كان الهدف الأساسى للاسلام ، على نحو ما يتضح من آيات قرآنية كثيرة ، منها — على سبيل المثال — تلك الآيات التى تفتتح بها سورة (الجمعة) :

— « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، الملك القدوس ، العزيز الحكيم . هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لايهدى القوم الظالمين » (٦١) .

---

(٥٩) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٩ (من كتاب الايمان) .

(٦٠) ارجع الى ص ٢٨ — ٣٠ من الكتاب .

(٦١) قرآن كريم : الجمعة — ٦٢ : ١ — ٥ .

والتحرير هنا واضـح — تحريرا للانسـان المسلم من (أغلال) الجاهلية ، التي كانت تسيطر على الانسان قبل الاسلام ، فتحول بينه وبين (الانطلاق) فى التسبيح مع المسبحين فى هذا الكون ، وكل مخلوقات الله فى هذا التسبيح سواء (٦٢) وذلك (بتزكية) الله له ، أى تطهيره ، وهو « تطهير للضمير والشعور ، وتطهير للعمل والسلوك ، وتطهير للحيـاة الزوجية ، وتطهير للحياة الاجتماعية ، تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك الى عقيـدة التوحيد ، ومن التصـورات الباطلة الى الاعتقاد الصحيح ، ومن الأساطير الغامضة الى اليقين الواضح ، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية ، الى نظافة الخلق الايمانى ، ومن دنس الربا والسحت ، الى طهارة الكسب الحـلال » (٦٣) — وكذلك تحريره ، بتعليمهم — أى المسلمين — الكتاب والحكمـة ، « يعلمهم الكتاب ، فيصبحون أهل كتاب ، ويعلمهم الحكمة ، فيدركون حقـائق الأمور ، ويحسنون التقدير ، وتلهم أرواحهم صواب الحكم ، وصواب العمـل ، وهو خير كثير » (٦٤) .

وكثيرا ما يشبه القرآن الكريم الاسلام والقرآن والهدى ، بالنور ، ويشبه الكفر بالظلام أو الظلمات :

— « الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمـات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطـاغوت ، يخرجـونهم من النـور الى الظلمات .. » (٦٥) .

— « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثـيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قـد جاءكم من الله نور وكتاب

---

(٦٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (الأجزاء ٢٦— ٣٠) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٣٥٦٤ .
(٦٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٦٥ .
(٦٤) المرجع السابق ، ص ٣٥٦٥ .
(٦٥) قرآن كريم : البقـرة — ٢ : ٢٥٧ .

مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » (٦٦) •

ـ « وما لكم لا تؤمنون بالله ، والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ، وقد أخذ ميثاقكم ، ان كنتم مؤمنين ؟ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وان الله بكم لرءوف رحيم » (٦٧) •

والقرآن الكريم عندما يشبه القرآن / الاسلام / الهدى ، بالنور ، وعندما يشبه الكفر بالظلام أو الظلمات ، انما يعتبر الكفر تقييدا للكافر ، لأنه يتخبط فيه بين رأى ورأى ، وبين فكر وفكر ، وبين سلوك وسلوك ـ كما يعتبر الايمان أو الهدى نورا ، لأنه يحرر الانسان من هذا الضلال ، فيشق طريقه فى حياته ، دون أى تخبط ، أو تبديد للوقت أو الجهد أو الطاقة •

وعود الى سورة (الجمعة) ، حيث نجد هذا النور « فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ، لنجده فضلا من الله ، لأنه ليس بالأمر (المتاح) للجميع ، وانما هو أمر (يتطلع) اليه الجميع ، بالعلم ، وبالمعرفة ، وبالمجاهدة ، وبعزم الأمور ، ولكنهم لا يستطيعون تحصيله بالضرورة •

بل ان هذا النور ذاته ، قد يكون (عائقا) دون الرؤية الحقة ، حين يعتمد الانسان عليه ، فيتراخى فى تحسس طريقه ، أو يتغافل عن الوقوف على العقبات التى تعترضه فيه • ومن ثم يكون هذا النور (عبئا) على الانسان ، بدلا من أن يكون عونا له •

---

(٦٦) قرآن كريم : المائدة ـ ٥ : ١٥ ، ١٦ •
(٦٧) قرآن كريم : الحديد ـ ٥٧ : ٨ ، ٩ •

وهــذا هو ما حدث مع بنى اسرائيل ، الذين آتاهم الله سبحانه كل أسباب الهدى والهداية ، فاذا بهذا الهدى يعمى أبصارهم ، بدلا من أن يبدد الظلمات أمام هــذه الأبصار — ومن ثم كان تشبيه الله سبحانه لهم بالحمار الذى يحمل أسفارا ، حيث لا يستفيد من النور المتاح له ، بقدر ما يشقى بأسباب هذا النور ، بما يحمله على كاهله من أسبابه •

لقد كان حصولهم على أسباب هذا النور ، معطلا لهم عن التفتيش فى هذه الأسباب ، فساروا بحملهم الثقيل يتخبطون ، وكانوا شر مثل لبنى آدم ، وقد كان مفروضا أن يكونوا خير الناس جميعا •

وهكذا ، بدلا من أن تحررهم (التوراة) ، بما فيها من (هــدى ونور) (٦٨) ، كانت عليهم قيدا ثقيلا ، يغــل حركاتهم ، حتى صاروا فى جمودهم وتشككهم وكل مظاهر حياتهم ، « ظاهرة شــاذة غريبة ، فى تاريخ العالم » (٦٩) ، يسيطر عليهم « الاحســاس (بالدونيــة) ، و (بالخطر) الناتج عنها » (٧٠) ، حيث « كراهيتهم لأنفسهم ، وللعالم من حولهم » (٧١) هى أوضح سماتهم ، ومن هذه الكراهية ، كان تآمرهم المستمر على كل من فتح لهم صدرا ، ثم كانت الضربات المتتالية لهم ، عبر تاريخهم الطويل ، فى كل أرض نزلوها ، فلا هم استطاعوا بدونها — أى بدون التوراة — أن يعيشوا مع الناس حيث عاشوا ، آمنين ،

---

(٦٨) ونص الآية فى سورة المــائدة (رقم ٥ بالمصحف) :
— « انا انزلنا التوراة فيها هــدى ونور ، يحــكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ، بمــا استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ... » الآية — رقم ٤٤ .

(٦٩) اسوالد شبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمــة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبــة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .

(٧٠) دكتور عبد الغنى عبود : اليهــود ، واليهودية ، والاســلام — الكتاب الثالث عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعــة الأولى — دار الفكر العربى — أكتوبر ١٩٨٢ ، ص ٩١ .

(٧١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

ولا هم — بها — استطاعوا أن يفيدوا ، ويسموا الى مستواهم ، فيعيشون محبين محبوبين ، آمنين فى الأرض التي ينزلون بهـا ، كما يفعـل كل بني آدم ، من غير اليهود .

مسلمون ومسلمون :

فى الكتاب الرابع من كتب السلسلة ، عن (الانسان فى الاسلام) ، رأينا أن سلوك الانسان فى حياته اليوميـة ، لا يمكن أن يفهم — فى عمومه — حق الفهم ، بدون الوقوف على دور الشيطان فى حياة الانسان بالذات ، من بين مخلوقات الله الأخرى (٧٢) ، ورأينا أن منظور الاسلام للانسان ، على النقيض من المنظور الغربى / اليهودى / المسيحى اليه ، كما يتمثل فيما يسمى بعلم النفس الحديث ، فهو — أى الانسان — فى الاسلام — ليس (هابطا) بطبعه ، كما يرى علم النفس الحديث ، تسيره مجموعة من الغرائز والشهوات ، اذا علا فوقها صار (متساميا) ، ولكنه « — بطبيعته — (سام) ، وليس متساميا .

واذا انحرف الانسان وراء شيطانه ، فهو — فى هـذه الحالة — (متهابط) ، اذا صـح التعبير ، ليكون مقابلا للتسامى فى علم النفس الحديث » (٧٣) .

واذا كان علم النفس الحديث ، قد بسط قضية الانسان « تبسيطا مخلا ، فى مثير / استجابة ، وكأن الانسان يتصرف فى حياته ، بطريقة آلية ميكانيكية » (٧٤) ، فان الاسلام — بادخاله الشيطان فى مجال دراسة الانسان — يحل لنا كل مشاكل دراسته ، وييسط لنا هـذه الدراسة تبسيطا ، « يربط النفس والجسم ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة ،

---

(٧٢) دكتـور عبد الغنى عبـود : الانسان فى الاسـلام ، والانسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ ، ص ١٣٩ — ١٤٤ .

(٧٣) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٧٤) دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ ، ص ١٥٤ .

كلها فى نظام » (٧٥) ، يكون هو مصدر هــذا التبسيط ، ان استطاع الانسان فهمه واستيعابه •

واذا كان علم النفس الحديث ، قــد بسط قضية الانسان ـ كما سبق ـ فى مثير / استجابة ، أى فى أن الانسان يسيره فى الحياة مثير أو حافز ، أو (مهمــاز) ـ على حــد تعبير سكينر ، بعد رجوعه الى الأصل اللاتينى ، الذى اشتقت منه كلمة مثير أو حافز ، حتى لقد « عبر أحــد الكتاب عن هــذا بما يلى : (اننا ننخس أو نجلد ، لنستمر فى الحياة » (٧٦) ـ فان الاسلام قــد اعتبر الانسان ـ منذ البداية ـ (خليفــة الله فى الأرض) ، الا اذا استطاع الشــيطان أن يتسرب الى نفسه ، (ليهبط بها) ، وحسب موقفه من الشيطان ، يكون سلوكه • ورغم ذلك ، تظل « فكرة الكمال المطلق ، عميقة عميقة فى نفس الانسان، والا لمــا اهتدى اليها فى طفولة البشرية ، ولا حلق فى آفاقها الرحيبة •

وان بريق القيم العليا ، والنظافة النفسية ، ليجذب الناس الى أعلى ، فيرتفعون مختارين ، لا يقهرهم شىء ، وتبهرهم البطولة ، فيحبون تقليدها ، بدافع داخلى ، كامن فى الأعماق » (٧٧) •

واذا كان الاسلام قــد وضع فى يد الانسان المبادرة ، على نحــو ما سبق (٧٨) ، بمعنى أنه ـ فيه ـ قــد وصل الى درجة من (النضج) ، يستطيع بها أن يسير دون (قيادة) نبى ، ومن ثم حرر الاسلام الانسان ،

---

(٧٥) محمــد قطب : تبســات من الرســول ـ الطبعة الثانيــة ـ دار الشروق ، ص ٨٦ •

(٧٦) ب • ف • سكينر : تكنولوجيا السلوك الانســانى ـ ترجمــة د • عبد القــادر يوسف ـ مراجعة د • محمد رجا الدرينى ـ رقم (٣٢) من (عالم المعرفة) ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصــدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ رمضــان ١٤٠٠هـ ـ اغسطس (آب) ١٩٨٠م ، ص ١٩ ، ٢٠ •

(٧٧) محمد قطب : الانسان ، بين المادية والاسلام ـ الطبعة الرابعة ـ دار الشروق ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ، ص ٢٢٢ •

(٧٨) ارجع الى ص ٢٨ ـ ٣٠ من الكتاب •

بما وفره له من هدى ، وبما كلفه به من اعمال عقله ، ومن تحمل مسئولية نفسه بنفسه ، على نحو ما سبق أيضا [٧٩] — فان مثل هذا (التشريف) للانسان ، لا يقدر عليه كل انسان ، وانما تقدر عليه النفوس (الصحيحة) وحدها ، وهى تلك النفوس التى بقيت على (فطرتها) ، التى فطرها الله عليها ، صاعدة ، متمسكة بالقيام بدورها فى الحياة ، كما أراده لها الله سبحانه ، قادرة على الوقوف فى وجه الشيطان ، واجتناب سبيله ، متحملة ما كتب لها أن تتحمله من (أتباع) الشيطان من أذى — وليكون الانسان جديرا بهذا التشريف ، فان (عزم الأمور) — على حد تعبير القرآن الكريم — لابد أن يكون سمته الأساسية :

— « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا ، فان ذلك من عزم الأمور » [٨٠] .

— « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم • ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك ، الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الي ، ثم الى مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعلمون » •• « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر علي ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور » [٨١] .

— « ومن صبر وغفر ، ان ذلك لمن عزم الأمور » [٨٢] .

و (عزم الأمور) ، كما نفهمه من الآيات السابقة ، يعنى « قطع

---

(٧٩) ارجع الى ص ٣٦ — ٣٨ من الكتاب .
(٨٠) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١٨٦ .
(٨١) قرآن كريم : لقمان — ٣١ : ١٣ — ١٧ .
(٨٢) قرآن كريم : الشورى — ٤٢ : ٤٣ .

الطــريق على التردد فيها ، بعد العزم والتصميم » (٨٣) ، على حــد ما يعرفه الشهيد سيد قطب ، عند حديثه عن وصية لقمان لابنه ، وقطع الطريق على النفس هــذا ، أتي عند الجماعة المسلمة فى المدينة ، التى يخاطبها الله سبحانه فى آيات آل عمران ، من أنها « كانت تستيقن أن كل نفس ذائقة الموت ، وأن توفية الأجور يوم القيامة ، وأنه من زحزح عن النــار وأدخل الجنة فقد فاز ، وأن الحياة الدنيا ما هى الا متاع الغــرور » (٨٤) .

ولا يؤتى (عزم الأمور) هذا ، الا (صفوة) البشر ، القادرون بالفعل على أن (يوجهوا) الحيــاة من حولهم ، لا على أن (تجرفهم) هذه الحياة ، فى تيارها الزاخر ، كما تفعل بالفعل مع القطاع الكبير من الناس ، ولذلك كان حظ أنبياء الله ، عليهم الصلاة والسلام ، من (عزم الأمور) هذا ، الشيء الكثير ، وبه هانت فى أعينهم الدنيا كلها ، شراء للآخرة — الباقيــة — وبهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدى ، فى مواجهته لكفار مكة ، ثم للأحزاب من بعدهم ، حيث يقول له ربنا سبحانه ، ويقول لكل المؤمنين به من خلاله :

— « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون العذاب ، لم يلبثوا الا ساعة من نهار ، بلاغ ، فهــل يهلك الا القوم الفاسقون ؟ » (٨٥) .

ورغم ذلك ، فان لكل (انسان) نصيبا من (عزم الأمور) هذا ، وحظ الناس منه متفاوت ، ولكن ارتفاع الانسان فى سلم الانسانية ، واقترابه من فطرته التى فطره الله عليها ، رهن به هو ، فهــذا « هو المقياس ، الذى لا يخطىء ، فى قياس الرقى البشرى ، فكلمــا كانت

---

(٨٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء ١٩ — ٢٥) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٢٧٩٠ .

(٨٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول (الأجزاء ١ — ٤) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٥٤٠ .

(٨٥) قرآن كريم : الأحقاف — ٤٦ : ٣٥ .

النفس أقدر على ضبط رغائبها ، والتحكم فيها ، والاستعلاء عليها ، كانت أعلى فى سلم الرقى البشرى ، وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت ، كانت أقرب الى البهيمية ، والى المدارج الأولى .

من أجل ذلك ، شاءت العناية الالهية ، التى ترعى هذا الكائن الانسانى ، أن تعده لخلافة الأرض ، باختبار ارادته ، وتنبيه قوة المقاومة فيه ، وفتح عينيه على ما ينتظره من صراع بين الرغائب ، التى يزينها الشيطان ، وارادته وعهده للرحمن ، وها هى ذى التجربة الأولى ، تعلن نتيجتها الأولى : ﴿ فنسى ، ولم نجد له عزما ﴾ »(٨٦) .

ورغم ذلك ، يرى المرحوم عباس العقاد ، أن الانسان يوم عرف الشيطان ، « كانت فاتحة خير » ، « فقد كانت معرفة الشيطان ، فاتحة التمييز بين الخير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز ، قبل أن يعرف الشيطان ، بصفاته وأعماله ، وضروب قدرته ، وخفايا مقاصده ونياته » (٨٧) ، اذ « الخير هو القدرة على الحسن ، مع القدرة على القبيح ، وهو الاختيار المطلوب ، بعد التمييز بين القدرتين » ، « وانما فضل آدم عليهم (أى على الملائكة) ، لأنه عرضة للخير والشر ، ولأنه مطالب بالخيرات ، وهو ممتحن بالشرور » ، « ولولا ذلك ، لما كان فضل على الملائكة ، ولا على الجان » (٨٨) .

وعلى أية حال ، فقد كان لابد أن يخطىء الانسان ، وأن يستغفر ربه على خطيئته ، وأن يقبل ربه توبته ، ليتم انتقاله من جنة عدن ، الى الأرض ، « فما وقع فى جنة عدن ، من خطيئة آدم ، كان بعلم الله وبارادته ، ولحكمة أرادها سبحانه ، لصالح هذا الانسان ، ولتأكيد

---

(٨٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن ـ المجلد الرابع (مرجع سابق) ، ص ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤ .

(٨٧) عباس محمود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم) ـ الطبعة الخامسة ـ دار نهضة مصر ، للطبع والنشر ـ ١٩٧٤ ، ص ٣ .

(٨٨) المرجع السابق ، ص ٥ .

تكريم ربه له ، وتمييزه على بقية خلقه ، باستخلافه له فى الأرض » ، « ومن ثم فان الخطيئة الأولى ، التى يقوم عليها الفكر الدينى المسيحى كله » ، « لاتشكل شيئا يذكر ، فى الفكر الدينى الاسلامى ، لأنها لاتعدو أن تكون مجرد (حلقة) من حلقات طويلة ، تشكل قصة خلق الانسان ، واستخلافه فى الأرض ، وقد محيت هذه الخطيئة ذاتها — فى الاسلام — بمجرد توبة الله سبحانه على آدم » (٨٩) .

« والخطيئة الموروثة ، المبنيــة على الخطيئة الأم — بالتــالى — لا وجود لها ، فى الفكر الدينى الاســلامى ، حتى ولو لم تمح هــذه الخطيئة الأولى بالتوبة ، لأن الخطيئة عمل فردى ، يصيب صاحبه ، ولا يورثه الواقع فيها لأبنائه وأحفاده ، الذين لا ذنب لهم » (٩٠) .

ويبقى — رغم ذلك — تحدى الشيطان للانسان ، وملحمة الصراع الأبدى بين الخير والشر :

— « واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، قال : أأسجد لمن خلقت طينا ؟ قال : أرأيتك هــذا الذى كرمت على ، لئن أخرتن الى يوم القيامة ، لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال : اذهب ، فمن تبعك منهم ، فان جهنم جزاؤكم جــزاء موفــورا . واستفزز من استطعت منهم بصــوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشــاركهم فى الأموال والأولاد ، وعدهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا » (٩١) .

ويبقى (عزم الأمور) ، هــو الفيصل بين انسان وانسان ، وبين مسلم ومسلم ، ويبقى نصر الله وتأييده ، وقفا على المؤمنين به وحدهم ، المقبلين عليه فى كافة أعمالهم — أو على حد التعبير الربانى ، فى الحديث القــدسى :

---

(٨٩) دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخــامس عشر الهجرى (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
(٩٠) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٩١) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ٦١ — ٦٥ .

— « اذا تقرب العبد الى شبرا ، تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى مشيا ، أتيته هرولة » (٩٢) .

أو على حد تعبيره سبحانه ، فى حديث قدسى آخر :

— « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » (٩٣) .

أو على حد تعبيره صلى الله عليه وسلم :

— « فان من عباد الله ، من لو أقسم على الله لأبره » (٩٤) .

وعلى النقيض من هؤلاء ، الذين أوتوا من (عزم الأمور) النصيب الأكبر ، فوصلوا الى هذه المنزلة من الكرامة عند الله سبحانه ، نجد فريق (المنافقين) ، وهم أيضا مسلمون ، الا أنه اذا كان الفريق الأول من المؤمنين يمتازون (بالاخلاص) لله سبحانه ، فان « النفاق ضد الاخلاص .. فاذا كان الاخلاص هو أن يقصد العبد بعمله وجه الله تعالى ، فان النفاق على النقيض من ذلك ، حيث يكون المقصود بالعمل ، غير الله » ، ومن ثم كان « النفاق ضد الايمان » (٩٥) .

---

(٩٢) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء السابع (مرجع سابق) ، ص ١٩١ (من كتاب التوحيد) .

(٩٣) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الثامن — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨هـ ، ص ١٣١ (من كتاب الدعوات) .

(٩٤) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الرابع (مرجع سابق) ، ص ٢٣ (من كتاب الجهاد والسير) .

(٩٥) عبد الحميد كشك : بناء النفوس ، واثره فى التربية — ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥ م ، ص ٢٥ .

واذا كان (الاخلاص) هو الأساس الذى تقوم عليه المبادىء ، فان « النفاق هو شر ما تقابل به المبادىء ، وأخطر ما يهدد استقرارها ورسوخها فى النفوس » ، و « ذلك بأن المنافقين يظهرون بمظهر الصداقة والغيرة على مبدأ ، ويلبسون الحق بالباطل » (٩٦) ، تحقيقا لأهدافهم الدنيوية القصيرة ، فهم « لا يعرفون الا مصلحتهم ، ولا يسعون للحق الا حين تنكشف لهم هذه المصلحة » ، ولذلك فالمنافق هو « ذلك المخلوق الضعيف العقيدة ، يتمسك بعقيدته ما ناله الخير منها ، فاذا أوذى فيها ، تزعزع ، وحاد عنها » (٩٧) .

واذا كان (سلوك) (المخلصين) ، الذين (أوتوا عزم الأمور) ، سلوكا واضحا محددا ، فان سلوك هؤلاء المنافقين ، متناقض غاية التناقض ، فهو « نموذج يجتمع فيه الخداع والغفلة ، ويظن نفسه أريبا » ، « يريد الحياة بأى ثمن ، ويريدها حياة كيفما تكن » (٩٨) .

ويلاحظ العلامة أبو الحسن الندوى ، أن النفاق لم يظهر فى المجتمع الاسلامى ، فى ساعات الكفاح والجهاد والنضال ، « فى مكة ، لأن الاسلام كان هناك مغلوبا على أمره ، ولا يملك حولا ولا طولا ، ولا يملك لأحد نفعا ولا ضرا » ، « فلما انتقل الاسلام الى المدينة ، وقام المجتمع الاسلامى بجميع لوازمه ، نجم النفاق ، ورفع رأسه ، وكانت ظاهرة طبعية نفسية ، لابد منها .

ولكن وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار الوحى ، قد أمن هذا المجتمع الوليد من غائلة هؤلاء المنافقين ، ففضحهم القرآن » .

---

(٩٦) الدكتور مصطفى كمال وصفى : محمد صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل — من مطبوعات (لجنة الخبراء) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠م ، ص ٥١ .

(٩٧) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن — دار الشروق ، ص ١٧٧ .

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

« وبقى هـذا النفـاق يعمل عمله ، ويثبت وجوده ، فى المجتمع الاسلامى ، حتى فى أوج عظمته السياسية والحضارية ، بل كان أقوى وأنشط فى عهود المجد السياسى والمدنى ، لضعف التربيـة الاسلامية ، وندرة المربين الربانيين ، المزكين للنفوس ، المهذبين للأخلاق » (٩٩) .

ولأن النفاق لا يظهر الا « فى أوقات الهدوء والدعة ، (حيث) يستطيع كل فرد أن يدعى الايمان والاخلاص ، بل يستطيع أن يدعى أعلى درجات الفداء ، من أجل عقيدته ووطنه وقومه ، وقـد يكون أقدر على الادعاء من غيره ، اذا أوتى فصاحة قول ، أو سيولة قلم » (١٠٠) ، كان « لا يمـارس النفاق فى توجيه الدين عادة ، الا من أوتى حرفة الدين ، والاسترزاق منه » ، « الا من لا يستطيع أن يمارس عملا آخر فى الحياة ، سـوى أداء رسـوم الدين للآخرين » ، من « الحكام ، وأصحاب العهود السياسية المختلفة » ، و « لأن النشاط العقلى للمنافق لا يساعده على أن ينسب الى الدين جديدا » ، فان نشـاطه « يتركز فى التحايل » ، على ألا « يصادق ولا يخاصم » ، « لأن الصداقة تتطلب وفاء ، قـد يؤذيه أداؤه » ، و « لأن الخصومة تتطلب معارضة ، قـد تضر مباشرتها منفعته الخاصـة ، وهـو قـد طبع على تجنب الضرر والايذاء ، ما استطاع الى ذلك سبيلا » (١٠١) .

ولأن الاسلام دين قام على تحقيق (حرية) الانسان ، ووضـع (المبادرة) فى يده ، وبالتالى على تحميله المسئولية كاملة ، « كان يوم الهجرة ابتداء التاريخ فى الاسلام » ، على حـد تعبير المرحوم عباس

---

(٩٩) ابو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة ، فى الحكومات والبلاد الاسلامية ـــ الطبعة الثالثة ـــ المختار الاسلامى ، للطبـاعة والنشر والتوزيع ـــ ١٩٧٦ ، ص ٨ ، ٩ .

(١٠٠) الدكتور عبد العزيز كامل : دروس من غزوة احد ـــ الجـزء الثانى من (الدين والحياة) ـــ الطبعة الأولى ـــ الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى (امانة الدعوة والفكر) ـــ رقم (٧) ـــ ١٩٦٨ ، ص٦٨ .

(١٠١) الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى ، والمجتمع المعاصر (مشكلات الحكم والتوجيه) ـــ الطبعة الثانية ـــ دار الكتـاب اللبنانى ـــ ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

العقـاد ، « ولم يكن يوم بدر ، أو يوم ولادة النبى ، أو يوم حجـة الوداع » ، فان « كل يوم من هـذه الأيام ، كان فى ظـاهر الرأى ، وعاجل النظر ، أولى بالتـأريخ والتمجيد ، من يوم الفـرار بالنفس والعقيدة فى جنح الظـلام .

فالرجل الذى اختار يوم الهجرة ، بدءا لتاريخ الاسلام ، قد كان أحكم وأعلم بالعقيدة والايمان ومواقف الخلود ، من كل مؤرخ ، وكل مفكر ، يرى غير ما رآه ، لأن العقائد انما تقاس بالشدائد ، ولا تقاس بالفوز والغلب : كل انسان يؤمن حين يتغلب الدين ، وتفوز الدعوة ، أما النفس التى تعتقد حقا ، ويتجلى فيها انتصار العقيدة حقـا ، فهى النفس التى تؤمن فى الشدة ، وتعتقد ، ومن حولها صنوف البلاء»[١٠٢] .

وبعـد :

رأينا أن الخريطة التى يتوزع عليها (المسلمون) ، تتسع بشكل واضح ، لتجمع بين المؤمنين المخلصين ، وبين أولئك الذين (يستغلون) الاسلام لتحقيق أهدافهم الدنيوية ، و (يسخرونه) لمصالحهم الخاصة ، بحيث يجتمعون مع الكفار وألد أعداء الاسلام على صعيد واحـد ، فى مواجهة المؤمنين المخلصين . ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم ، من الاشارة اليهم ، أو الحديث عنهم ، وعن أعمالهم ومخاطرهم، بوصفهم (طابورا خامسا) ، يعيش بين المسلمين ، بل وربما كانوا ممن يتزعمون أمور حياتهم أيضا ، ومن أمثلة ما يذكره القرآن الكريم عنهم ، قوله سبحانه ، فى سورة النساء :

— « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسـوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا . ان الذين آمنوا ثم

---

(١٠٢) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م ، ص ١٧٩ .

كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا ، لم يكن الله ليغفر لهم ، ولا ليهديهم سبيلا • بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما • الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟ فان العزة لله جميعا • وقد نزل عليكم فى الكتاب ، أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ، ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا • الذين يتربصون بكم ، فان كان لكم فتح من الله ، قالوا : ألم نكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا • ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا • مذبذبين بين ذلك ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٠٣) •

وفى كتاب عنوانه (المسلمون وتحديات العصر) ، يتخذ من أحوال المسلمين محورا من محاوره ، أرى أنه لابد أن يختم هذا المحور — موضوع الفصل الأول — بسؤال ، يتعين على كل مسلم أن يسأله لنفسه ، واذا صدقت نية السائل ، فسوف يجد الاجابة سهلة وواضحة وقريبة ، بنظرة سريعة الى نفسه وما يسلك فى حياته ، وبنظرة سريعة أيضا الى المحيطين به ، ومن يتعامل معهم فى حياته اليومية ، من •• المسلمين — وهذا السؤال هو :

— الى أى فئات المسلمين السابقين ، يمكن أن ننسب غالبية المسلمين المعاصرين ؟

وبعبارة أخرى : هل معظم المسلمين اليوم ، من المسلمين المخلصين ، الذين قبلوا (المبادرة) ، ومارسوا — بالفعل — حريتهم ، التى أهداها الاسلام لهم ، أم أنهم من الفريق الذى تتحدث عنه الآيات السابقة — فريق المنافقين ؟

---

(١٠٣) قرآن كريم : النساء — ٤ : ١٣٦ — ١٤٣ .

وربمـــا كان خير ختـــام لهـــذا الفصل الأول ، وعنوانه (الاسلام والمسلمون) ، ذلك (التحذير) الذى يوجهه ربنا سبحانه ، الى حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وهو تحذير لكل المؤمنين به أيضا :

ــ « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخـــذوك خليلا • ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصـــيرا » (١٠٤) •

(١٠٤) قرآن كريم : الاسراء ــ ١٧ : ٧٣ ــ ٧٥ .

الفصل الثانى

المجتمع الاسلامى

تقـــديم :

المتتبع لكتب سلسلة (الاسلام وتحـديات العصر) ، يلاحظ ـ بسهولة ـ أنهـا دارت حول ثلاثة محاور ، دار المحور الأول منها حول (الانســان ـ من الداخل) ، ودار المحـور الثانى حـول (المجتمع الاسلامى) ، ودار المحور الثالث حول (المجتمع الدولى) ، الذى يعد المجتمع الاسلامى جزءا منه ، بانتسابه اليه ، أراد أم لم يرد •

وقـد بدأ المحور الثانى بالكتاب السابع من كتب السلسلة (قضية الحرية ، وقضايا أخـرى) ، ومر عبر الكتاب الثامن (الأسرة المسلمة والأسرة المعـاصرة) ، والكتاب التاسع (المـلامح العـامة للمجتمع الاسلامى) ، والكتاب العاشر (ديناميات المجتمع الاسلامى) ، والكتاب الحادى عشر (الحضارة الاسلامية والحضارة المعاصرة) ، ثم انتهى بالكتاب الثانى عشر (الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة) •

وليس من هدفنا فى هـذا الفصل ، تلخيص الكتب السابقة ، التى دار حولها المحور الثانى ، وانما هدفنا هو نفس هدفنا الذى اتخذناه فى الفصل الأول ، وهو الوقوف على مدى (أقتراب) المجتمع الاسلامى المعاصر ، من الاسلام ، كدين ، وكنظام ، مستعينين ـ بطبيعة الحال ـ ببعض ما توصلنا اليه من معلومات وحقـائق ، فى تلك الكتب ، وعند الحاجة الى هذه الاستعانة •

الفـــرد المسلم ومجتمعه :

دار الكتاب الســـابع من كتب السلسلة كله تقريبا حـــول بعض (الشعارات) ، التى صارت ترفع اليوم على الساحة الدولية ، و « ليس لها رصيد فى عالم الواقع » ، « خـــداعا للمطحونين فى هـــذا العالم ، وما أكثر هؤلاء المطحونين فيه » [١] ، على نحو ما استهللنا الفصل الأول من هـــذا الكتاب — وفى هذا الكتاب ، استعرضنا قضايا الحـــرية ، والمساواة ، والاخاء ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والعدالة ، وغيرها ، ووصلنا — فى الفصل الأخير من الكتاب — الى أن مثل هذه الشعارات ، التى تقوم عليها (النظم) المعاصرة ، ان هى الا « محاولات (للتشويش) على عقل الانسان ، بغيـــة الســـيطرة عليه » [٢] ، تماما كما كانت (الجاهليات) القديمة تفعل ، مع فارق واحـــد فقط ، هو الفارق « فى الأسلوب وحده ، أما الهدف ، فهو واحد ، وأما الاستراتيجية ، فهى واحدة أيضا » [٣] .

ولم يكن متاحا — وسط زحام الشعارات هـــذا — أن يسمع أحد صوت العقل ، كما يمثله الاسلام ونظامه ، بل على العكس من ذلك ، كان (سلوك) المسلمين أنفسهم ، وهو سلوك بعيد عن الاسلام ، على نحـــو ما ســـنرى ، ولأســـباب سنراها أيضـــا ، ســـلوكا يقـــوى من موقف الأيديولوجيات المعاصرة ، وهى تحارب الاسلام ، حتى فى عقـــر داره — فى بلاد المسلمين أنفسهم — على نحو ما سنرى .

وفى كل قضية تعرضنا لها فى الكتاب ، رأينا أن النظام الاسلامى ، هو النظام الوحيد ، الذى يرعى مصلحة الانسان — فردا وجماعة — اذا نحن رجعنا الى هـــذا النظام الاسلامى ، فى أصوله — فى الكتاب والسنة ، وفى عصور الاسلام المزدهرة .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى — الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العـــربى — يناير ١٩٧٩ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وقـد رأينا ــ فى كتابنا السابع من كتب السلسلة ــ أن (تفوق) النظام الاسلامى ، على غيره من النظم ، القديمة والمعاصرة على السواء ، يعود الى أنه يتخذ من (الانسان الفرد) منطلقه ، ومحـور تفكيره ، بصورة لا تضيع فيها مصلحة الجماعة ، على نحو ما نرى فى (الليبرالية) الغربية ، ولا تذوب فيها (ذات) الفرد فى اطار الجماعة ، كمـا نرى فى الديموقراطية الاشتراكية ، وذلك بزرعه معنى (التوحيد) فى قلب الانســان المســلم ، حيث يعتبر « التوحيد » هـو الصـورة المثلى للتحرر »[٤] ــ على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، وهو يعتبر كذلك ، لأنه عندما يزرع فى نفس ، انما سيكون بها « اشعاع داخلى » ، يرفعها « الى درجة من السمو ، تكون بها أقدر على أن تفعل الخـير ، وتقيم العدل ، وتحق الحق »[٥] ، وهى كلها معـان ، تتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه الانسان المسلم ، قبل أن تتصل بأى شىء آخر .

والنظـام الاسلامى لا يتخذ من الانسان الفرد منطلقه ، بوصفه مجرد (مخلوق) ، له حقوقه الواجبة ، كما تفعل الديموقراطية الغربية ــ الليبرالية ، بل ان الاسلام « يكرم الفرد ، ويعتبره خليفة فى الأرض ، فيما اذا عرف الانسان واجبه ، فقام بأدائه على الوجه المطلوب »[٦] .

وبالرغم من أن الاسلام يعتبر الانسان الفرد خليفة الله في الأرض ، الا أنه يراه (انسانا) ، له كيـانه الفيزيقي ، الذى (يقيده) بقيود معينة ، ومن ثم فهو يتعـامل معـه من (حيث هو) ، و « المجتمع الاسلامى ــ بانتسابه الى الاسلام ــ لم يخرج عن كونه مجتمعا بشريا ، يتكون من أفراد ، لهم ميول فردية ، توحي بها طبائعهم ، ككائنات حية ،

---

(٤) سيد قطب : فى ظلال القـرآن ــ المجلد الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٩٢ .

(٥) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى (مرجع سابق) ، ص ٦٣ .

(٦) محمد فاضـل الجمالى : دعوة الى الاسـلام (رسائل من والد فى السجن الى ولده) ــ الطبعـة الأولى ــ منشورات دار الكتـاب اللبنانى للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٣ ، ص ١٢٠ .

لهما من فطرتها غرائز مختلفة ، بجانب ما تميزت به من قدرة على التفكير » .

« ولهذا يقر الاسلام : ميل الانسان الى التملك ، وميله الى النسل ، وميله الى الاطلاع والمعرفة ، وميله الى الاجتماع . يقر الاسلام ميل الانسان الى حب الذات ، وكذا ميله الى مشاركة الغير مشاركة وجدانية . يقر الاسلام هذه الميول للانسان ، ويقر غيرها ، مما له من طبيعته » .

« ودور الاسلام ازاء هـذه الطبائع البشرية ، لا يتعدى توجيهها وتهذيبها » [٧] .

بل ان ما يراه غير الاسلام فى الانسان من (شر) ، يراه الاسلام (خيرا) ، طالما كان مركبا فيه ، وجزءا من تكوينه ، كما نرى فى الجنس ، الذى شنت عليه المسيحية جام غضبها ، فكان فى الاسلام (نعمة) كبرى ، أو على حد تعبير الامام الغزالى : « أن شهوة الجماع ، خلقت فيه لتكون باعثة على الجماع ، الذي هو سبب بقاء النوع الانسانى ، فيطلب النكاح للولد والتحصن ، لا للعب والتمتع ، وان تمتع ولعب ، كان باعثا عليه التآلف والاستمالة ، الباعثة عن حسن الصحبة ، وادامة النكاح » [٨] — والفكرة برمتها لم يبتدعها الغزالى ، وانما هو أخذها من الاسلام ، وخاصة أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما رأينا فى الفصل السابق [٩] . ومن « المعروف أن تحريم الزنا فى الاسلام ، لا ينبعث عن كراهية الجنس ، بل عن احترام الجنس ، وتنزيهه عن العبث ، وارتفاع بشأن المرأة ، عن أن تكون أداة لمتعة

---

(٧) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم — الطبعة الخامسة — مكتبة وهبة — القاهرة — رجب ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٣٣٧ .

(٨) معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس — تأليف حجة الاسلام ، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى — الطبعة الثانية — منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٨٩ .

(٩) ارجع الى ص ٣٥ ، ٣٦ من الفصل السابق .

الرجل » (١٠) .

وإذا كان الاسلام (يبيح) للمسلم أن (يشبع) حاجاته ، بل وينظم له هذا الاشباع ، ويدفعه اليه دفعا ، فانه يحول بينه وبين أن يبالغ فى اشباع حاجاته وشهواته ، حتى لا يصير لها عبدا ، « فالاسلام عدو الترف والسرف والبطر والخيلاء ، وقد أعطى أمته العبرة بمصاير أمم قبلها ، أفسدها الترف ، وكان فيها ذريعة فسق وفجور ، وضلال وهلاك » ، وهو اذ « يمنعنا » « من ضراوة الشره ، وعبودية الشهوات، ووثنية المادية ، يوسع علينا فيما أحل الله لنا من طيبات الدنيا وزينتها الحلال » (١١) .

وقد كانت مراعاة الاسلام لحاجات الفرد ، واستجابته لها ، وتنظيمه لشئونها ، هى سر خلود الاسلام ، وسرعة انتشاره ، فالاسلام — على حد تعبير جب Gibb — « ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات . أنه أعظم من ذلك كثيرا . هو مدنية كاملة » . و « يشمل الاسلام مزيجا كاملا من الثقافات ، التى نمت حول الأصل الدينى ، أو ارتبطت به فى معظم الأحوال ، مع تعديل قليل أو كثير ، فهو مزيج ذو خصائص ، يتميز بها فى تكوينه السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، وفى تصوره للقانون ، وفى نظرته الخلقية ، ونزعاته العقلية ، وأساليبه فى الفكر والعمل . وهو بعد يضم عددا عظيما من الشعوب المختلفة ، فى الجنس واللغة والخلق والاستعدادات الموروثة ، غير أنها على اختلافها ، مرتبطة ، لا بوشيجة العقيدة المشتركة فحسب ، ولكنها ترتبط ارتباطا أشد قوة ، بتشاركها فى ثقافة واحدة ، وخضوعها لشريعة

---

(١٠) أنور الجندى : التفسير الاسلامى للفكر البشرى : الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة ، فى ضوء الاسلام — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١١) دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : الشخصية الاسلامية ، دراسة قرآنية — الطبعة الثانية — دار العلم للملايين — بيروت — آيار (مايو) ١٩٧٧ ، ص ٧١ .

واحدة ، واتخاذها تقاليد واحدة » (١٢) .

وهكذا ، كان من ميزات النظام الاسلامى ، بالنسبة للانسان المسلم ، أنه « ليس مجرد تقاليد روحية » ، « ولكنه اطار أيديولوجى متكامل أيضا » (١٣) ، فهو « منهاج كامل للعقيدة والقيم الأخلاقية . انه نظرية اجتماعية شاملة » . « انه أيديولوجية تامة ، تعتبر كل مظاهر الحياة ، الأدبية منها والمادية ، الروحية والعقلية ، الفردية والاجتماعية ، كلا لا يتجزأ » . ثم « ان معتنقيها لا يمكن أن يعيشوا حياة اسلامية صحيحة ، بمجرد اعتناقهم لعقائد الاسلام ، بل عليهم أكثر من ذلك » ، « أن يوفقوا بين مظاهر سلوكهم ، وبين مطالب العقيدة ، التى يعتنقونها » (١٤) — مما يعنى تحول الاسلام كدين ، الى سلوك حى يعاش ، يصير فى حياة المسلم عادة ودأبا ، وجزءا لا يتجزأ من شخصيته ، التى يحياها طوال حياته .

وكان من ميزاته كذلك ، أنه يضع حاجات الفرد فى الاعتبار ، بل انه يعطيها الاعتبار الأول ، فيما يشرعه له ، وفيما يأمره به ، وفيما ينهاه عنه ، وفيما سيكون عليه حسابه يوم القيامة :

— « ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (١٥) .

---

(١٢) هـ. أ. ر. جب وآخرون : وجهة الاسلام ، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى — اشرف على تحريره الأستاذ (جب) — ونقله عن الانجليزية : محمد عبد الهادى ابوريدة — المطبعة الاسلامية — القاهرة — ١٩٣٤ ، ص ٩ (من الفصل الأول للأستاذ هـ. أ. ر. جب) .

(13) MODAWI, ALI KHALID : A Theoretical Basis For Islamic Education ; Thesis Submitted to the University of Wales, in Candidatture for the Degree of Philosophiae Doctor, April 1977, p. 300.

(١٤) محمد اسد : منهاج الاسلام فى الحكم — نقله الى العربية : منصور محمد ماضى — الطبعة الثانية — دار العلم للملايين — بيروت — كانون الثانى ١٩٦٤ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(١٥) قرآن كريم — مريم — ١٩ : ٩٣ — ٩٥ .

والآخرة — المخيفة فى الفكر الدينى غير الاسلامى — ليست غريبة عن الانسان فى الاســلام ، فان « الدنيا والآخرة فى نظر الاســلام ، مرحلتان من مراحل الحياة المتصلة ، التى لا تنقطع ، أولاهما مرحــلة السعى والعمل ، وثانيتهما مرحلة النتائج » (١٦) — والانسان — فى مرحلة السعى والعمل — المرحلة الأولى — الدنيوية — « مخلوق للدنيا وللآخرة معا ، للجسد والروح معا ، للنشاط العملى فى هــذه الحياة ، وللسبحات الروحية فى سبيل حياة آخرة » (١٧) .

ووضع هــذه الحاجات اللازمة لكل انسان ، فى اطار (التوحيد) ، هو الذى يخلق الانسان خلقا جديدا ، فيجعله غير الانسان الذى لا يؤمن بالاســلام ، رغم (تشــابه) تصرفاتهما فى الظاهر ، فكلاهما يأكل ، وكلاهما ينام ، وكلاهما يلبس ، ولكن : فرق بين أكل وأكل ، ونوم ونوم ، ولباس ولباس . ان التوحيد هو الذى (يشكل) (ضمير) الانســان المسلم ، لأن « الايمان فى الاســلام ، ليس مجــرد الاعتراف بحقيقة معينة ، بل هو يعنى قبول هــذه الحقيقة ، كأساس يقوم عليه سلوك الفرد » (١٨) ، ومن ثم « يستشعر الانسان — فى نفسه ، وفى أعماقه — قوة معنوية ، تصده عن العمل القبيح ، وتحرضه على التصرف الحميد ، وهــذه القوة ، هى التى يعبر عنهــا فى الاســلام ، بالخوف من الله ، أو خشية الرب بالغيب ، أو محاسبة النفس ، أو مراقبة الخالق » (١٩) .

---

(١٦) ابو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية — نقله الى العربية : احمــد ادريس — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٤ .

(١٧) دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر — الطبعــة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ ، ص ٢١٩ .

(18) AL - QUADIREE, ATAWOOLLAH ALI SARFARAZ KHAN JOOMAL : The Path of Islam ; The World Federation of Islamic Missions, South African Branch p. 22.

(١٩) الدكتور أحمد الشرباصى : الدين والمجتمع — المطبعة العربية — مصر — ١٩٧٠ ، ص ٩ .

ومن ثم يتميز المسلم عن غير المسلم « (بالوحدة الأخلاقية) ، و « الوحدة الأخلاقية في الشخصية ، معناها أن الداخل لا يصح الا بالخارج ، وأن الخارج لا معنى له ، الا بصحة الداخل » [٢٠] .

و (الوحدة الأخلاقية) عند الانسان المسلم ، تختلف في (وجهتها) عن الوحدة الأخلاقية عند غيره ، لأن (التوحيد) يجعل المسلم يسلم « نفسه لله ، ويتوجه بكل مشاعره نحوه سبحانه ، حتى يصل الى مقام من اللاشعور ، حيث يشعر بأنه أمام الله ، وأنه يرى خالقه وبارئه » [٢١] ، ومن ثم فهو يتقيه في كل ما يفعل ، ويصبح « انسانا فاضلا ، يسارع الى فعل الخير ، ويبتعد عن فعل الشر » [٢٢] ــ بينما غير المسلم ، ببعده عن هذا (التوحيد) ، لا تنبع الفضيلة من أعماقه ، وانما هو (يصطنعها) إصطناعا ، ليعيش في مجتمع (يطلب) هذه الفضيلة ، أو هو يسلك سلوك الرذيلة ، ان لم يجد ما (يضطره) الى الفضيلة .

الأخلاق الاسلامية :

الخلق ــ لغة ــ هو « حال للنفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال ، من غير حاجة الى فكر وروية » [٢٣] ، أو هو « السجية » [٢٤] ، أو هو

---

(٢٠) الدكتور سيد أحمد عثمان : المسئولية الاجتماعية ، والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية) ــ مكتبة الإنجلو المصرية ــ ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م ، ص ١٣٤ .

(٢١) وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته ــ ترجمة ظفر الاسلام خان ــ الطبعة الأولى ــ المختار الاسلامي ، للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٩٧٣ ، ص ٣٣ .

(٢٢) عبد الرحمن النجار : كلمات على طريق الايمان ــ رقم (١٢٩) من (دراسات في الاسلام) ــ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ــ السنة الحادية عشرة ــ ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢م ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢٣) المعجم الوسيط ــ الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٥٢ .

(٢٤) مختار الصحاح (مرجع سابق) ، ص ٢٠٦ .

« السجية — الطبع — المزاج » ، أو « الصفة » [٢٥] : « Nature

Temper, Disposition » [٢٦] .

والخلق عكس التخلق ، فبينما الخلق سجية وطبع ، نجد التخلق هو تصنع الخلق ، يقال « فلان (يتخلق) بغير خلقه ، أى يتكلفه » [٢٧] .

ولكل انسان — على هذا الأساس — خلقه ، يدل عليه طبعه ومزاجه وسجيته ، وأفعاله وتصرفاته ، حسنا كان هذا الخلق أو سيئا ، أو جامعا بين الحسن والسوء ، على نحو ما ، والخلق بالنسبة للانسان دليل عليه ، كالشخصية سواء بسواء .

ولا يجمع الخلق على أخـلاق ، الا اذا أريد بهذا الجمع الدلالة على (تنوع) الخلق ، بتنوع (الأشخاص) الذين يصدر عنهم هـذا الخلق ، و « علم الأخلاق : علم موضوعه أحكام قيمية ، تتعلق بالأعمال التى توصف بالحسن أو القبح » ، و « (الأخـلاقى) : هو ما يتفق وقواعد الأخلاق ، أو قواعد السلوك المقررة فى المجتمع » [٢٨] .

وهكذا لا توجد الأخلاق من فراغ ، وانما هى بنت بيئتها : زمانها ومكانها ، ومن ثم فهى تختلف من مجتمع الى مجتمع ، ومن عصر الى عصر ، اختلافا يصل الى حـد التناقض ، فما هـو (مرغوب فيـه) فى مجتمع ، قـد يكون كريهـا فى مجتمع آخر ، وما ينفر منه أبنـاء مجتمع ما ، قـد يقبل عليه أبناء مجتمع آخر ويحبونه .

وتلعب القيم الدينية دورها الواضح ، فى تحديد معالم الأخلاق ، سواء كان الدين دينا سماويا أو دينا وضعيا ، اذ المقصود بالدين هنا

---

(25) Al-NAHDA DICTIONARY, English - Arabic, Compiled by ISMAIL MAZHAR, Revised by : MOHAMMED BADRAN and I. ZAKI KHORSHID, Volume Two ; First Edition, The Renaissance Bookshop, Cairo, p. 2218.

(٢٦) اليـاس انطون اليـاس ، وادوار ا. اليـاس : القـاموس العصرى (مرجع سابق) ، ص ١٩٨ .

(٢٧) مختار الصحاح (مرجع سابق) ، ص ٢٠٦ .

(٢٨) المعجم الوسيط — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٥١ .

هو « مجموعة الأفكار والآراء والمعتقدات ، التى تتعلق بالحياة وما بعد الحياة ، والتى يتوصل اليها (فيلسوف) عبقرى ، وقد تكون متفقة مع العقل والمنطق ، وقد لا تكون ، وقد تكون قريبة فى تصوراتها من الأديان السماوية ، وقد لا تكون » (٢٩) — أو هو — أى الدين — « الدين كما عاشه الانسان ، أى الدين ، لا كما أراده الله ، وكما يريد أن يكون ، بل الدين كما فهمه وطبقه الانسان » (٣٠) .

واذا كان « الدين — فى أبسط تعريفاته — هو تفسير للحياة ، تفسيرا يكون له أثره ، على الفرد وعلى المجتمع على السواء » (٣١) ، واذا كانت « العقيدة الدينية ، هى فلسفة الحياة ، بالنسبة الى الأمم التى تدين بها » (٣٢) ، واذا كانت « تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين فى جميع حركات التاريخ الكبرى » ، و « أنه لم يكن قط عاملا من عوامل الحركات الانسانية ، عامل أقوى وأعظم من عامل الدين » (٣٣) ، حيث « يولد الانسان ، وبه ايمان فطرى ، بوجود قوة خفية ، تسيطر عليه ، وعلى الحياة من حوله .. قوة يفزع اليها عند الحاجة ، ويطمئن بوجودها فى حياته » (٣٤) — اذا كان ذلك كذلك ، فان تأثير (القيم الدينية) فى تشكيل الأخلاق ، يكون هو التأثير الأقوى على الاطلاق .

وتغدو على ذلك كل الأخلاق — فيما عدا أخلاق الاسلام — أخلاقا (وضعية) ، بمعنى أنها (من صنع البشر) ، لأنها تنتمى لأديان ، هى

---

(٢٩) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٣١ .

(٣٠) أدونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الاتباع والابداع عند العرب — ١ (الأصول) — الطبعة الأولى — دار العودة — بيروت — ١٩٧٤ ، ص ١٥ (من الاستهلال ، بقلم الأب الدكتور بولس يونا اليسوعى) .

(٣١) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ٨٤ .

(٣٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الاسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٧ (من المقدمة) .

(٣٣) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ١٩ .

(٣٤) عبدالرزاق نوفل : الله ، والعلم الحديث — الناشرون العرب — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧١ ، ص ١٥ .

(من صنع البشر) أيضا ، دون أن نستطيع أن نستثنى من ذلك الأديان الكتابية ، التى امتدت اليها أيدى البشر بالتحريف ، على نحو ما سنرى ، فصارت بذلك كالأديان الوضعية ، سواء بسواء .

فبالنسبة للأديان الوضعية ، كانت مهارة صاحب الدين ، أو واضعه ، فى (فلسفة) النظام الاجتماعى القائم ، وتحديد معالمه أو ملامحه ، فى صورة (اجرائية) ، يرضى عنها الناس ، « ومن أجل ذلك ، عملت ديانات الهند — مثلا — على الابقاء على النظام (الطبقى) الذى وجدته ، وأبقت على (المنبوذين) — بلا ذنب جنوه — منبوذين » ، « أما الديانات السماوية ، فقد عملت على هدم هذا (النظام) ، طالما كان فاسدا » ، « ومن ثم اصطدمت بكل نظام ظهرت فيه ، ولقيت — ولقى أتباعها — العنت والارهاق » [٣٥] ، وهو عكس ما حدث للأديان الوضعية ، التى وجدت الحماية والتأييد ، من السلطة الحاكمة ، ووجدت الاقبال التام ، من (النظام) الاجتماعى القائم كله ، بقدرتها على التعبير عنه .

أما بالنسبة للأديان السماوية ، فالباقى منها لنا هو اليهودية والمسيحية ، وما حدث فيهما ولهما لهو أكبر دليل على ما أصابهما من تحريف ، استدعى نزول الاسلام ، ووعد الله سبحانه بحفظه ، حتى تقوم الساعة :

— « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » [٣٦] .

فبالنسبة لليهودية ، رأينا فى كتابنا الثالث عشر من كتب السلسلة ، أن التوراة المتداولة بين اليهود اليوم ، غير التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام ، وأن علماء اليهود كتبوها ، ليكون لليهود كتاب يجتمعون عليه ، بدلا من تفرقهم [٣٧] .

---

(٣٥) دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والايديولوجيات المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٥٤ .
(٣٦) قرآن كريم : الحجر — ١٥ : ٩ .
(٣٧) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

وهكذا ، تستوى التوراة ، مع أى كتاب آخر غير سماوى ، فى أنه من صنع البشر ، لارضاء البشر الذين كتب لهم الكتاب ـ وهم هنا اليهود .

أما المسيحية ، فقد رأينا فى الكتاب السابق من كتب السلسلة ، أنه لم تكن هناك مسيحية واحدة ، بل مسيحيات متعددة ، بعد (اضطرار) المسيحية الى الانتقال من أرض اسرائيل ـ حيث نزلت أصلا ـ الى البلدان المجاورة ، وهناك اختلطت بالديانات التى كانت موجودة بها لتتمكن من أن تعيش ، حتى تحولت « المسيحية (الموحدة) ، التى بشر بها المسيح ، عيسى بن مريم » ، « الى ديانة وثنية ، تقوم على التثليث ، على مرحلتين :

الأولى منهما كانت على يد شاءول ، الذى يدعوه النصارى باسم (بولس) ، أو « بولس (الرسول) » .

«أما المرحلة الثانية ، فانتشرت فيها فرية بولس ، بقوة السيف ، وجبروت السلطان ، وذلك فى المجمع الأول من المجامع المسكونية النصرانية ، المنعقد عام ٣٢٥ م ، ويسمى مجمع نيقية » (٣٨) .

وهكذا لا نبالغ ، اذا نحن قلنا ان الأخلاق الموجودة فى العالم الآن كلها أخلاق (وضعية) ، بمعنى أنها من صنع البشر ، لا يستثنى من هذه الأخلاق ، سوى الأخلاق الاسلامية ، فهى وحدها الأخلاق الربانية ، المحفوظة أصولها فى القرآن الكريم ، كاطار عام عريض ، والمطبقة عمليا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، من أحاديث ، وما نقرأ عنه من سنة نبوية

---

(٣٨) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام ـ الكتاب الرابع عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ يناير ١٩٨٤ ، ص ٨٥ .

وارجع كذلك الى :

ـ دكتور محمود محمد مزروعة : دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان ـ ١٩٧٩ ، ص ٩٦ ـ ١٠٣ .

مطهرة ، بل وعلى نحو ما نقرأ من سيرة السلف الصالح ، رضى الله عنهم ، اقتداء به صلى الله عليه وسلم .

وتتشعب هــذه الأخلاق الاسلامية ـــ الربانية تلك ، حتى تشمل الحياة كلها ، وهى فى ذلك تتسع اتساع الاسلام ذاته ، لتشمل ـــ على نحو ما سبق ـــ الفرد والجماعة ، والدنيا والآخرة ، والجسد والروح ، وكل صغيرة وكبيرة ، فى حياة الفرد المسلم ، والجماعة المسلمة بالتالى ، فالجماعة لا تعدو أن تكون مجموع أفرادها ـــ كما هو معروف .

واذا كان الاسلام يقوم على (تحرير) الانسان أساسا ، على نحو ما سبق فى الفصل الأول [٣٩] ، ويقوم ـــ نتيجة لذلك ـــ على وضــع (المبادرة) فى يده ، لأول مرة فى تاريخ الفكر الدينى ، كمــا سبق فيه أيضا [٤٠] ، فان الأخــلاق الاســلامية لا تقوم بمعزل عن هــذين الأساسين ، ومن ثم فهى تقوم على (تنميــة الضمير) لدى الفــرد المسلم ، فالاسلام « لا يفرض القــوانين بالقــوة ، ولا يمهد لهــا فى نفــوس النــاس باللــين ، الذى يؤلف نافرها ، ويروض اباءها على الانقياد والطاعة ، لأنه ليس فى حاجة الى شىء من ذلك ، فانمــا يحتاج الى عسف الشدة ، أو ألفة الملاينة ، من يخترع القوانين اختراعا ، ويبتدع التكاليف على وفق ما يسنح له من خــواطر ، أو يؤديه اليه الاجتهــاد .

أما الاسلام ، فلا يبتدع ولا يخترع ، فانه فطرة الله فى الناس ، ونواميسه فى الكون ، وحقائقه السافرة » ، « وما على الانسان الا أن يدرك نفسه ، ويبصر ما حوله بعين فكره ، كما يبصره بعينه العادية .. فاذا أبصر ووعى ، استطاع أن يلائم بين نفسه وبين ما يرى ، وأن ينظم سلوكه وعلاقته ببنى جنســه ، على مقتضى ما يهــديه اليــه ذلك

---

(٣٩) ارجع الى ص ٣٦ ، ٣٧ من الكتاب .
(٤٠) ارجع الى ص ٢٩ ـــ ٣١ من الكتاب .

الاستبصار » (٤١) .

وبهذا (الاستبصار) ، على حـد تعبير المرحوم البهى الخولى ، استطاع الاسلام أن يشق طريقه الى قلوب متبعيه ، وأن يتحول — من خلالهم — الى (نظام) ، لأن الاصلاح — أيا كان نوعه — « لن ينجح » ، « ولن يكون فعالا ، الا اذا انبثق من أعماق الذات ، وكأنه أمر باطنى ، يتحدى كل عائق ، وكل ضغط خارجى » (٤٢) — على حد تعبير الدكتور محمد عزيز الحبابى .

و (ببساطة) تامة ، على حـد تعبير السير توماس أرنولد ، كان « نجاح الدعوة الى الاسلام » ، يعود الى « بساطة العقيدة الاسلامية ، لا اله الا الله ، محمـد رسـول الله » ، فهى « لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان ، ولا تثير فى العادة مصاعب عقلية خاصة » (٤٣) . وما أن يقبل المسلم هـذه العقيدة ، حتى « تتشابك مع نظام حياته اليومية ، تشابكا لا سبيل الى الفكاك منه ، تجعل المسلم اماما ومعلمـا لعقيدة ، أكثر ، الى حد بعيد ، مما هى الحال مع أنصار معظم الديانات الأخرى » (٤٤) .

ومن أجل ذلك ، كانت « السرعة العظيمة ، التى تم بهـا انتشار دين النبى العربى فى العالم ، ظاهرة من أكثر ظواهر التاريخ ، اثارة للدهشة والاستغراب ، فقد ظلت المسيحية طوال قرون ، تخفى نفسها فى الزوايا والمنعطفات ، والى ذلك الحين ، وليس قبله ، غـدا بوسعها أن ترفـع رأسها ، بين مذاهب العالم . أما الاسـلام ، فخلال فترة

---

(٤١) البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظـرية والتطبيق — مكتبـة وهبـة — القاهرة ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤٢) الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٣٣ .

(٤٣) سير توماس و. ارنولد : الدعوة الى الاسـلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية — ترجمه الى العربية وعلق عليه : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور عبد المجيـد عابدين ، واسماعيل النحراوى — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٧ ، ص ٤٥٤ .

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

لا تتعدى الثلاثين سنة ، بعد موت معلمه الأكبر ، شق لنفسه طريقا راسخا ، بأن نفذ الى قلب الملايين من الناس » (٤٥) .

ولم يكد القرن الأول الهجرى يصل الى تمامه ، حتى كان الاسلام قد ثبت وجوده تماما — كنظام — فى ثلاث قارات ، هى آسيا وأفريقيا وأوربا ، ولم يكد القرن الثانى الهجرى ينتهى ، حتى كان المسلمون « قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم — بغداد — عاصمة العالم الحضارية ، بدلا من اصطخر الايرانية ، ورمسيس المصرية ، وروما الأوربية » (٤٦) .

والأكثر من ذلك اثارة للدهشة حقا ، هو أنه « لما آن للامبراطورية الاسلامية أن تنحل ، بقيت هذه الحضارة (الاسلامية) ، تناضل عن نفسها ، وهى اليوم تبعث من جديد » (٤٧) .

النظام الاسلامى :

لا يميل المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز ، فى رسالته للدكتوراه ، الى اعتبار الأخلاق الاسلامية ، أخلاقا دينية ، « بمعنى أن رقابتها توجد فقط فى السماء ، وأن جزاءها فيما وراء الموت ، اذ أنها تخول هذه الصلاحيات فى نفس الوقت ، لقوتين مؤثرتين أيضا ، هما : الضمير الأخلاقى ، والسلطة الشرعية ، وليس ذلك فحسب ، بل انها تكافئ كل فرد فى الأمة ، أن يحول بكل الوسائل المشروعة ، دون انتصار الرذيلة والظلم .

وهى أيضا ليست دينية ، بمعنى أنها لا تجد دافعا اليها فى الخوف

---

(٤٥) سيد أمير على : روح الاسلام — نقله الى العربية : عمر الديراوى — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦١ ، ص ٢٣٢ .

(٤٦) وحيد الدين خان : المسلمون ، بين الماضى والحاضر والمستقبل — ترجمة ظفر الاسلام خان — مراجعة د. عبد الحليم عويس — الطبعة العربية الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ ، ص٧ .

(٤٧) الدكتور محمد حسين هيكل : الحكومة الاسلامية — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ ، ص ١٥ ، ١٦ .

والرجاء ، ولا تجد تسويغها الا فى ارادة عليا ، تملى على وجه الاستعلاء أوامرها ، مستقلة عن كل ما يقتضيه العقل ، والشعور الانسانى ، وهى ارادة يجب على الانسان أن يطيعها ، دون مناقشة أو فهم » (٤٨) •

والأخلاق الاسلامية ـ بهذا المعنى ـ ليست أخلاقا دينية بالفعل ، ولكنها ـ بالفعل أيضا ـ أخلاق دينية ، على أساس أنها لم تكن نتيجة (اختراع) الناس لها ، لمقابلة حاجاتهم اليومية ، كما حدث ـ ويحدث ـ فى الأخلاق غير الاسلامية ، وانما كانت نتيجة قبول الناس للاسلام دينا ، وترتيب أمور حياتهم اليومية ، على أساس ما (أمرهم) الاسلام به من آداب وسلوكيات ، التزموا بها تقربا الى الله • بل ان هناك من يرى أننا « فى الاسلام ليس عندنا أخلاق ودين •• عندنا دين فقط • والدين لا يتجزأ ، ولذلك فنحن اذا قلنا (أخلاقيات الاسلام) ، فانما ذلك فقط لنقرب الى الأذهان الوضعية ، المعنى الذى يفهمونه بعقولهم الوضعية » •

و « لذلك ، فالقول بتقنين أخلاقيات الاسلام ، هو قول غير ذى موضوع ، هـو مستحيل ، لأنه تقسيم للدين ، فيصير بعضه مقننا ، وبعضه بلا تقنين » (٤٩) •

ويرى الدكتور عبد العزيز الخياط ، أن « المقومات التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى » هى :

« (الأول) الأخلاق ، والقيم العليا ، التى يدعو لها الاسلام •

(الثانى) الأنظمة ، التى تنظم علاقات الأفراد ، بعضهم مع بعض •

---

(٤٨) دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن ـ تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبدالصبور شاهين ـ مراجعة دكتور السيد محمد بدوى ـ مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ، ص ٦٧٦ •

(٤٩) د• مصطفى كمال وصفى : « الفكرة الأخلاقية ، بين القانون والشريعة الاسلامية » ـ **المسلم المعاصر** ـ فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية ـ العدد العاشر ـ ابريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ •

(الثالث) تنفيذ هذه الأنظمة ، ومباشرة تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع الاسلامى •

(الرابع) العادات والأعراف السليمة ، التى لا تتناقض مع العقيدة والتعاليم الاسلامية » [٥٠] •

ويلخص شيخ الاسلام ابن تيمية ذلك كله ، فى أمر واحد جامع ، هو (العبادة) ، وهى — عنده — « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة •

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم •• » ، « وأمثال ذلك : من العبادة » [٥١] •

وهكذا ، يدخل فى صميم العبادة فى الاسلام ، (النظام) الاسلامى ذاته ، لأن هذا النظام ، هو الذي يقوم (بتنظيم) حياة الناس ، وفق ما يحقق لهم هذه العبادة ، أو على الأقل (يسمح) لهم بتنظيم أنفسهم وتنظيم حياتهم ، بحيث يحققون بأفعالهم ، معنى العبادة ، اذ أن « الاسلام لا يعزل المصنع عن المسجد ، ولا المسجد عن المصنع والمزرعة ، والمنجم ومكاتب الخدمات ومواقعها • ما يؤدى فى المسجد من صلاة ، تترجم آثاره فى العمل ، فى أى مكان » [٥٢] •

ولأن الاسلام دين كل زمان ، مثلما هو دين كل مكان ، كان الاسلام متميزا عن غيره من الأديان ، السماوية والوضعية على السواء ، ومتميزا عليها فى نفس الوقت ، بأنه جمع « بين الثبات ، الذى يمنحه الاستقرار ،

---

(٥٠) الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الاسلام — مؤسسة الرسالة ومكتبة الاقصى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣م ، ص ١٦ •

(٥١) العبودية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨ هـ) — مطبعة المدنى بالقاهرة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م • ص ٥ ، ٦ •

(٥٢) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — القاهرة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٢٤٧ •

فلا يتزحزح عن مبادئه ، ولا يتحول عن أصوله ، وبين المرونة ، التى يواجه بهـا سير الزمن ، وسنة التطور •

فهـو يجمد فى بعض الأمور ، كالصخر ، ويلين فى بعض الأمور ، كالعجين » •

فالمجتمع الاسلامى لا يذوب فى المجتمعات الأخرى ، « ولا يتبع أهواءها ، ولا يقلدها ويتشبه بهـا ، فيما هو خصائصها ، فيفقد بذلك أصالته وشخصيته المتميزة » ، « ومع هـذا ، لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، بل يستطيع أن يقتبس منها ، وينتفع بما لديها ، من معارف وخبرات ومهارات ، لا تضر بكيانه المـادى والمعنوى » (٥٣) •

وواضح أن جمود المجتمع الإسلامى كالصخر ، يكون حين يتصل الأمر بمسألة العقيدة ، وما يترتب عليها من أخلاق ، ومن ثم فان « مجال العقيدة لا يقبل التطور » ، « ولا تختلف الأخلاق الاسلامية أيضا ، من بيئة الى أخرى ، ولا من مكان الى مكان » • « أما فيما يتعلق بالتشريع ، فان كثيرا من الناس يعتقدون أن التشريع الاسـلامى متطور ، ولكن التشريع مبادىء ووسائل ، وقـد يترك بعض الوسائل غير محددة — يتركها للزمن ، ولكن المبـادىء أو الغايات ، هى هى • مثلا : مبـدأ الشورى ، لم يحدد وسيلته الاسلام ، أى أن الشورى نفسها مبـدأ اسلامى ثابت ، ووسيلة الشورى لم يحددها الاسلام ، وتركها للبيئات ، وتركها للأزمان ، يحددونها عن طريق البرلمـان ، عن طريقـة أخرى يحددونها كيفما شاءوا » (٥٤) — فالمهم « أن يقوم الحكم على أسـاس الشورى ، وأن يقوم التشريع على أساس الكتاب والسنة ، واتفـاق

---

(٥٣) الدكتـور يوسف القرضاوى : الخصائص العـامة للاسلام — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة — القاهرة — رمضان ١٣٩٧هـ — اغسطس ١٩٧٧ م ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ •

(٥٤) الدكتور عبد الحليم محمود : منهج الاصلاح الاسلامى فى المجتمع — مطبوعات دار الشعب بالقـاهرة — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ٢٨ (من المقدمة) •

الامام والرعية ، ولا ضير بعد ذلك أن يتبعوا هذا النظام أو ذاك »(٥٥) .

ويضيف العلامة أبو الحسن الندوى الى الجانبين السابقين ، جانبا آخر ثالثا ، لا يقل عنهما أهمية ، وهو جانب الرجال ، الذين (يصنعهم) الاسلام على يديه ، فقد تكفل الاسلام « بأن يمنح هــذه الأمة ، التى قضى ببقائها وخلودها ، رجالا أحياء أقوياء ، فى كل عصر ، ينقلون هذه التعاليم الاسلامية ، الى الحياة ، ويعيدون الى هــذه الأمة ، الشباب والنشاط . ان هــذا الدين نفسه ، هو من أقوى العوامل فى وجــود هؤلاء الأشخاص ، فى كل عصر ومصر ، لأنه يثير فى أتباعه ودارسيه ، كوامن القــوة ، ويبعث فيهم الثــورة والتمــرد ، على الأوضــاع الفــاسدة » (٥٦) .

والشريعة الاسلامية ذاتها ، متفردة عن غيرها من الشرائع ، تفرد الاسلام عن غيره من الأديان ، فهى من صنع الله سبحانه وتعالى ، فان « لفظ الشريعة مشتق من جذر ، يعنى الطريق ، فالشريعة طريق يؤدى الى الله » (٥٧) ، و « الشريعة فى نظر المسلم ، قانون خالد ، يسمو على الطبيعة » (٥٨) ، ومن ثم لم يكن « المجتمع الاسلامى ، هو الذى صنع الشريعة ، انمــا الشريعة هى التى صنعت المجتمع الاســلامى ، هى التى حــددت ســماته ومقــوماته ، وهى التى وجهته وطــورته ، ولم تكن الشريعة مجرد استجابة للحاجات المحلية الموقوتة — كما هو الشأن فى التشريعات الأرضيه — انمــا كانت منهاجا الهيــا ، لتطوير البشرية كلها ، وصياغتها صياغة معينة ، ودفعها الى أوضاع ، يتم بهــا تحقيق المجتمع الاسلامى المنشود » (٥٩) .

---

(٥٥) عباس محمــود العقــاد : ما يقال عن الاسلام — دار الهــلال بمصر — ١٩٧٠ ، ص ١٥١ .

(٥٦) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام — الطبعة الرابعة — دار القلم بالكويت — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٥٧) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ٨٧ .

(٥٨) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٥٩) سيدقطب : نحومجتمع اسلامى — الطبعة الثانية — دارالشروق — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م ، ص ٦٤ .

ورغم أن الشريعة الاسلامية (من صنع الله) ، كما يبدو مما سبق ، الا أن « الفقه الاسلامي من صنع البشر ، استمدوه من فهمهم وتفسيرهم وتطبيقهم للشريعة ، فى ظروف خاصة ، وتلبية لحاجات خاصة ، واستيحاء لأوضاع جيلهم الذى عاشوا فيه » (٦٠) .

وقــد رأينا فى الكتاب الثاني عشر من كتب السلسلة ، عن (الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة) ، أن مصادر التشريع الاسلامى أربعة ، هى القرآن الكريم والحديث الشريف ، والقياس والاجماع — أو الاجتهاد أو الرأى (٦١) .

وهكذا ، يكون المجال الأكبر فى التشريع الاسلامى ، هــو مجال (العقل) البشرى ، الذى انتقلت اليه المبادرة فى الاسلام ، ليلعب دوره فى حياة الانسان ، فان « كثيرا من أمور دنيانا ، ننظمها حسبما تهدينا اليه عقولنا ، فى اطار مقاصد عامة ، وغايات حددها لنا سبحانه وتعالى ، وأمرنا بتحقيقها ، بشرط ألا نحل حراما ، أو نحرم حلالا » (٦٢) .

وصحيح أن « القرآن هو قانون الاسلام ، والسنة هى تطبيقه ، والمسلم مكلف باحترام هــذا التطبيق ، تكليفــه باحترام القــانون نفسه » (٦٣) . وأنه « ليس القرآن والسنة مصدرين للدين ، بالمعنى الحصرى وحسب ، وانما هما كذلك مصدران للثقافة ، بالمعنى الواسع للكلمة ، ومقياسان لصحة الفكر ، وهــذا يعنى ن كل ما يأتى بعدهما ، انما هو تفريع منهما ، أو بناء عليهما ، أو استمداد منهما » (٦٤) ، الا أن

---

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٦١) دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة (الاســلام وتحديات العصر) — الطبعــة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٨١ ، ص ١٣٢ .

(٦٢) الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (ابحاث فى العقيدة الاســلامية ، ومنهج الدعوة الى الله) — رقم (١) من (كتــاب الدعوة) — دار الطباعة والنشر الاسلامية — القاهرة — ١٩٧٧ ، ص ٧٣ .

(٦٣) محمــد الغــزالى : فقــه السيرة — مطابع على بن على — الدوحة — قطر ، ص ٣٧ .

(٦٤) أدونيس : الثابت والمتحــول ، بحث فى الاتبــاع والابداع عند العرب — ٢ (تأصيل الأصول) — الطبعة الثانية — دار العودة — بيروت — ١٩٧٩ ، ص ١٢٨ .

(العقل) يظل — بعد ذلك — يلعب دوره ، سواء فى استنباط الأحكام منهما ، أو فى الاتفاق على ما لم يرد فيه نص (الاجماع) — وما أكثر هـذا الذى لم يرد فيه نص ، فى هـذا القرن العشرين ، مثل « قوانين تنظيم المرور فى الشوارع العامة ، وقوانين الوقاية الصحية ، وقوانين مقـاومة الآفات الزراعيـة ، وتنظيم استعمال مياه الرى ، وقوانين التعليم ، وقوانين تنظيم المهن المختلفة ، كالطب والهندسة والصيدلة ، وتحديد الشروط التى يجب أن تتوافر ، فيمن يزاولها » (٦٥) الخ •

وهكذا ، لا تأتى (عبقرية) الاسلام كدين ، من مجرد أنه دين سماوى ، كتب الله له ولكتابه ، أن يظل بمنأى عن أى تحريف أو دس ، كمـا حدث فى غيره ، ولا من أنه بسيط ، سهل التناول والاستيعاب ، بالنسبة للناس كافة ، ولا من أنه وضع المبادرة لأول مرة فى التاريخ الدينى ، فى يد الانسان المسلم ، ووفر له الحـرية ، التى ينشـدها الانسان دوما ، وانمـا تأتى هـذه (العبقرية) ، من أن الاسلام ، تحول فى النهاية الى (خلق) ، والى حياة يومية ، يعيشها الانسـان المسلم ، فردا وجماعة — أى الى نظام •

وبالرغم من أن الانسان — بطبعه — ضـد النظام ، « فالرجل من الناس ، لا يتحد مع زملائه ، مدفوعا برغبته ، بقدر ما يتحد معهم بحكم العادة والتقليد ، والظروف القاهرة ، فهـو لا يحب المجتمع ، بقدر ما يخشى العزلة » (٦٦) — الا أن الاسلام قـد استطاع أن يجعل من هـذا النظام ، (مطلبا) للفرد المسلم ، يسعى اليه ، ويعمل على حمايته ، ويستظل بظله ، ويدافع عنه ، كما يتصدى له ، اذا هو انحرف عن الخط السماوى •

---

(٦٥) الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى (مرجع سابق) ، ص ٧٣ •

(٦٦) ول ديورانت : قصـة الحضـارة — الجـزء الأول (نشـأة الحضارة) — ترجمة الدكتـور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ ، ص٣٩ •

ان هــذه الحرية ، كما أرادها الله للانسان ، على نحو ما رأينا فى الفصل السابق (٦٧) — هى الحرية المسئولة ، التى تقف مع الحق : لأنه حق ، وتقف — أيضا — ضـد الباطل ، لأنه باطل ، والحـريه بطبيعتها — على حد تعبير جون ديوى — « ليست مجرد فكرة أو مبدأ ، بل انها قــوة مؤثرة ، لعمل شىء معين » (٦٨) ، وهى « فى الاســلام لا تتصور الا مقيدة ، لأن الحـرية ليست انطلاقا من القيود ، بل هى معنى لا يتحقق فى الوجود الا مقيدا ، فالحر حقا ، هو الشخص الذى تتجلى فيه المعانى الانسانى العالية ، الذى يضبط نفسه ، ويتجه بهـا الى معالى الأمور » (٦٩) .

ويحكم هــذا الانسان المسلم — الذى هو جزء من هــذا النظام الاسلامى — والذى لا يمكن للنظام الاسلامى فى الوقت ذاته أن يوجد ، الا متجســدا فيــه — يحكمــه قانون فصــلت مواده فى ضميره ، وهــذا هــو السبب الوحيد ، الذى يحمل المسلمين على طاعتهـ فى السر والعــــلن ، والسراء والضراء » ، « بعكس الحــــال فى القوانين الوضعية ، فانها ليس فى نفوس من تطبق عليهم ما يحملهم على طاعتها ، وهم لا يطيعونها ، الا بقدر ما يخشون من الوقوع تحت طائلتها » (٧٠) — يضاف الى ذلك ، أن هــذا القانون لم يفصل ليطبق على المحكوم دون الحاكم ، بل فصــل ليطبق على الحاكم والمحكوم جميعا ، ومن ثم لم يكن (سيفا مسلطا) على أحــد ، بقــدر ما كان (سيفا مشرعا) لحمــاية الانسان ، حاكما كان أو محكوما ، غنيا كان

---

(٦٧) ارجع الى ص ٣٦ ، ٣٧ من الكتاب .

(68) DEWEY, JOHN : Education To-day ; G. P. Putman's Sons, New-York, 1940, p. 316.

(٦٩) الامام محمد ابو زهرة : فى المجتمع الاسلامى — دار الفكر العربى ، ص ١٧ .

(٧٠) الشهيد عبد القــادر عودة : الاسلام بين جهل أبنائه وعجــز علمائه — المختار الاســلامي ، للطبــاعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ١١ .

أو فقيرا ، « وتلك ميزة قيام الدولة على شريعة الدين وقانونه » (٧١) — على حد تعبير الشهيد سيد قطب .

ولولا هـــذا (النظام الاسلامى) ، وما وفره للفرد المسلم — وغير المسلم أيضـــا — من حرية ، وما وضعه فى يده من مبادرة ، ما كانت حضارة الاسلام الزاهرة ، فى عصور الاسلام المزدهرة ، على نحـــو ما رأينا فى الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، عن (الحضـــارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) ، حيث كان هـــذا النظام الاسلامى — على نحو ما رأينا ثمة — هو الذى (هيأ الجـــو) الذى رأينا الحضارة لا توجد الا فيه ، وهو تغيير الظروف ، « من حول الانسان ، بحيث تخلق فى أعماقه ، تلك (الايجابية) ، التى تدفعه الى (البناء) .. فتكون الحضارة » (٧٢) .

ذلك أن « التقدم والانحطـــاط ، يخضعان لقوانين طبيعية ذاتية فى الأمم ، ولا يرتدان الى مجـــرد الانتماء الى الدين » ، « فالظلم والصـــلاح ، هما قانونا الترقى والانحطاط ، أما الصـــلاح ، فليس الا عمارة الأرض وادارتها » (٧٣) .

وسوف نرى (تفصيلات) هـــذا الجو ، الذى هيأه الاســـلام للحضارة ، من الفصل القادم ان شاء الله ، عند حديثنا عن التحديات التى تواجه المسلمين اليوم .

---

(٧١) سيد قطب : السلام العالمى والاسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ٦٣ .

(٧٢) دكتور عبد الغنى عبـــود : الحضـــارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ ، ص ٤٣ .

(٧٣) الدكتور فهمى جدعان : أسس التقدم عند مفكرى الاسلام ، فى العالم العربى الحديث — الطبعة الأولى — المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٩ ، ص ٢٦٨ .

المجتمع الاسلامى وغيره من المجتمعات :

رغم انتقال (المبادرة) من الله الى الانسان فى الاسلام ، على نحو ما وضحنا فى أكثر من مكان فى الفصل السابق [٧٤] ، كانت عبودية الانسان لله ، ووحدانية الله بالتالى ، هى (العمود الفقرى) الذى قام عليه الاسلام ، وقام عليه أى دين نزل من السماء قبل الاسلام ، وقبل أن تمتد الى هـذا الدين بالتحـريف الأيدى [٧٥] ، بل لعـل هـذه الوحدانية ، كانت هى (المعبر) الى انتقال المبادرة من الله الى الانسان ، لأن الشرك بالله ، كان يسلب هـذا الانسان هـذه المبادرة ، ليضعها فى يد مخلوق من مخلوقات الله ، كاهنا كان أو ملكا أو وثنـا .

ولأن التوحيد هو جوهر الاسلام ، وجوهر كل دين سبقه نزل من السماء ، كان قـوله سبحانه لحبيبه صلى الله عليه وسلم فى محكم كتابه ، وقوله — بالتالى — لكل مؤمن به :

— « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك : لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشـاكرين . وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » [٧٦] .

وعندما يحرر الاسلام الانسان من الشرك ، انما يفتح له كل آفاق العمل والحركة ، لأن « الوثنية هوان يأتى من داخل النفس ، لا من خارج الحياة ، فكما يفرض المحزون كآبته على ما حوله ، وكما يتخيل المرعوب الأجسام القاتمة ، أشباحا جاثمة ، كذلك يفرض المرء الممسوخ صغار نفسه ، وغباء عقله ، على البيئة التى يحيـا فيهـا ، فيؤله من جمادها وحيوانها ما يشاء » [٧٧] .

---

(٧٤) ارجع على سبيل المثال الى ص ٢٩ — ٣١ من الكتاب .
(٧٥) ارجع الى ص ٣٢ ، ٣٣ وما بعدهما من الكتاب .
(٧٦) قرآن كريم : الزمر — ٣٩ : ٦٥ ، ٦٦ .
(٧٧) محمد الغزالى : فقه السيرة (مرجع سابق) ، ص ١٧ .

وأول أفق من آفاق العمـل والحـركة ، أن يصلح المسلم ذات نفسه ، على النحو الذى رسمه له ربه فى محكم كتابه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة حية له ، فى قوله وفى فعله — فمن قوله :

— « ان أخياركم أحسنكم أخلاقا » (٧٨) .

ومن فعله صلى الله عليه وسلم ، ما بايع المسلمين عليه :

— « بايعـونى على أن لا تشركوا بالله شـيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف .. » (٧٩) .

وبعد اصلاح النفس ، لابد أن يأتى اصلاح المجتمع الذى يعيش فيه المسلم ، (ليرفع) مستوى الحياة فيه الى مستواه هو ، والخطوة الأولى لاصلاح المجتمع ، هى اصلاح النفس ، حتى يكون الانسان — المسلم — صورة لمـا يدعو اليه ، فيكون للدعوة معنى ، ولها مردود ، وهى دعوة بالحسنى ، وبالحكمة ، وبالموعظة الحسنة ، ومن ثم فهى لا يتصدى لحملها ، الا كل (قادر) عليها :

— « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك أعلم بمن ضـل عن سبيله وهـو أعـلم بالمهتدين » (٨٠) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، فى شرحه لهـذه الآية ، أنه « على هـذه الأسس ، يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، ويعين

---

(٧٨) ابو الفضـل شهاب الدين احمـد بن على بن حجر العسقلانى (الحافظ) : فتح البارى ، بشرح البخارى — الجزء الثالث عشر — شركة مكتبـة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده — القاهرة — ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م ، ص ٦٦ .

(٧٩) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخـارى — الجـزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١١ (من كتاب الايمـان) .

(٨٠) قرآن كريم : النحل — ١٦ : ١٢٥ .

وسائلها وطرائقها ، ويرسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده ، بدينه القويم » ، فيقول « ان الدعوة دعوة الى سبيل الله ، لا لشخص الداعى ولا لقومه ، فليس للداعى من دعوته الا أنه يؤدى واجبه لله ، لا فضل له ، يتحدث به ، لا على الدعوة ، ولا على من يهتدون به ، وأجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة ، والنظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذى بينه لهم فى كل مرة ، حتى لا يثقل عليهم ، ولا يشق بالتكاليف ، قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التى يخاطبهم بهـا ، والتنويع فى هـذه الطريقة ، حسب مقتضياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة ، فيتجاوز الحكمة فى هـذا كله وفى سواه .

وبالموعظة الحسـنة ، التى تدخـل الى القلوب برفق ، وتتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب فى غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء التى قـد تقع عن جهل أو حسن نية » ، « وبالجدل بالتى هى أحسن ، بلا تحـامل على المخـالف ، ولا ترذيل له وتقبيح ، حتى يطمئن الى الداعى ، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة فى الجدل ، ولكن الاقناع ، والوصول الى الحـق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهى لا تنزل عن الرأى الذى تدافع عنـه ، الا بالرفق ، حتى لا تشـعر بالهزيمة ، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هى عند النـاس ، فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلا عن هيبتهـا واحترامهـا وكيانهـا .. » (٨١) .

فان كان المسلم لا يملك الا (وسيلة) الدعوة الى الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، كان عليه أن يحافظ على دينه ، ويبقى على نفسه صورة حية لهذا الدين ، فذلك فى حـد ذاته دعـوة إلى الله ، وتقوية لجماعة المسلمين :

---

(٨١) سيد قطب : فى ظلال القـرآن ـــ المجلد الرابع (مرجع سابق) ، ص ٢٣٠١ ، ٢٣٠٢ .

— « يأيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، الى الله مرجعكم جميعا ، فينبئكم بما كنتم تعملون » (٨٢) .

يقول الشهيد سيد قطب فى شرحها : « عليكم أنفسكم فزكوها وطهروها ، وعليكم جماعتكم فالتزموها وراعوها ، ولا عليكم أن يضل غيركم اذا أنتم اهتديتم ، فأنتم وحدة منفصلة عمن عداكم ، وأنتم أمة متضامنة فيما بينها ، بعضكم أولياء بعض ، ولا ولاء لكم ولا ارتباط بسواكم » (٨٣) .

« ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها ، فى دعوة الناس كلهم الى الهدى ، والهدى هو دينها هى ، وشريعتها ونظامها ، فاذا هى أقامت نظامها فى الأرض ، بقى عليها أن تدعو الناس كافة » ، وهى « محاسبة على التقصير فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيما بينها أولا ، ثم فى الأرض جميعا » (٨٤) .

والمسلم — فى دعوته الى الله فى خارج جماعته المسلمة — مطالب بالتبليغ فقط ، دون ما اكراه لأحد على الاسلام :

— « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » (٨٥) .

وقد كان التاريخ الاسلامى خير شاهد على تحويل هذه الآية ، الى (أسلوب حياة) اسلامى ، فلم يعرف من المسلمين أبدا ، أنهم سلكوا « مسلك الالزام بدينهم ، والاجبار على قبوله ، مع شدة بأسهم ، فى بدايات دولهم ، وتغلغلهم فى افتتاح الأقطار ، واندفاع هممهم ، للبسطة فى الملك والسلطة ، وانما كانت لهم دعوة يبلغونها » ،

---

(٨٢) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ١٠٥ .

(٨٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (الأجزاء : ٥ — ٧) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .

(٨٤) المرجع السابق ، ص ٩٩٢ .

(٨٥) قرآن كريم : يونس — ١٠ : ٩٩ .

« هذا على خلاف منتصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى ، فانهم ما كانوا يطأون أرضا ، الا ويلزمون أهلها بخلع أديانهم ، والتطوق بدين أولئك المسلطين ، وهـو الدين المسيحى ، كمـا فعلوا فى مصر وسورية ، بل فى البلاد الافرنجية نفسها » [٨٦] .

والحديث عن (أوضـاع) غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، وخاصة أوضاع الكتابيين ، حديث يطول ، وقـد تعرضنا له فى أجزاء كثيرة من كتب السلسلة ، خاصة كتابيها السابقين ، عن (اليهودية) [٨٧] ، وعن (المسيحية) [٨٨] ، رغم ما يعلمه المسلمون — من خلال القرآن الكريم — من أن (حقد) اليهود والنصارى على الاسلام ، لن تهدأ ناره أبدا ، من مثل قوله سبحانه :

— « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل : ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعـد الذى جاءك من العلم ، ما لك من الله من ولى ولا نصير » [٨٩] .

والحديث عن (أوضاع) المشركين فى المجتمع الاسلامى ، حديث معاد ومكرر أيضـا ، فقـد كان كثير ممن وصلوا الى مراكز ممتازة فى الدولة الاسلامية ، خاصة فى العصر العباسى « وثنيين (حرانيين) أو مسيحيين أو يهودا » أو « من اللاتين » ، أو « الزرادشتيين » [٩٠] .

---

(٨٦) الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره — بقلم محمد عمـارة — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر ، بالقاهرة — ١٩٦٨ ، ص ٣٠٦ .

(٨٧) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسلام (مرجـع سابق) ، ص ١٣٤ وما بعدها .

(٨٨) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٨٩) قرآن كريم : البقـرة — ٢ : ١٢٠ .

(٩٠) الدومييلى : العلم عند العرب ، واثره فى تطور العلم العالمى — نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمـد يوسف موسى — قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى — جامعة الدول العربية — الادارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — القـاهرة — ١٩٦٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

ومثل هـذا الموقف الاسلامى من غير المسلمين ، لا يدل الا على قوة الاسلام ، قوة لا يخشى معها المسلم على عقيدته ، أو على نظامه ، بعد أن وضع الله سبحانه المبادرة فى يده ، على نحو ما سبق ، فصار — بهـا — قادرا على حماية عقيدته وثقافته ونظامه .

ولو كان الاسلام يخشى على عقيدته وعلى نظامه ، لفعل ما فعله غيره ، من فرض لعقيدته ونظامه بالقوة المسلحة ، ومن مطاردة وملاحقة ، وتصفية جسدية ، وقصة المجامع الكنسية ومحاكم التفتيش المسيحية هنا ، هى أوضح القصص وأقربها ورودا ، على نحو ما وضحنا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة (٩١) .

ولكن مجرد (استقرار) النظـام الاسـلامى ، وتوفيره الأمن والحرية لمن يعيشـون فى كنفـه ، من مسلمين وغير مسلمين ، يعتبر — فى حـد ذاته — (تهـديدا) كبيرا للمجتمعات المجـاورة ، التى لا يتوفر لأبنائها مثل هـذا الأمن ، وهـذه الحرية ، واغراء لشعوب هذه المجتمعات المجاورة (بالثورة) على نظمها ، للحصول على حقوقها المغتصـبة .

وفى ظل هـذا الجو ، يكون العدوان على النظام الاسلامى ، هو الأمر المتوقع ، قضاء على الخطر الذى يمثله هـذا النظام ، على النظم المجاورة — غير الاسلامية .

ويزيد من توقع هـذا العدوان على النظام الاسلامى ، أنه نظام يتخذ من (السـلام) شعارا له ، ومثل هـذا الموقف من السـلام ، لا يفسره المشركون الا تفسـيرا ماديا ، فهـو يعنى عندهم الضعف والاستكانة ، ومن ثم يكون أكثر اغراء بالعدوان .

وهكذا ، يكون السلام الذى يؤدى اليه الاسلام ، لا معنى له ،

---

(٩١) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٨٧ وما بعدها .

ما لم يكن مصحوبا بدعوة مماثلة الى الاستعداد للحرب — أو الجهاد ، صيانة للسلام ذاته ، ومحافظة على أمن المجتمع الاسلامى ، وحرية أبنائه ، لأن الشرك — المادى بطبعه — لا يعرف الا لغة القوة ، ومن أجل ذلك كان أمر الله سبحانه لجماعة المسلمين :

— « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون • وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم • وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم • يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين • يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال •• » (٩٢) •

ويشرح الشهيد سيد قطب هذه الآيات ، فيرى أنه « لابد للاسلام من قوة ، ينطلق بها فى (الأرض) ، لتحرير (الانسان) ، وأول ما تصنعه هذه القوة فى حقل الدعوة : أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة ، على حريتهم فى اختيارها ، فلا يصدوا عنها ، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها •• » (٩٣) •

« ولما كان اعداد العدة يقتضى أموالا ، وكان النظام الاسلامى كله يقوم على أساس التكامل ، فقد اقترنت الدعوة الى الجهاد ، بالدعوة الى انفاق المال فى سبيل الله » (٩٤) •

والجهاد — فى حقيقة أمره — ليس مجرد استعداد لبذل الروح ،

---

(٩٢) قرآن كريم : الانفال — ٨ : ٦٠ — ٦٥ .
(٩٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ ، ص ١٥٤٣ .
(٩٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤٤ .

ودفع المــال .. وليس مجرد تدريب على حمل السلاح واستخدامه .. ولكنه — فى حقيقة أمره — شحذ لطاقات أمة كاملة ، لتتجه نحو هدف ما .. هو فى الاسلام رفع راية التوحيد ، والقضاء على جحافل الشرك .

والاستعداد له يحفز الأمة كلهــا على العمل ، ويدفعهــا للسير فى طريق العلم ، بحثا عن (الجديد) فى مجال الاستراتيجية والحرب .

وهكذا يكون الجهاد دفعا للمجتمع الاسلامى الى السير فى طريق التقدم الحضارى ، الذى يبدأ بالمثل الأعلى الذى يسعى له الانسان المسلم ، وينتهى باعلاء كلمــة الله ، وفهم أسرار الطبيعة ، وتسخيرها لخدمة هــذا المثل الأعلى ذاته — أو على حــد تعبير أشفيتسر : ان الحضارة « تنشأ ، حين يستلهم الناس عزما واضحا صــادقا ، على بلوغ القصد ، ويكرسون أنفسهم ، تبعا لذلك ، لخدمة الحياة ، وخدمة العــالم » (٩٥) .

المجتمع الاسلامى المعــاصر :

ختمنا الفصل الأول (الاسلام والمسلمون) ، بتساؤلات رأينا أنه يحسن أن يوجهها كل مسلم الى نفسه ، وهى ما اذا كان — بالفعــل — مسلما أم لا ، فى ضوء ما رأينا أنه يجب أن يكون عليه المسلم ، المؤمن بالاسلام دينــا ؟

وفى ختام فصــل عن المجتمع الاسلامى ، يجب أن يتجه تفكيرنا الى الوقوف على مدى (قرب) هذا المجتمع من الاسلام ، أو (بعده) عنه ، حتى تتضح أمامنا الرؤية ، فيما يتصل بالتحديات التى تواجه المسلمين اليوم ، وقدرتهم على مواجهة هــذه التحديات .

وبعبارة أخرى : يجب على الفصل — فى النهاية — أن يجيب على هــذا السؤال :

---

(٩٥) المبرت اشفيتسر : فلســفة الحضارة — ترجمــة الدكتور عبد الرحمن بدوى — مراجعة الدكتور زكى نجيب محمود — المؤسسة المصرية العــامة ، للتاليف والترجمة والطباعة والنشر — مارس ١٩٦٣ ، ص ٥ .

ـ هل المجتمع الاسلامى المعاصر ، بأفراده ، وبأخلاقيات أبنائه ، وبالنظام الذى يحكمه ـ هل هذا المجتمع (قريب) من المجتمع كما أراده الله ، فى محكم كتابه ، على نحو ما حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده ، أم أنه (بعيد) عن هذا المجتمع ؟

وقبل أن نخوض فى الموضوع ، لنجيب على هذا السؤال ، نذكر بأن المجتمع الاسلامى مجتمع بشرى ، ومن ثم فهو مجتمع معرض لأن يخطىء أيضا ، فكونه مجتمعا اسلاميا ، لا يعنى كونه مجتمعا « خاليا من كل عيب ، نظيفا من أى فساد ، نقيا من أى زيغ ، وانحراف فى العقيدة والمسلك » ، لأن التاريخ يثبت أنه « كان فيه عصاة وبغاة ، ومنافقون وفاسدون ، وكان فيه زنادقة وملحدون ، وأصحاب بدع وأهواء ، وكان فيه ظلم وظالمون ، وسراق ولصوص ، ولكن العبرة بسيادة الشريعة فى العقيدة والأنظمة ، والأعراف والتقاليد ، والاستهداء بالكتاب والسنة ، فى استنباط الأحكام والتطبيق ، والحكم لمجموع الأمة ، التى لا تعرف غير الاسلام قانونا وشريعة ، ومرجعا وسيادة ، تعود اليها ، فى هدى المنحرفين الى الصواب ، وقمع الضالين عن الضلال » (٩٦) .

ونتيجة لذلك ، ربما كان ذا معنى عميق بهذا الخصوص ، قول « معظم مفكرى الاسلام المحدثين ، أن (المسلمين ليسوا مسلمين) . والكلمة صائبة تماما ، لكن الأصوب أن يقال ، انهم لم يكونوا ولن يكونوا مسلمين أبدا ، بمعنى أنهم سيظلون دوما ، بعيدا عن تجسيد الاسلام ـ الحقيقة ، أو الاسلام ـ الوحى ، فى التاريخ ـ الزمان ، لأن ما يدخل فى الزمان ، لا يلبث أن يعتريه صروفه وأقداره ، ولأن الحقيقة ـ الوحى ، تفارق عالم الانسان ، وتعلو عليه ، ولا يمكن أن تكون خالصة نقية مطلقة ، الا فى عالم الأزلية الثابت » (٩٧) .

---

(٩٦) الدكتور عبد العزيز الخياط (مرجع سابق) ، ص ٦ ، ٧ .
(٩٧) الدكتور فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

ولسنا نهدف من ذلك ، الى القول بأن المسلمين اليوم بالفعل مسلمون ، ولكننا لسنا نهدف منه أيضا الى تجريد المسلمين من الاسلام ، على نحو ما تفعل كثير من الدراسات المعاصرة ، التى تغلب عليها نظرة التشاؤم ازاء الحاضر والمستقبل جميعا ، والتى يرى بعضها — مثلا — أننا « الآن فى مادية ووثنية ، أسوأ من مادية الأوربيين ووثنيتهم ، فالمادية الأوربية يحكمها سلوك وأفكار ، من نتاج الفلاسفة ، وعقول المفكرين ، وهى نتيجة موقف شامل من الأشياء ، فيستطيع المرء أن يضبطها ، وأن يوجهها فى خدمته ، أما المادية العربية الراهنة ، فهى أشبه بمادية الانسان الأول ، ووثنية الجاهليين » (٩٨) .

وانما الهدف ، هو أن نضع أيدينا على موضع (الداء) فى حياتنا كمسلمين ، بأن نقيس الاسلام فى الزمان ، متمثلا فينا نحن كمسلمين ، على الاسلام — الحقيقة ، أو الاسلام — الوحى ، على حد تعبير الدكتور فهمى جدعان ، لنرى : أيحسب المسلمون اليوم على الاسلام ، أم يحسبون له ؟

ذلك أن الاسلام — الوحى ، أو الاسلام — الحقيقة ، قد أحدث (انقلابا) فى حياة العرب بالفعل ، على حد تعبير العلامة أبى الحسن الندوى ، وقد « كان تأثير هذا الانقلاب عظيما جليلا ، فكان الطريق الى الله من قبل فى دولة الجاهلية ، وغربة الاسلام ، شاقا عسيرا ، محفوفا بالأخطار ، فأصبح الآن سهلا يسيرا ، آمنا مسلوكا ، وكان يصعب على الانسان فى الوسط الجاهلى أن يطيع الله ، فصعب عليه فى الوسط الاسلامى أن يعصى الله » .

و « صارت طباع الناس وعقولهم ، تتغير وتتأثر بالاسلام ، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، كما تتأثر طبيعة الانسان والنبات فى فصل الربيع ، وبدأت القلوب العاصية الجافة ، ترق وتخشع ،

---

(٩٨) دكتور عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية ، مذهب وتطبيق — دار المعارف — ١٩٧٩ ، ص ٢٨٤ .

وبدأت مبادىء الاسلام وحقائقــه ، تتسرب الى أعمــاق النفوس ، وتتغلغل فى الأحشــاء ، وبدأت قيمة الأشياء تتغير فى عيون الناس ، والموازين القديمة تتحول ، وتخلفهــا الموازين الجـديدة ، وأصبحت الجاهلية حركة رجعية ، كان من الجمود والغباوة المحافظة عليها ، وصار الاسلام شيئا راقيا عصريا ، كان من الظرف والكياسة الانتساب اليه ، والظهور بمظاهره » (٩٩) .

وبالبعد عن هــذا الاسلام ــ الوحي ، أو الاسلام ــ الحقيقة ، وهــذه حقيقة لابد أن نعترف بهــا ، صارت هناك (شبه ردة) عن الاســلام الحق ، حيث المسلمون « فى كثرتهم ، يجهلون الحقيقــة التشريعية للاســلام الصحيح ، ويجهلون مبادئه الفكرية ، وأصــوله العقيدية ، وآدابه الخلقيــة ، ويعيشون فى أمشــاج من الأســاطير والخيالات ، صنعوها لأنفسهم بجهالتهم ، أو صنعت لهم لتباعد بينهم وبين الاسلام الصحيح » (١٠٠) ــ أو عن « (الاسلام) الحق ، الذى هو دين الله الموحد ، فى أصول العقائد ، وأصــول التعبد لله وحده ، وأصول الفضائل الخلقية » (١٠١) .

بل ان بعض المفكرين يرون أن الموجود فى العالم الاسلامى ليس مجرد (شبه ردة) ، وانما « المسلمون فى العالم الاســلامى فى حالة ردة » حقيقية ، حيث « كل شىء بيــد الدولة فى عصرنا ، من التوجيه الى التعليم ، الى الصــحافة الى الاذاعة والتليفزيون ، الى التخطيط السياسى والاقتصادى ، والداخلى والخارجى ، وأمور الحرب والسلم ، فقد أصبح دولاب الحياة كله يدور فى غفلة عن الله ، وعن دين الله ، وأحكامه وشريعته .

---

(٩٩) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ الطبعة العاشرة ــ مطابع على بن على ــ الدوحة ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤م ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(١٠٠) محمد الصادق عرجون : الموسوعة فى سماحة الاسلام ــ المجلد الأول ــ مؤسسة سجل العرب ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م ، ص ١٦ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

وأصبح الناس أجزاء فيه ، يتحركون بحركته ، بل يساعدونه على الدوران والاستمرار ، شعروا أو لم يشعروا ، ويزداد البعد عن الاسلام ، يوما بعد يوم .

ونتيجة لذلك ، فقد تم انحسار الاسلام عن الحياة ، انحسارا تاما تقريبا » (١٠٢) .

ويعزو العلامة أبو الأعلى المودودى ذلك الى الاستعمار ، الذى « كان يعتبر كوننا مسلمين مخلصين للاسلام ، متحلين بالأخلاق الاسلامية ، خطرا عليه ، ولذلك طبق فى البلاد الاسلامية التى احتلها ، نظاما للتعليم والتربية ، يمتاز بزلزلة قواعد الايمان فى قلوبنا ، ويمتاز باثارة الشبهات حول عقائدنا الاسلامية ، ويمتاز بالاستخفاف بحضارتنا وتهوينها ، بل وتحقيرها فى عيوننا » (١٠٣) .

ونتيجة لهذا التعليم الحديث ، صارت المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، فى تعاملها مع الحضارة — والثقافة — الغربية ، « على استعداد عظيم للأخذ عنها ، والاقتداء بها ، ومن هنا تتعرض عقائد المسلمين لخطر عظيم . ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة » ، « دعوات صريحة الى الالحاد » ، « وفى التنظيم الاجتماعى سحابات من الالحاد » ، « وفى قضايا التشريع نزوع الى الالحاد » ، « وفى تدوين التاريخ تيارات من الالحاد » ، « وفى أساليب التربية نزوع الى الالحاد » ، « وفى فنون الأدب اشارات الى الالحاد » ، « وفى بعض البحوث الاسلامية (كذا) تطلعات الى الالحاد » ، « وفى تكييف العلاقة بين الاسلام والأديان الكتابية الأخرى تورط فى الالحاد » . « وتقف وراء تيارات الالحاد هذه ، منظمات ومؤسسات وقوى ، تتسم بالضراوة والحنكة ، والتنظيم والعمل الدائب ، والكراهية العميقة للاسلام

---

(١٠٢) سعيد حوى : جند الله ، ثقافة وأخلاقا — من (دراسات منهجية هادفة فى البناء) — الطبعة الثانية ، ص ٨ ، ٩ .

(١٠٣) أبو الأعلى المودودى : دور الطلبة ، فى بناء مستقبل العالم الاسلامى — دار الأنصار بالقاهرة — ١٩٧٧ ، ص ١٩ .

بخاصـــة » (١٠٤) ٠

ويكون منطقيا — بعد ذلك — أن تبتعد أخلاق المسلمين اليوم ، عن الاسلام الحقيقة — الوحى ، حيث صار السائد هو « الأنانيـــة والغرور والبغضاء والفساد » (١٠٥) ، اضافة الى « ما يسمى بالانكليزية Corruption ، ويعبر عنه فى اللغة العربية ، بالفساد والخيانة والتلف والرشوة » ، و « هذه ظاهرة تعم الأمة الاسلامية فى هــذا العصر ، وتجعل كل نظــام من نظم التشريع ، شيئا لا يجدى ، لأن كل قانون يوضع لاصلاح الفساد ، يكاد يبطله تماما فســاد الهيئات التنفيذية نفسها ، بل ان كل التزام صــادر من المشرعين ، يفتح بابا جديدا من الرشوة ، ولا يقف الأمر عند هــذا الحد ، بل بفضل هــذه الرشوة ، يهرب المهربون أغلى الأشياء الى الخــارج ، ويبيعونها للأعداء ، بل يهربون الأشياء التى تكون البلاد فى أشد الحاجة اليها ، كأن الرشوة تربى أعداءنا على حسابنا » ٠

و « من الواضح البين ، أن الذين يمارسون هــذه الظاهرة المؤلمة ، من الخيانة والرشوة والغش وما شابهها ، هم ليسوا الا جماعة المثقفين فى بلادنا ، ومن اخواننا ، وهم الذين بيدهم أزمة تسيير دفة الحكومة ، لا بيد القرويين الأميين » (١٠٦) ٠

وهكذا ، « طغت المــادية والتشكيك ، الى حد انقطع به الكثيرون عن الاتصال بخالقهم » (١٠٧) ، سواء كان ذلك نتيجة (للغزو الثقافى)

---

(١٠٤) الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المســلم (التكوين الأســاسى) — المكتبــة العصرية — صــــيدا — بيروت ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ ٠

(١٠٥) محمد فاضــل الجمالى : دعوة الى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٩ ٠

(١٠٦) ابو الأعلى المودودى : دور الطلبة فى بنــاء مستقبل العــالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٦ ، ١٧ ٠

(١٠٧) الدكتور فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، اهميتها للبلدان العربية » — فلسفة تربوية متجددة ، لعــالم عربى يتجدد — دائرة التربية فى الجامعة الأميركية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ ، ص ٤٢ ٠

للعالم الاسلامى ، أو « لانصراف بعض الحكام المسلمين ، الى شؤون الدنيا ، وتغليب القوة الظالمة ، والسياسة الخرقاء ، على الحق ، الأمر الذى أدى الى اهمال تعاليم الاسلام ، واخضاع رجال الفكر وعلماء الدين الى توجيهات السلطان ، ومنعهم عن أداء واجبهم الدينى ، فى تثقيف المسلمين بحقائق دينهم ، فاضطر هؤلاء ، الا من عصم الله ، الى مماشاة السلطة الغاشمة ، التى طغت عليها مصالحها وشهواتها ، فأهملوا تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم ، كما أهملوا دعوة المسلمين الى الأخذ بوسائل القوة ، والدفاع عن النفس » (١٠٨) .

والغريب أن معظم هؤلاء الحكام المسلمين ، الذين يفعلون ذلك كله ، « أغلبهم » — على حد تعبير الشهيد عبد القادر عودة — « على جهلهم بالشريعة الاسلامية ، متدينون ، يؤمنون ايمانا عميقا ، ويؤدون عبادتهم ، بقدر ما يعلمون ، وهم على استعداد طيب ، لتعلم ما لا يعلمون ، ولكنهم لا يطيقون أن يرجعوا بأنفسهم ، الى كتب الشريعة ، للالمام بما يجهلون » (١٠٩) .

والحقيقة أن هؤلاء الحكام ، ومعظمهم من العسكريين ، الذين تولوا السلطة اثر انقلاب عسكرى أطاح بحكم ادعوا فساده ، لا يطيقون الرجوع الى كتب الشريعة ، ولا الى أى كتب غيرها ، ومن ثم كانوا يتسمون بالنظرة السطحية الى الأمور ، التى تفسد العالم الاسلامى افسادا ، لأن هذه النظرة السطحية ، تترجم فى النهاية الى سلسلة من القوانين والاجراءات ، التى تحكم الناس ، وتزيد فى فساد حياتهم ، ولذا كان العربى والمسلم اليوم « نهبا لنفر من أصحاب الرؤية الساذجة ، يقضون فى أموره ، وفى أشد أموره حيوية وخطورة — بالنظرة الطفلية السطحية ، التى لا تتأرق من خشية الوقوع فى خطأ الحساب ، فكثيرا ما تصدر مجموعة من القوانين فى شؤون التعليم ، أو الاقتصاد ،

---

(١٠٨) الدكتور محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى ، فى العالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٢ ، ص ٣٢ .
(١٠٩) الشهيد عبد القادر عودة (مرجع سابق) ، ص ٣٩ .

أو غيرها من شؤون الناس ، ثم لا تمضي فترة طويلة ، حتى يبدلوها بمجموعة أخرى ، قـد تكون بالنسبة لسابقتها ، كالنقيض مع النقيض . واذن فلابد أن يكون الأمر قـد تم بغير حساب ، في احدى الحالتين ، وربما تم بلا حساب في الحالتين جميعا ، فتلحق بهما حالة ثالثة .

ان الصـواب في مسألة واحـدة معينة واحد ، وأما الخطـأ ، فلا يحصره عدد ، لكثرته التي لا تنتهي ، فاذا جمعنا اثنين الى ثلاثة ، كان الحاصل الصحيح هو خمسة دون سواها ، وأما الحاصل الخطأ ، فقد يكون أي عدد ، من سلسلة الأعداد » (١١٠) .

ونتيجة لهـذا (التناقض) الغريب ، كان الوضع الغريب تحت قيادة هؤلاء الحكام المسلمين — المتدينين ، حيث « يتمتع المجـرمون والخونة والمرتشون ، بقـدر هائل من الحرية والانطلاق في سـاحة المجتمع » ، « على حين لم يجد أصحاب الدعوات ومناهج الاصلاح ، مجالا لنشر أفكارهم » (١١١) .

وفي ظل هـذه (الفوضى) ، التي صارت تخيم على حياة المسلمين، والتي اختلط فيها الحابل بالنابل ، صار (الرفض) هو السمة الغالبة على المسلمين ، و « رفض الواقع المريض ، أمر ضروري في ذاته ، لكنه وحده لا يكفي ، اذ يجب أن يسايره تصور واضح ، لواقع صحي جديد . لكن مثل هـذا التصور لا يضعه الا رجل الفكر النظري ، بجانبـه الفلسفي والعلمي ، وهو ما أظنه مفقودا ، أو شبه مفقود ، في حياتنا الثقافية الحاضرة » (١١٢) — والكلام للدكتور زكي نجيب محمود .

وهكذا ، أدى تطور الحياة في العالم الاسلامي ، الى أن صار هناك

---

(١١٠) الدكتور زكي نجيب محمود : هـذا العصر وثقافته — الطبعة الأولى — دار الشروق ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، ص ٨٠ .

(١١١) الدكتور محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص هـ (من كلمة المعرب ، الدكتور عبد الصبور شاهين) .

(١١٢) الدكتور زكي نجيب محمود : هـذا العصر وثقافته (المرجع الأسبق) ، ص ٤١ .

(تفريط) فى أمر الاسلام ، له مظاهره المختلفة والمتعددة ، التى تجعل اقتراب المجتمع الاسلامى من الاسلام — الوحى ، أمر مشكوكا فيه •

وللحق ، فقد ظهر فى الأفق الاسلامى الحديث تيار ، يدعو الى العودة الى القديم — حياة السلف الصالح — فى ظل القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، على أساس أن هـذه العودة ستنقى حياتنا مما ملأها حتى غطاها ، من انحرافات ، وألوان فساد •

ولكن هـذه العودة الى حياة السلف ، اتخذت — بالفعل — شكلا عجيبا ، صارت معه هـذه العودة ، عبئا على الاسلام ذاته ، ومضادة لحقيقته ، بوصفه دين كل زمان ، مثلما هـو دين كل مكان ، أو على حـد تعبير الشيخ محمد الغزالى : « أليس مضحكا أن يدخل داعية فى مسجد ، فينظر الى المنبر ، ثم يقول : بدعة !! لماذا ؟ لأنه سبع درجات ، ويرى أن يقف على الثالثة ، لا يعدوها • ثم يرى المحراب ، فيقول أيضا : بدعة •• لماذا ؟ لأنه مجوف فى الجدار • ثم ينظر الى الساعة ويقول : بدعة • لماذا ؟ لأنهـا تدق كالجرس •• وأخيرا يتكلم ، فيخوض فى موضوع غث ، لا ينبه غافلا ، ولا يعلم جاهلا ، ولا يكيد عدوا • والمهم عنده الاستمساك بالسنة !! على الشكل الذى يراه •• أى سنة تعنى ؟ ان النبى العربى المحمد ، قـدر بسنته على احيـاء أجيـال ، بدلت الأرض غير الأرض ، وحطمت امبراطوريات ذاهبـة فى الطول والعرض • انه — صـلى الله عليه وسلم — أنعش بسنته جماهير ، كانت فى غيبوبة ، وأطلقها تسعى بعدما أضاءها من الداخل ، فعرفت المنهج والغاية !! اننا بحاجة الى اشعاع على مسار الدعوة ، وحقيقة السنة ، فكم ظلمت السنة ممن يتشدقون بهـا » (١١٣) •

---

(١١٣) محمد الغزالى : هموم داعية — الطبعة الأولى — دار الحرمين للطباعة والنشر — توزيع دار الاعتصام — القاهرة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م ، ص ٣٣ ، ٣٤ •

لقد صار يحمل لواء هـــذه العودة ، نفـــر من (الشـــباب) : « محدودو الثقافة الدينية ، وهم — بآيات محدودة من كتاب الله الكريم ، وبأحاديث محدودة من كلام سيد المرسلين — ينصبون من أنفسهم حراسا على الاسلام ، ويجرمون من لا يجاريهم فى مهاجمـــة الكبار ، من آباء وعلمـــاء وحكام ، ومن ثم توجد (فجـــوة) ما كان يجب أن توجد ، بين هـــذا الشباب بنقائه وطهره ، وبين الدين الحنيف ذاته ، كما توجد نفس الفجوة التى ما كان يجب أن توجد ، بين خير شباب هذه الأمة ، وجيل الكبار فيها ، ومن بين هؤلاء الكبار : الحكام ، وأساتذة الجامعات — أساتذتهم — والآباء أنفسهم ، وعلماء الأمة الدينيون » (١١٤) .

ولكن هؤلاء الشباب — للحق — معذورون ، فقد فرط الكبـــار فى الأمانة .. وكان عليهم أن يحملوا اللواء .. ولكنها مشكلة ، لابد من البحث عن حل لهـــا ، لا بحكم نقص خبرة هؤلاء وحدهم ، ولا بحكم ما آلت اليه من (فجوة) بينهم وبين الكبار ، ولكن بحكم تناقض هـــذه النظرة مع الاسلام ذاته ، الذى يطلب منا أن نعيش حياتنا نحن .. مسلمين ، لا أن نعيش حياة غيرنا ، من معاصرينا أو ممن عاشوا قبلنا .

انها مشكلة ، يعيشها المجتمع الاسلامى المعـــاصر ، نتيجة (اقتحام) حضـــارة الغـــرب حياته ، و (اضطراره) الى أن يتعامل معها ، ومن ثم كان « الجمع بين الأصالة والمعـــاصرة مشكلة ، بل لعلهـــا تكون أعسر المشكلات الثقافية ، وأشدها تعقيدا » (١١٥) ، ففى « دارنا تراث نعتز به ، وفيه انعكاس لخصائص نفوسنا ، غير أن حضارة جديدة اقتحمت علينـــا الأبواب ، ودخلت بقوادمها ، وان تكن بقيـــة أعجازها ما زالت

---

(١١٤) دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى (مرجع سابق) ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

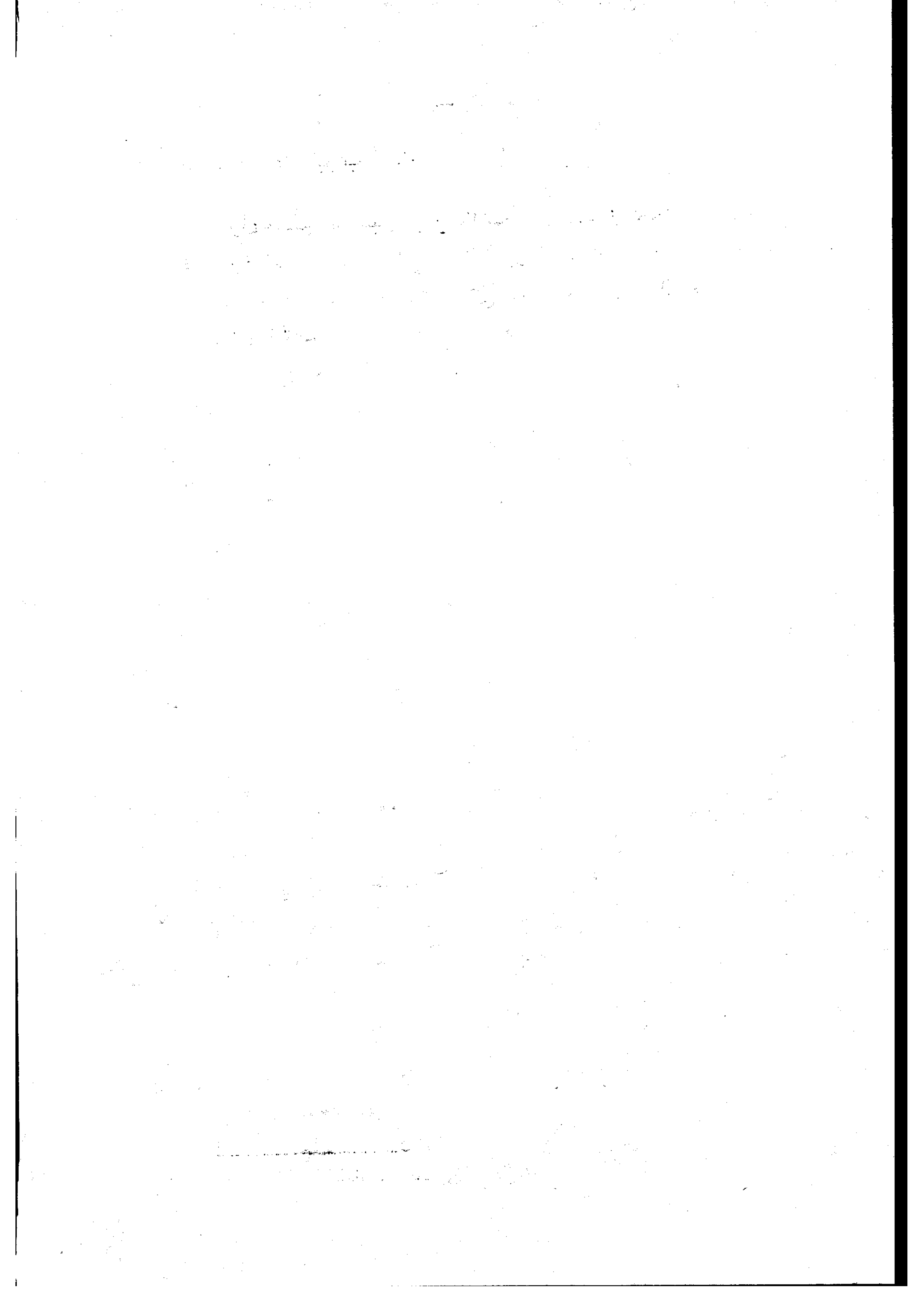
(١١٥) الدكتور زكى نجيب محمود : هـــذا العصر وثقافته (مرجـــع سابق) ، ص ٥ .

منحشرة ، عند أبواب الدخول » (١١٦) •

وفى ضـــوء ما سبق من مشكلات ، رأينـــاها (تطحن) المسلم — فردا وجماعة ، بقدر ما تباعد بينه وبين الاسلام — الوحى ، يمـــكن الحـــديث عن بعض التحديات ، التى تقابل المسلمين •• اليوم ، فى بقية فصـــول الكتاب •

---

(١١٦) المرجـــع السابق ، ص ٧ •



الفصل الثالث

الفرق الاسلامية

تقـــديم :

يكاد موضوع (الفرق الاســلامية) أن يكون هو (التحــدى) الأكبر ، الذى يقابل المسلمين اليوم ، ويحول دون تحولهم الى (قــوة فعالة) فى العالم المعاصر ، بينما هم يمتلكون — على أرض الواقع — كل مقومات هــذه (القوة الفعالة) ، بأعدادهم التى تتعدى الألف مليون نسمة (حوالى ربع سكان الكرة الأرضية) ، والتى تتزايد يوما بعد يوم ، بنسبة تزيد كثيرا عن نسبة تزايد غيرهم ، اضافة الى المسلمين الجــدد ، الذين يضــافون اليهم كل عام ، بالآلاف — وبالأرض التى يستوطنونها ، وقــد حباها الله بكل امكانيات هــذا التقدم ، من حيث الموارد الطبيعية ، ومن حيث التوسط أيضا .

ولكن (تفرق) المسلمين على هذا النحو ، قــد حول قوتهم ضعفا ، بعد أن صار بعضهم لبعض عدوا ، فصاروا جميعا — نتيجة لذلك — فى أيدى أعدائهم ، والمتربصين بهم — وبالاسلام — الدوائر .

ولتفرق المسلمين على هــذا النحو ، جذوره الضاربة فى أعمــاق التاريخ الاسلامى ، وله أسبابه ، سواء فى الاســلام — الوحى ، وفى الاسلام كما نراه اليــوم فى واقع المسلمين .

بداية تفــرق المسلمين :

يرى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، أن هــذا (الاختلاف) بين المسلمين أمر طبيعى ، لأن « الناس يختلفون فى تفكيرهم » (١) ،

---

(١) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقــائد وتاريخ المذاهب الفقهيــة — دار الفكر العربى ، ص ٧ (من الكتــاب الأول) .

وأن هذا الاختلاف بين المسلمين ، « لم يتناول لب الدين ، فلم يكن الاختلاف فى وحدانية الله تعالى ، وشهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فى أن القرآن نزل من عند الله العلى القدير .. » (٢) ، وانما هو دار حول مسائل تتصل بأمور أخرى غير العقيدة الدينية الاسلامية ، لأسباب تتصل (بالمتغيرات) التى فرضت نفسها على حياة المسلمين ، وفى مقدمتها مسألة (الخلافة) ، التى فرضت نفسها عليهم ، « عقب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم » (٣) ، وأنه « اذا كانت هناك آراء تمس الاعتقاد ، فقد نحى العلماء معتنقيها عن أن يكونوا فى زمرة المسلمين ، فمثلا ظهرت فى عهد (على) رضى الله عنه طائفة تعتقد حلول الله تعالى فى (على بن أبى طالب) ، تسمى (السبئية) ، وأخرى تعتقد أن الرسالة كانت لعلى رضى الله عنه ، ولكن (جبريل) أخطأ ، ونزل بها على (محمد صلى الله عليه وسلم) ، وتسمى (الغرابية) ، ولكن المسلمين جميعا يقررون أن هاتين الفرقتين ليستا من أهل الاسلام فى شىء ، كما أن فى (الخوارج) فرقة تنكر (سورة يوسف) ، وهذه هى الأخرى قد أجمع المسلمون على أنها ليست من أهل الاسلام » (٤) .

ويرى - رحمه الله - أخيرا - أن الخلاف الذى (فرض نفسه) « فى مدة أبى بكر وعمر وأكثر خلافة ذى النورين ، عثمان رضى الله عنهم » ، قد « سكن » ، « لأن شخصية أبى بكر وعمر . وما أخذ عمر المسلمين به ، من عطف وعدل وحزم ، كان لها الأثر فى منع الفتن من أن تظهر ، والخلافات من أن تنبثق ، وفوق ذلك شغل المسلمون بالجهاد فى سبيل الله » (٥) .

---

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ (من الكتاب الأول) .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ (من الكتاب الأول)
(٤) المرجع السابق ، ص ١٩ (من الكتاب الأول) .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥ (من الكتاب الأول) .

وكانت عصور الخلفــاء الراشدين الثــلاثة ، عند الكثيرين ، هى عصور بنــاء المجتمع الاسلامى ، « فعصر أبى بكر كان هو العصر الذى نشأت فيه الدولة الاسلامية ، وعصر عمر كان هو العصر الذى تم فيــه انشاؤها ، وعصر عثمان كان هو العصر الذى تكون فيـــه المجتمــع الاسلامى ، بعد نشأة الدولة الجديدة ، فبرز فيه نظــام جديد ، على أساس الثروة المجلوبة من الأقطــار المفتوحة ، وعلى أساس الولايات التى تولاها بعض الطبقات المرشحة للرئاسة » [٦] .

وهكذا جاء عصر عثمان ، « وقــد انثالت الدنيــا على المسلمين ، وآلت اليهم ثروة الفــرس والروم ، فكان عثمان هو الخليفة المناسب لذلك الظرف ، حتى يأخذ المسلمين فى طــريق جديد ، يظهر صلاحيــة الاسلام ، للدولة الغنية الجديدة ، ولمظــاهر الغنى ، الذى ساقه الله الى أهلها ، للأخذ بأسباب الحضارة ، التى سيرثها المسلمون ، ليخلصوا الاسلام من بعض آثار البداوة التى نشأ فيها ، ودعته ظــروف نشأته الى الأخذ بها ، فلعثمان فضل هذا التجديد فى الاسلام ، لأنه هو الذى فتح هــذا للمسلمين ، وأظهر فيه كثيرا من سماحة الاسلام الجديدة ، لأنه كان غنيا ، ينعم بما ينعم به الأغنياء ، ويحب التوسعة على الناس ، ليتمتعوا بالغنى ، الذى ساقه الله اليهم » [٧] ، فى الوقت الذى « أخــذ الاسلام (فيه) بمظهر الزهد فى الدنيا ، على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى عهد أبى بكر وعمــر » [٨] .

وهكذا « كانت الحياة » « على عهد الشيخين » « محكومة بتعاليم الاسلام وروحه ، وكان الشيخان فى قمــة البشرية بعد محمد ، يتطلع

---

(٦) عباس محمود العقاد : عبقرية الامام — رقم (١١٢) من سلسلة (اقــرأ) — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر ، ص ٣٢ .

(٧) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام : من القــرن الاول الى الرابع عشر (١٠٠ هـ — ١٣٧٠ هـ) — الطبعة الثانية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر — ١٣٨٢هـ — ١٩٦٢م ، ص ٣٨ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

الناس اليهما فى تصرفاتهما وسلوكهما ومشاعرهما وأفكارهما ، فيدركون القبس الخالد الذى يقبسان منه ، ويرون الرسول رأى الواقع فى قلبيهما الكبيرين ، فيعيشون فى ظلهما مع الرسول ، فوق ما يعيشون معه فى ذكرياتهم الخاصة ، ووجداناتهم ، التى كانت بدورها قد امتلأت بتلك القبسات المشرقة ، من قبسات الرسول . وجاء عثمان رضى الله عنه ، فسار فى أول عهده على هدى الشيخين ما استطاع ، ولكن رويدا رويدا ، أخذ نفوذ مروان بن الحكم ومنهجه ، يغلبان على الحكم ، وعثمان رضى الله عنه تثقله السن ، وبدأ المسلمون يحسون بافتراق الطريق»(٩) .

ثم ان هناك أمرا جديدا ، كان هو الأمر الذى حول مسار التاريخ الاسلامى ، من عصر عثمان رضى الله عنه ، وذلك هو « اشتهار سيدنا (عثمان) بحبه لقرابته — وليس فى ذلك اثم ولا لوم — ولكنه ولاهم وقربهم ، وكان يستشيرهم فى كثير من شئون الدولة ، وفيهم من ليس أهلا للثقة . وبمقدار الاكثار من استشارتهم ، لم يكثر من استشارة علية الصحابة » ، وكان « أولئك الأمويون ، الذين كانوا هم قرابة عثمان ، يحاولون القبض على ناصية الأمور ، وكانو يحرضون عثمان على عدم الالتفات الى لوم اللائمين ، ونقد الناقدين » ، « وبعض هؤلاء لم يكونوا من ذوى السبق فى الاسلام ، وبعضهم كان النبى صلى الله عليه عليه وسلم قد أباح دمه ، اذ ارتد بعد ايمان ، كعبد الله بن سعد ابن أبى السرح » ، مما « حرك عوامل الاتهام بالمحاباة » (١٠) ، ضد سيدنا عثمان .

ويضاف الى تولية سيدنا عثمان لأقاربه ولاة ، مع ضعف اسلام كثير منهم ، وسوء تصرفهم مع الرعية بالتالى ، مما كان « من شأنه

---

(٩) محمد قطب : قبسات من الرسول (مرجع سابق) ، ص ٨ ، ٩ (من مقدمة الكتاب) .

(١٠) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧ ، ٢٨ (من الكتاب الأول) .

أن يثير النقمة على أمير المؤمنين ، سيدنا عثمان رضى الله عنه » ، « لين سيدنا عثمــان رضى الله عنه ، فلينه مع عمــاله ــ ولم يكن بعضــهم عدلا ــ جعل الناس ييئسون من عدله » ، كما « لم يكن عثمان رضى الله عنه حازما مع الذين ثاروا عليه ، وهاجمــوا داره ، وحصبوه وهو على المنبر ، ولو أنه أخذ أولئك العصاة بالشدة ، لأدى ذلك الى نجــاته ، والى استتباب أمن المسلمين ، وحسم الخلاف » (١١) .

وقــد زاد الأمر سوءا ــ عند المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ــ « وجود طوائف من الناقمين على الاسلام ، الذين يكيــدون لأهله ، ويعيشون فى ظله ، وكان أولئك يلبسون لبــاس الغيرة على الاسلام ، وقــد دخلوا فى الاســلام ظاهرا وأضــمروا الكفر باطنــا » (١٢) ، والنموذج الواضح لهم ، هو عبد الله بن سبأ ، اليهودى ، الذى دخــل الاسلام لنسفه من الداخل ، تماما كما رأينا شاؤول يفعل فى المسيحية فيما قبل ، وقــد تسمى (بولس الرسول) ، بعد أن صار أخطر رجالها ، ومهندس بنائها كلــه ، على نحــو ما رأينا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة (١٣) .

ووسط هــذه (الفتنة) التى فرضت نفسها ، لأول مرة فى التاريخ الاسلامى ، لم يكن هنــاك ملجأ للناس ، سوى من تبقى من صــحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن أغلق الخليفة عثمان فى وجوههم بابه ، أو بعد أن حال المقربون منه من أقاربه بينهم وبين الوصول اليه ، وكان يتصدر هؤلاء الصحابة ، الذين كان لابد أن يلجأ الناس اليهم ، على بن أبى طالب ، كرم الله وجهــه ، لأسباب عدة ، منها ســبقه الى الاسلام ، وهو لم يزل بعد غضا طريا ، وتربيته فى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم مصاهرته له ، واشتراكه فى « الغزوات كلها مع النبى ،

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٢٩ (من الكتاب الأول) .
(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ (من الكتاب الأول) .
(١٣) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجــع سابق) ، ص ٨٥ وما بعدها .

الا غزوة تبوك » (١٤) ، اضافة الى موقفه الايجابى من الاسلام ، سواء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى عهدى خليفتيه أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، حتى لقد عد — فى عهدهما — ركنا من أركان الدولة الكبرى ، وعاملا من عوامل بقائها ، وعلو مكانتها .

يضاف الى ذلك ، أنه — رضي الله عنه — قد عاش فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم متعلما ، ثم عاش — من بعده — وفى عهد خليفتيه — معلما للناس ، وقد واتته الفرصة هنا ، أو فرضت عليه الظروف فرضا ، أن يكون (قدوة) للناس ، فى مناصرة الحق ، الذى لا يأمر الاسلام الا به .

وقد بذل الامام على رضى الله عنه جهده فى اتقاء (الفتنة) ، وتجنيب الخليفة عثمان اياها ، مما أحقد الأمويين المحيطين بالخليفة ، عليه ، ومما جعلهم — فى الوقت ذاته — يظهرونه بمظهر المعارض للخليفة ، والطامع فى السلطة ، والحريص على الخلافة .

ووقع ما كان الامام يخشاه ، وقتل الخليفة عثمان بأيد أثيمة غادرة ، لا يستطيع أحد أن يحدد بالضبط ، ما اذا كانت هى أيدى « بعض الأعراب النازلين بمصر والعراق ، بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم ، غير ناظرين الى كفايتهم ، ولا الى وثوق الخليفة بهم ، ونصحهم له ، فحاصروه فى داره بالمدينة ، وتسوروها عليه ، وقتلوه وهو يتلو القرآن فى المصحف سنة ٣٥ هـ ، بعد « ست سنين » من « خلافته » ، « لم يحدث عليه فيها شغب » (١٥) — أو أنها أيدى أقاربه أنفسهم ، الذين كان يفرض أنهم فى حراسته ، وبهذه الحراسة يفصلون بينه وبين الناس — أو أيدى أولئك الذين أعلنوا اسلامهم ، للاندساس

---

(١٤) الشيخ احمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى : الوسيط فى الادب العربى وتاريخه — الطبعة السابعة عشرة — دار المعارف بمصر ، ص ١١٤ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

فى الاسلام وتحطيمه من داخله ، وقد أتتهم الفرصة ، بما حدث من خلاف بين الخليفة وشعبه •

وأيا كان الوضع ، فقد كان المنطقى أن تتجه كل الأنظار الى الامام على كرم الله وجهه ، بعد مقتل عثمان ، حيث « بايعه الناس بالحجاز ، وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام ، شيعة بنى أمية ، غضبا منهم لمقتل عثمان ، وقلة عنايته بالبحث عن معرفة القتلة ، على حسب اعتقادهم » (١٦) •

وفى هذا الجو الذى كان سائدا ، وأحاط بمقتل عثمان ، على نحو ما سبق ، يكون منطقيا أن (يتشكك) معاوية ، الذى كان فى الشام ، واليا عليه ، بعيدا عن مسرح الأحداث ، وغيره من بنى أموية ، الذين أحاطوا بعثمان فى محنته ، وكانوا ـ فى الوقت ذاته ـ من أسبابها ، وأدركوا ـ عن قرب ـ كراهية الناس لهم ، وتجمعهم حول على ، وحبهم له ـ ولعل هذا التشكك ، هو الذى وجه الأحداث بعد مقتل عثمان ، بدءا من الامتناع عن بيعة على بالخلافة ، وانتهاء بما دار بينه وبينه من معارك ، وجهت الأحداث الى حيث أراد معاوية ، لا الى حيث أراد المسلمون ، وانتهت بالصراع الأموى الهاشمى ، وبتفرق المسلمين على طريق هذا الخلاف ، تفرقا أخذ يتسع ، حتى وصل الى مداه فى عصرنا الحاضر •

وأصل هذا الخلاف ، هو خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى (قيادة) المسلمين ، دون تركه صلى الله عليه وسلم « وصية ظاهرة ، لأنه علم أن الخلافة منتهية الى مثل ما انتهت اليه ، ولا سيما بعد تقديمه أبا بكر للصلاة » (١٧) ـ وكان اختيار أبى بكر ، هو الذى حسم الخلاف بين المهاجرين والأنصار ، حول الخليفة ، فى سقيفة

---

(١٦) المرجع السابق ، ص ١١٤ •

(١٧) عباس محمود العقاد : عبقرية الصديق ـ جمهورية مصر العربية ـ وزارة التربية والتعليم ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٢٥ ، ٢٦ •

بنى ساعدة ، مما يدل على أنه كان يحظى بتأييد الجميع ، ومن ثم حظى بمبايعتهم ، دون تردد من أحـــد •

فلمـا حضرت أبا بكر الوفاة ، أوصى لعمر [١٨] ، و « بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر » [١٩] ، « ولم يعتمد عمـر على الشورى فى اختيار الخليفة بعده ، وله مندوحة عنها ، فقد رأى من أصحابه — كما قال — حرصا سيئا ، وخلافا لا يحسمه رأى واحد ، وكانت حيرته عظيمة بين الاستخلاف ، وترك الاستخلاف ، فلما قيل له وهو طعين ، يودع الحياة : ماذا تقول لله عــز وجل ، اذا لقيته ولم تستخلف على عباده ؟ أصابته كآبة ، ثم نكس رأسه طويلا ، ثم رفع رأسه وقال : (ان الله تعـالى حافظ الدين ، وأى ذلك أفعل ، فقـد سن لى • ان لم أستخلف ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وان استخلفت ، فقد استخلف أبو بكر) •

واختار للشورى فى أمر الخلافة أناسا ، ليس بين المسلمين أولى منهم بالاختيـار ، وكأنهم كانوا مسمين بأسمائهم لهـذه المهمـة ، لو لم يرشحهم هو لرشحهم لهـا كل مختار » [٢٠] — « ثم جعل أمر الخـلافة شـورى بين هؤلاء الستة : على ، وعثمان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله » [٢١] ، فوقع الاختيار على عثمـان ، الذى « سـارع على الى

---

(١٨) الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢هـ : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم — نشره محب قصي الدين الخطيب — الطبعة الثانية — المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر — ١٣٩٦ هـ ، ص ٤٩٨ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٥٠٠ .

(٢٠) عباس محمود العقاد : عبقـرية عمر — الجمهورية العربيـة المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م ، ص ٢١٠ .

(٢١) طـه حسين : الشيخان — دار المعارف بمصر — ١٩٦٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

مبايعته » (٢٢) ، وان « لم يفز بالاجماع ، الذى فاز به الصاحبان » ، « بعد مناقشات ومفاوضات بين كبار الصحابة » (٢٣) .

فلمـا مات عثمان رضى الله عنه ، كان الامام على أولى الناس بالخلافة ، وعليها بايعه أهل الحجاز كما سبق ، فقـد كانت الظروف المحيطة بعثمان ساعة مقتله ، لا تسمح له بأن يوصى ، كما فعل أبو بكر وعمر ، حين حضرتهما الوفاة .

الشيعة والسنة :

يرى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، أن « الشيعة أقدم المذاهب السياسية الاسلامية » ، وأنهم « ظهروا بمذهبهم فى آخر عصر (عثمان) رضى الله عنه ، ونما وترعرع فى عهد (على) رضى الله عنه ، اذ كان كلما اختلط بالناس ، ازدادوا اعجابا بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه » (٢٤) .

واذا كان هـذا رأى عالم من علمـاء السنة فى نشأة الشيعة ، فان علمـاء الشيعة يرون أن « الشيعة قـد تكونت فى عهد الرسـول الأعظم (ص) ، فهو أول من وضـع هـذه البذرة الطيبة ونماها ، وتعاهدها بالسقى والعنـاية » ، وأن « الشيعة فى اللغة : الأتبـاع والأنصار ، وغلب على كل من يتولى الامام أمير المؤمنين (ع) وأهل بيته » ، وأن « من أوليـات مبادىء الشيعة ، الحب العميق لأهـل البيت (ع) » (٢٥) .

---

(٢٢) الدكتور مصطفى الرافعى : حضارة العرب ، فى العصـور الاسلامية الزاهرة — الطبعة الثانية — دار الكتاب اللبنـانى ، للطبـاعة والنشر — ١٩٦٨ ، ص ١٥٩ .

(٢٣) على محمد راضى : عصر الاسلام الذهبى ، المـأمون العباسى — العدد (٧١) من (مذاهب وشخصيات) — الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١٣ .

(٢٤) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، ص ٣٣ (من الكتاب الأول) .

(٢٥) باقـر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهمـا السلام ، دراسـة وتحليل — الجـزء الأولى — الطبعة الثانية — مطبعة الآداب بالنجف — العراق — ١٣٨٩هـ — ١٩٧٠م ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

والمراد بأهل البيت عند الشيعة ، هو « مجموعهم ، من حيث المجموع ، باعتبار أئمتهم ، وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق ، لأن هذه المنزلة ليست الا لحجج الله ، والقوامين بأمره خاصة ، بحكم العقل والنقل » (٢٦) .

و (حجة الله) الأول عند الشيعة ، هو الامام على كرم الله وجهه ، فان « من أحاط علما بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى تأسيس دولة الاسلام ، وتشريع أحكامها ، وتمهيد قواعدها ، وسن قوانينها ، وتنظيم شئونها عن الله عز وجل ، يجد عليا وزير رسول الله فى أمره ، وظهيره على عدوه ، وعيبة علمه ، ووارث حكمه ، وولى عهده ، وصاحب الأمر من بعده ، ومن وقف على أقوال النبى وأفعاله ، فى حله وترحاله ، صلى الله عليه وسلم ، يجد نصوصه فى ذلك متوافرة متوالية من مبدأ أمره ، الى منتهى عمره » (٢٧) .

ويستند الشيعة فى أن عليا (ولى الله) بعد رسوله صلى الله عليه وسلم ، على أحاديث ينسبونها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يوردها الشيخان (البخارى ومسلم) (٢٨) ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا أخى ووصيتى ، وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا » (٢٩) . ولم يخرج الشيخان وغيرهما من رواة الحديث هذا الحديث وغيره — عند الشيعة — « لأنهم رأوه يصادم رأيهم فى الخلافة ، وهذا هو السبب فى اعراضهم عن كثير من النصوص الصحيحة ، خافوا أن تكون سلاحا للشيعة ، فكتموها وهم يعلمون ،

---

(٢٦) الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوى : المراجعات — مؤسسة الأعلمى للمطبوعات — بيروت — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م ، ص ٤٤ (من المراجعة رقم ٧) .

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٣٠ (من المراجعة رقم ٢٠) .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ١٨٥ — ١٨٨ (من المراجعة رقم ٥٤) — وتكاد صفحات هذه المراجعة ان تقتصر على الأحاديث الدالة على ان الامام عليا هو (ولى الله) ، وانه استخلفه من بعده — وهى أحاديث كثيرة كثيرة .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ١٣٠ (من المراجعة رقم ٢٠) .

وأن كثيرا من شيوخ أهـل السنة ـ عفا الله عنهم ـ كانوا على هـذه الوتيرة » .

« ومن عرف سريرة البخارى تجـاه أمير المؤمنين وسائر أهـل البيت ، وعلم أن براعته ترتاع من روائع نصوصهم ، وأن مداه ينضب عن بيـان خصائصهم ، لا يستغرب اعراضـه عن هـذا الحـديث وأمثاله » [٣٠] .

ومثلمـا (يتهم) علماء الشيعة أصـحاب الصحاح بأنهم هكذا (مغرضون) ، فيما رووا من أحاديث ، وفيما تركوا من أحاديث ، فأنهم (يتهمون) أصحاب المذاهب الأربعة ـ أئمة المسلمين السنة ـ فيمـا اعتمده كل منهم من (فقه) ، ومن ثم كان للشيعة فقههم ـ وفقهاؤهم ـ الذى لايعترفون بغيره ، وهم يرون أن ذلك « لم يكن لتحزب أو تعصب ، ولا للريب فى اجتهاد أئمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم ، علما وعملا .

لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا ، الى الأخذ بمذهب الأئمـة ، من أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحى والتنزيل ، فانقطعنا اليهم فى فروع الدين وعقائده ، وأصول الفقـه وقواعده ، ومعارف السنة والكتاب ، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب ، نزولا على حكم الأدلة والبراهين ، وتعبدا بسنة سيد النبيين والمرسلين ، صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين » [٣١] .

ولا يقف هـذا (الاتهام) الشيعى عند حـد الشيخين وغيرهما من أصحاب الصحاح ، ولا عند حـد الأئمة الأربعة ، بل انه يتعدى هؤلاء وهؤلاء ، الى حـد اتهام الصحابة جميعا ، بما يمكن أن يسمى (مؤامرة السقيفة) ، حيث « الشيعة فى جملتهم يرون أن عليا أحـق المسلمين بخلافة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان الخليفة المختار

(٣٠) المرجع السابق ، ص ١٣٤ (من المراجعة رقم ٢١) .
(٣١) المرجع السابق ، ص ٣٢ (من المراجعة رقم ٤) .

من النبى صلى الله عليه وسلم » (٣٢) ، على نحو ما رأينا من قبل ، ومن ثم فانهم يرون أن « الناس كافة يعلمون أن الامام وسائر أوليائه ، من بنى هاشم وغيرهم ، لم يشهدوا البيعة ، ولا دخلوا السقيفة يومئذ ، وكانوا فى معزل عنهـا ، وعن كل ما كان فيهـا ، منصرفين بكلهم الى خطبهم الفادح ، بوفاة رسـول الله ، وقيامهم بالواجب ، من تجهيزه صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يعنون بغير ذلك ، وما واروه فى ضراحه الأقدس ، حتى أكمل أهل السقيفة أمرهم ، فأبرموا البيعة ، وأحكموا العقد ، وأجمعوا — أخذا بالحزم — على منع كل قول أو فعل يوهن بيعتهم ، أو يخدش عقـدهم ، أو يدخل التشويش والاضطراب على عامتهم ، فأين كان الامام عن السقيفة ، وعن بيعة الصديق ومبايعته ، ليحتج عليهم ؟ » .

« على أن عليا لم ير للاحتجاج عليهم يومئذ أثرا الا الفتنة ، التى كان يؤثر ضياع حقه ، على حصولها فى تلك الظروف » .

« ومع ذلك ، فانه وبنيه ، والعلماء من مواليه ، كانوا يستعملون الحكمة فى ذكر الوصية ، ونشر النصوص الجلية ، كمـا لا يخفى على االمتتبعين » (٣٣) .

وأعتقـد أن الاتهـام هنـا لا يقتصر على من شهد السقيفة ، وانما يتعداه الى الامام على ذاته ، الذى (سكت) على خطأ وقـع ، بمخالفة البيعة (لنص) أمـر به رسـول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، فيما يذهب اليه الشيعة — كما سبق .

---

(٣٢) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٤ (من الكتـاب الثـانى .

(٣٣) الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوى : المراجعات (مرجع سابق) ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥ (من المراجعة رقم ٢ ما) .

وعلى كل حال ، فانه اذا كان ثمة خطأ حدث ، حين تولى أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة ، حيث كان يجب أن يتولى على ، فقــد عادت الأمور الى نصابها ، حين عاد الحق الى صاحبه ، يوم تولى على الخلافة بعد عثمان ، فقد كان ذلك على حد التعبير الشيعى ، « أروع ثورة اجتماعية عرفها التاريخ الاسلامى ، ثورة الامام أمير المؤمنين ، رائد العدالة الكبرى فى الأرض » و « لقــد حاول الامام أن يغير مجــرى التاريخ ، ويدفع الانسان الى التطور الاجتماعى ، ويحقق له المزيد من المكاسب الاجتماعية ، فيوفر له الحرية والعدالة والمساواة ، فى اطارها الاسلامى الأصيل » ، ومن ثم « كانت حادثة صفين ، بداية الشر ، وبداية الانقلاب فى تاريخ الأمة الاسلامية ، فقد أخلدت لهــا الفتن ، وجردت لها الويلات والكوارث ، وكان من أظهر مخلفاتها ، اماتة الوعى الاسلامى فى النفوس ، والخنوع أمام الظلم والجور » (٣٤) .

ولأن عائشة رضى الله عنها اتخذت فى النزاع الذى دار بين على ومعاوية ، موقفا محددا ، مع معاوية ضــد على ، من أجل دم عثمان رضى الله عنه ، فالشيعة لا يرتاحون لهــا ، ومن ثم فهم يعتبرونهــا « ليست بأفضل أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم » (٣٥) .

ومن ثم فاذا ذكر اسم (أهل البيت) عند الشيعة ، فان المقصود بهم يكون على بن أبى طالب رضى الله عنه من الرجال ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد من النساء ، ففاطمة وخديجة ، اضافة الى مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم ، زوج فرعون ، أفضل نســاء أهل الجنة عندهم (٣٦) .

---

(٣٤) باقر شريف القرشى : حيــــاة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، دراسة وتحليل ــ الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣١ ــ ٣٣ (من تقــديم الطبعة الأولى) .

(٣٥) الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوى : المراجعات (مراجع سابق) ، ص ٢٢٩ (من المراجعة رقم ٧٢) .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ (من المراجعة رقم ٧٢) .

والامامة ، التى يقوم عليها الفكر الدينى الشيعى كله ، ويختلف فيها مع الفكر الدينى السنى ، حصرها الرسول صلى الله عليه وسلم — عند الشيعة — فى الامام على ، على نحو ما سبق [٣٧] — وهى — أى « الإمامة — حسب ما تراه الشيعة — كالنبوة ، لا يمنحها الله الا للذوات الخيرة ، التى طهرت من الأرجاس والآثام ، وانمحت منها أفانين الظلم والأباطيل ، وهى من أسمى المناصب الالهية ، لا يتوج بها إلا أفضل الخلق وأكرمهم عند الله » ، و « الامامة رئاسة عامة ، فى أمور الدين والدنيا ، لشخص انسانى » ، وهى — عندهم — « قاعدة من قواعد الاسلام وأصل من أصوله ، وقد اتفق المسلمون على ضرورتها وحتميتها » ، « سوى (الخوارج) » ، « وقد أجمع المسلمون على زيف ذلك وبطلانه » [٣٨] — أى على زيف رأى الخوارج وبطلانه .

ولأن الامامة هكذا ، أمر الهى ، « تجمع الشيعة على أن تعيين الامام ليس بيد الأمة ، ولا بيد أهل الحل والعقد منها ، والانتخاب فى الامامة باطل ، والاختيار فيها مستحيل ، فحالها كحال النبوة ، فكما أنها لا تكون بايجاد الانسان ورغبته ، كذلك الامامة ، لأن العصمة ، التى هى شرط فى الامامة — عندهم — لا يعلمها الا الله ، المطلع على خفايا النفوس ، ودخائل القلوب ، فهو الذى يمنحها لمن يشاء من عباده ، ويختاره لمنصب الامامة والخلافة .

وما النبوة والامامة ، بما هما منصب الهى ، يجوز فيهما الترشيح والانتخاب ، فان تعيينهما من مختصاته تعالى » ، « وشأن الامامة كشأن النبوة ، لا رجوع فيها الى اختيار الشعب وارادته » [٣٩] ، وانما « تعيين الامام عند الشيعة ، ينحصر فى النص ، ولا سبيل لغيره

---

(٣٧) ارجع الى ص ١٠٤ من الكتاب .
(٣٨) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٣٩) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

فى ذلك ، وعليه فيجب على النبى (ص) أن يعين من يخلفه من بعده ، وكذلك يجب على الامام من بعده ، أن ينص على الخلف الذى يجب أن يرجع اليه الناس » [٤٠] .

وقد كان الامام الأول ، الذى نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشيعة ، هو الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، كما سبق [٤١] .

ويرتبط بالامامة ـ كما سبق ـ ما حباه الله للامام عندهم من (عصمة) ـ و « عصمة الامام ـ عند الشيعة ـ قاعدة أساسية فى الامامة، وهى من المبادىء الأولية فى كيانهم العقائدى ، وقد عرفها المتكلمون فقالوا : انها لطف من الله ، يفيضها على أكمل عباده ، وأفضلهم عنده ، وبها يمتنع من ارتكاب الآثام والجرائم ، عمدا وسهوا .. وقد أثارت عليهم هذه العقيدة ، الكثير من التهم والطعون ، واتهمهم قوم بالغلو والافراط فى الحب » [٤٢] ـ على حد تعبير أحد كبار علماء الشيعة ..

ومثلما يختلف السنة مع الشيعة فى مسألة (الامامة) من أساسها ، فانهم يختلفون معهم ـ بالتالى ـ فى كل ما يتصل بها ويترتب عليها من مسائل ، كمسألة (عصمة الامام) ، ونص الامام على من يخلفه ، دون الرجوع الى الأمة فى اختيار امامها ـ أو خليفتها ، ومسألة حصر الامامة ـ أو الخلافة ـ فى آل البيت ، دون سواهم ، وفى غير ذلك من المسائل ، اذ « ليس حق الامامة بالبداهة ، هو حق الامام لشخصه ، ولا هو من الحقوق التى يمكن أن تحصر فى جهة واحدة ، وانما يحق للامام منه ما هو حقه بموجب البيعة والأمانة العامة ، فهو مطيع فى هذه الأمانة مطاع ..

---

(٤٠) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٤١) ارجع الى ص ١٠٤ ، ١٠٥ من الكتاب .
(٤٢) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، دراسة وتحليل ـ الجزء الأول (المرجع السابق) ، ص ١١١ .

ومن ثم وجب أن يتولى الامام عمله ، باختيار رعاياه ، ولابد من البيعة العامة لكل امام مسئول ، تجب له الطاعة ، يرشحه من استطاع من أولى الحل والعقد ، وينعقد له الأمر ، بعد اجازة هذا الترشيح ، بالبيعة العامة » (٤٣) — هذا هو وضعها عند السنة .

وقد كان الامام على نفسه ، كما رأينا ، ممن بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وقد كان لديه من الشجاعة ، كما هو معروف عنه ، ما كان يمكنه من أن يتصدى لهذه المبايعة ، متى كانت تخالف الاسلام .

ويبدو أن مسألة الامامة تلك ، وما اتصل بها وما ترتب عليها من مسائل ، كانت من الأسباب الرئيسية ، التى جرت على الشيعة ويلات كثيرة ، خاصة فى العصرين ، الأموى والعباسى ، كما جرت ويلات كثيرة حتى على آل البيت أنفسهم ، بتوريطهم مع (السلطات الحاكمة) فى الدولتين ، حتى لقد « اعتزل آل البيت السياسة ، بالقول والعمل ، حتى انهم كانوا ينادون الحكام (يا أمير المؤمنين) ، اتقاء للأذى ، وما بقى أكثرهم بالمدينة ، الا لهذا الاعتزال ، وأول من أكثر التنقل فى البلاد العراقية والشامية ، الإمام زيد ، رضى الله عنه .

ولكن الدعوات الشيعية كانت تنتشر فى طول البلاد وعرضها ، مع اعتزال آل البيت الهاشمى للناس ، وكان اعتزالهم للمتشيعين لهم ، سببا فى أن ينحرف كثيرون من هؤلاء المتشيعين ، عن المنهاج الاسلامى السليم فى تشيعهم ، فظهر الانحراف ، وقد كان آل البيت كلما التقوا بهؤلاء فى المدينة ، زجروهم وعنفوهم ، ولما التقى بهم الامام زيد فى رحلاته ، أخذ يبث فيهم الحق ، وينهاهم عن الانحراف » (٤٤) .

---

(٤٣) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، واباطيل خصومه (مرجع سابق) ، ص ٢٥٠ .

(٤٤) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية — الجزء الثانى — فى تاريخ المذاهب الفقهية — دار الفكر العربى ، ص ٤٦٧ .

وأيا كان الأمر ، فقد « تأسست الدولة الأموية ، فى هــذا المنــاخ الثورى ، نتيجــة لحرب خاضها معاوية ضد على ، وانتصر فيها ، ولم يكن هــذا الانتصار سياسيا وحسب ، وانما كان كذلك انتصارا ثقافيا ، وكان منحى العمل عند معاوية ، يتمثل فى فن استغلال العــالم ، وكان منحى العمل عند على ، يتمثل فى فن تحــرير العــالم . معاوية تيــار تثبيت لمــا هو راهن ، وفقا لمــا استقر وساد ، بشــكله الذى أرساه الخليفة الثالث ، أما على ، فتيار دعوة تأصيليــة الى الأصــل الأول ، النبى وبدءا منه » (٤٥) .

وهكذا لا نســتطيع أن ندعى أن ما حــدث من صراع بين على ومعــاوية ، كان صراعا بين آل البيت وبين غيرهم من « القــوى المنحرفة » (٤٦) ، أو « الأدعياء من الأمويين » ، التى قابلت آل البيت ، « بما تملك من وسائل التنكيل والارهاب ، فأراقت دماءهم وطاردتهم ، وأشاعت الفــزع والخوف فيهم » (٤٧) ، اذ كان عمــر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، واحدا من هؤلاء الأمويين ، ولكنــه ــ بأعماله ــ عــد خامس الخلفــاء الراشــدين ، كما هو معلوم ، وقــد شاء الله لعمــر ابن عبد العزيز ــ كما هو معلوم أيضا ــ أن « يولد فى البيت الحاكم ، وينشأ نشأة الأمراء المترفين » (٤٨) ــ أمراء بنى أمية أيضا .

كما أن معاوية بن أبى ســفيان ذاته ، كان رجلا صالحــا ، وان

---

(٤٥) ادونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الاتبــاع والابداع عنــد العرب ــ ١ (الأصول) (مرجع سابق) ، ص ٧٨ .

(٤٦) باقــر شريف القــرشى : حيــاة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، دراسة وتحليل ــ الجــزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٢ (من تقــديم الطبعة الأولى) .

(٤٧) باقــر شريف القــرشى : حياة الامام موسى بن جعفــر عليهما الســلام ، دراسة وتحليل ــ الجزء الثانى ــ الطبعة الثانية ــ مطبعــة الآداب فى النجف الأشرف ــ العراق ــ ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م ، ص ١١ (من تقــديم الطبعة الأولى) .

(٤٨) أبو الحسن النــدوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .

(اضطر) الى العنف فى مواجهة الفوضى التى أعقبت قتل عثمان ، وأعقبت الصدام بينه وبين على ، وقد كان لعنفه هذا نفع للاسلام لا ينكر ، « لأنه قضى على الفوضى ، التى أراد الخوارج وقوع الناس فيها ، وهى رجعية أسوأ من رجعية الحكم الاستبدادى ، لأن الحكم فيه من النظام مافيه ، والنظام خير من الفوضى ، ولهذا شرع فى الاسلام الطاعة للحاكم الجائر ، اذا كان الخروج عليه ، لا يؤدى الى حكم عادل » .

« على أن معاوية مع هذا ، كان أصلح للحكم ، من أولئك الخوارج المتنطعين فى الدين ، لأنه كان على كل حال ، سمحا فى دينه ، لينا فى سياسته ، وقد مكث حكمه نحو عشرين سنة ، جمع جمهور المسلمين فيها حوله ، وأعاد الفتح الاسلامى الى مثل ما كان عليه أو أكثر ، فعادت للاسلام قوته ، بعد ضعفه بتلك الفتن » (٤٩) .

وهكذا كان الخلاف بين الصحابيين الجليلين ، على ومعاوية ، خلافا فى (أسلوب العمل) ، لا فى الأهداف التى يسعى هذا العمل لتحقيقها ، فكان معاوية يرى (محاكمة) من (أحدثوا) الفتنة ، لقطع أسبابها ، وكان على يرى محاكمة من (تسببوا) فيها ، ولذلك فانه حين « قام بالخلافة بعد عثمان ، ترك التحقيق فى قتله ، وشرع فى عزل عماله على الأمصار ، لأنه آثر أن يعود الى سيرة أبى بكر وعمر ، فى اتخاذ الزهد شعارا للدولة ، بعد أن أدى تساهل عثمان للناس فى أمر الدنيا ، الى التنازع عليها ، والوقوع فى تلك الفتن ، التى ذهب دمه فيها ، فليس أصلح لعلاجها عنده ، من القضاء على أسبابها ، والتغاضى عما حدث فيها ، من قتله وقتل غيره ، أو ارجاء التحقيق فيه ، الى أن يستقر النظام ، وتزول آثار هذه الفتنة » (٥٠) .

---

(٤٩) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر (مرجع سابق) ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٥٠) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

وعلى النقيض من على ومعاوية معا ، كان يزيد بن معاوية ، الذى ولى الخـلافة بعد أبيه ، معاوية ، فكانت الكارثة الحقيقية ، خاصة لقاءه الدموى مع الحسين بن على ، « فكل خلاف جاز فى المفاضـلة بين على ومعاوية ، غير جائز فى المفاضلة بين الحسين ويزيد ، وانما الموقف الحاسم بينهما ، موقف الأريحية الصراح ، فى مواجهة المنفعة الصراح . وقـد بلغ كلاهما من موقفه أقصى طرفيه ، وأبعد غايتيه ، فانتصر الحسين ، بأشرف ما فى النفس الانسانية ، من غيرة على الحق ، وكراهة للنفـاق والمداراة ، وانتصر يزيد ، بأرذل ما فى النفس الانسانية ، من جشـع ومراء ، وخضوع لصغار المتع والأهواء » [٥١] .

وهكذا سن سيدنا على ، كـرم الله وجهه ، لابنه الحسين ، سنة (المواجهة) مع السلطة الحاكمة ـ الجائرة ، مما دفع السلطات الحاكمة ، أموية كانت أو عباسية ، الى عدم الرفق بالشيعة ، ومما أدى الى زيادة التفاف الناس حولها فى الوقت ذاته ، بوصفها (أملهم) فى الخلاص ـ ولكنـه أدى ـ أيضـا ـ الى (احـراج) آل البيت أنفسهم ، كما سبق [٥٢] ، والى المزيد من التنكيل بالشيعة ، أو بمن اشتبه فى نيـة التشيع عنـده ، حتى أن العباسيين ، وهم شركاء الشيعة فى الكفـاح ضـد الأمويين ، قـد « اندفعوا الى مقابلتهم بكل قسـوة وضراوة ، فنكلت بهم أفظع التنكيل وأمره » ، واتبعوا معهم « سياسـة نكراء ، لا ظـل فيها للعـدل والحق ، فقد مثلت سياستهم بجميع مخططاتها ، السياسة الأموية ، الحاملة لشعارات الفقر والجهل والظلم » [٥٣] .

وأمام هـذه (الضربات) العنيفـة ، اضـطر الشيعة الى اعتماد

---

(٥١) عباس محمود العقاد : ابو الشهداء ، الحسين بن على ـ العدد رقـم (٤) من (كتاب الهلال) ـ سبتمبر ١٩٥١ ، ص ١٦ .
(٥٢) ارجع الى ص ١١٠ ، ١١١ من الكتاب .
(٥٣) باقـر شريف القـرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السـلام ، دراسة وتحليل ـ الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ١١ ، ١٢ (من تقـديم الطبعة الأولى) .

أساليب ، يستطيعون بهـا الصمود « فى وجه الأعاصير » ، منها « الدعاية السرية » ، و « تشكيل الخـلايا » ، « وكان على رأس كل منظمة وخلية ، رئيس يشرف عليها ، يسمى (الداعى) » ، وكذا أسلوب « المناظرات » ، و « الكتـابة على الجدران » ، و « الالتجاء الى التقية » ، وهى « عبارة عن الحيطة والحذر ، وكتمان العقيدة وخفائها » (٥٤) .

ويرى علمـاء الشيعة ، أن التقية « قـد نص القـرآن الكريم على جوازها » (٥٥) ، وأنه « قـد عاب على الشيعة بعض خصـومهم الأغبياء أمر التقية ، فراحوا يكيلون لهم الطعون عليها ، مع أنه لولا هذه الخطـة الحكيمة ، لمـا بقى مذهب التشيع على وجه الأرض ، وذهب ذكـر أهل البيت (ع) أدراج الرياح » (٥٦) .

وهكذا تكون (التقية) وسيلة من وسائل الجهـاد والنضال عنـد الشيعة ، كالمقـاومة المسلحة سواء بسـواء ، وقـد اختـار « المنهج الثورى » « الامام الحسـين (ع) ، حينما أعلن طاغيـة عصره يزيد ابن معاوية ، الكفر والالحاد ، والخروج على ارادة الأمة ، وتصميمه على اذلالهـا واستعبادها ، وارغامها على ما تكره ، فاضطر (ع) الى اعلان الثـورة ، مع علمـه (ع) بقـلة الناصر ، وخذلان الصديق » ، وبذلك « قـدم سيد الشهداء ، على تلك التضحية الجبارة ، ليزيل عن جسـم الأمة ذلك التخـدير ، الذى طعمه بهـا الحكم الأموى ، وكان لمقتله الشريف ، أثره الفعال ، فى ايقـاظ الجماهير ووعيها ، فقد تصـعدت العمليات الثورية ، حتى أطاحت بالحكم الأموى ، وأزالت جميع آثاره من العـالم العربى والاسلامى » .

واختار منهج المقـاومة السلبية ، « بعض الأئمـة الطـاهرين ،

---

(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٨٧ — ١٩١ .
(٥٥) المرجع السابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .
(٥٦) المرجع السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

لعلمهم بأن المقاومة الايجابية ، لا تجدى فى التغلب على الأحداث ، نظرا للظروف السياسية القائمة ، التى تؤدى الى حتمية فشل الثورة ، وعدم انتفاع القضية الاسلامية بها ، ومن ثم أعلنوا المقاومة السلبية ، وكان من مظاهرها حرمة الاتصال بالجهاز الحاكم ، وحرمة الترافع الى مجالس القضاء ، حسب ما دونه فقهاء الامامية ، فى كتاب القضاء » .

« ومن المؤسف » ، والكلام لعالم من علماء الشيعة ، « أن العلويين الثوار من الحسينيين وغيرهم ، لم يسيروا على وفق هذه السياسة البناءة المعتدلة ، التى رفع شعارها الأئمة (ع) ، فقد رفعوا علم الثورة على الحكم الأموى والعباسى ، ولم يكتب لثوراتهم النجاح ، لعدم وضعها على خطط سليمة ، فلذا منيت بالفشل ، وقد جرت لهم كثيرا من المشاكل والمصاعب ، وأخلدت لهم الآلام والخطوب »[٥٧] .

فرق الشيعة :

على طريق (حب آل البيت) اذن ، كان الاختلاف المبكر ، بين الشيعة والسنة .

ولا يعنى ذلك كراهية السنة لآل البيت ، أو عدم حبهم لهم على الأقل ، لأن المسلم لا يكون مسلما حقا ، الا اذا هو أحب النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، خاصة وهو يقرأ فى كل صلاة له : « .. اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم .. » — وانما هو يعنى أن السنى يحب آل البيت ، لما (قاموا) به من (دور) فى تاريخ الاسلام ، وهو يحب آل البيت — كل آل البيت ، ولا يستثنى من هذا الحب بعضهم ، لأسباب تبدو واضحة جلية لمن قرأ من أحبه الشيعة ومن كرهوه ، من ال البيت .

---

(٥٧) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١٨ ، ١٩ (من تقديم الطبعة الثانية) .

أما أن ينتقل هـذا الحب (للسابقين) ، لينسحب على (اللاحقين)، وأن يترجم عمليـا إلى « حصر الامامة في أهل البيت ، وعصـمتهم من الأخطاء والأهواء » (٥٨) ، وإلى أخذ « معالم الدين أصولا وفروعا من أئمـة أهل البيت (ع) » ، و « التقيد بأقوالهم وأفعالهم وتقريرهم » ، « دون غيرهم » (٥٩) ، بحجة أنهم « قد عصمهم الله من الفتن ، وطهرهم من الدنس ، وأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا » (٦٠) — فهذا هو الذى يرفضه السنة ، ويرونه فكرة (اسرائيلية) تماما ، تتنافى مع حقائق الايمـان الاسلامي ، الذى يقـوم على أساس أن « أهل العلم والفضل أحق بالامامة » (٦١) ، على النحـو الذى اختاره (البخارى) عنوانا لمجموعة الأحاديث ، التى رواها ، فى تكليف الرسـول صلى الله عليـه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس ، فى مرض وفاته (٦٢) ، وعلى أسـاس أن معيار (تفضيل) الانسان فى الاسلام ، هو (تقـوى الله) ، على حد قوله سبحانه ، فى محكم كتابه :

— « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (٦٣) .

وباب التقوى هـذا ، باب مفتوح لكل انسان ، يأبى عدل الله أن يغلق فى وجه انسان ، لمجـرد أنه ليس من (آل البيت) .

كما أن باب المعصية بابه مفتـوح لكل انسان ، يأبى عدل الله أن (يعصم) انسانا من ولوجه ، وييسر هذا الولوج لانسان آخر ، لمجـرد أنه ليس من (آل البيت) .

---

(٥٨) المرجع السابق ، ص ١١ (من تقديم الطبعة الثانية) .
(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٢ (من تقـديم الطبعة الثانية) .
(٦٠) المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ (من تقـديم للطبعة الثانية) .
(٦١) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجـزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١٧٢ .
(٦٢) المرجع السابق ، ص ١٧٢ — ١٧٤ .
(٦٣) قـرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١٣ .

ان ذلك ضد الاسلام ، الذى رأيناه فى الفصل الأول يتميز على كل الديانات السابقة ، بوضعه المبادرة فى يد الانسان ، ليخط مستقبله بيديه ، ويسلك بنفسه الطريق الذى يختاره للسير فيه (٦٤) .

واذا كان حب آل البيت ، هو الأساس الذى قام عليه التشيع منذ البداية ، ثم كانت (الامامة) بعد ذلك ، فان المنطقى أن يكون (التسابق) هنا ، تسابقا على طريق (الرفع من شأن) آل البيت ، ومن شأن الأئمة أيضا ، ومن ثم كان « من أهم المشاكل ، التى واجهتها الشيعة ، هى حركة الغلاة الالحادية ، فقد ألصقت بهم هذه التهمة ، لتشويه حقيقة التشيع » ، « فقد زعموا أن الأئمة آلهة ، وزعم بعضهم أنهم أنبياء ، وقال بعضهم بالتناسخ والتعديل .. الى غير ذلك من المعتقدات المنكرة ، التى تتنافى مع الاسلام » (٦٥) ، على حد تعبير علماء الشيعة الامامية ، الذين سوف نتحدث عنهم بعد قليل ، والذين يرون « أن للسلطة دخلا كبيرا فى ذلك ، فقد شجعوها ، وبالغوا فى تأييدها ، ليستحلوا بذلك دماء الشيعة ، ويثبتوا عليهم مادة المروق عن الاسلام » (٦٦) ، كما يرون أن « أهم ما حفل به العصر العباسى الأول من أحداث ، حدوث المذاهب الاسلامية ، وتشعب المسلمين الى عدة طوائف وفرق ، قد اختلفت فيما بينها فى أصول الدين وفروعه ، وفى كل شىء » ، وأن « الشىء المحقق ، أن السلطات العباسية فى عصورها الأولى ، هى التى أحدثت المذاهب الاسلامية ، وغذتها ونمتها ، وحملت الناس بالقهر والقوة على اعتناقها ، وفيما نحسب أن السبب فى ذلك ، أبعاد المسلمين عن أئمة أهل البيت ، الذين يمثلون واقع الاسلام ، واتجاهاته الثورية ، فى القضاء على الظلم الاجتماعى ، والغبن الاجتماعى ، وانقاذ الناس من الجور السياسى ، والاستبداد السياسى » (٦٧) .

---

(٦٤) ارجع الى ص ٢٩ ، ٣٠ من الكتاب .

(٦٥) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ٢٠٩ .

(٦٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

أى أن علمـاء الشيعة الامامية ، يعتبرون طائفتهم وحدها هي التى « تمسكت بجوهر الاسلام وواقعه ، وسايرت موكب العترة الطاهرة — التى أذهب الله عنها الرجس — ودانت بجميـع ما أثر عنها ، فى أصول الاسـلام وفروعه ، حتى عرف مذهبها بمذهب أهـل البيت ، عليهم السـلام »(٦٨) ، بينما (المغالون) من الشيعة — وهم كثيرون — كمـا سنرى — «تجمع» « الشيعة الامامية » « على ضلالة المغالين ، وخروجهم من الدين » (٦٩) ، ومن ثم « اندفعوا الى انكاره ، وتحذير المسلمين من دعاته » (٧٠) ، وأن هؤلاء المغالين من (صنيعة) السلطة العباسية — كما يعتبر الشـيعة السـنة ، من صنيعة السلطة العباسية أيضـا — مع أن علمـاء السـنة وقفوا من السلطة العباسية ومن غيرها موقف المنـاوىء ، فى حالات كثيرة ، وتحملوا فى سبيل ذلك ، ما احتسبوه عند الله ، على نحو ما سنرى فى نهايات هـذا الفصل ، ان شاء الله (٧١) .

ولا يقلل من قيمة هؤلاء العلماء والأئمة ، ما يراه البعض ، لأغراض سـياسية بحتـة ، لا تخـدم الاسلام والمسلمين ، كما لا يقلل من قيمة أبى بكر وعمـر وعثمان ، ما يراه نفس البعض ، لنفس الأغراض ، ولا يقلل من قيمـة على بن أبى طالب وبنيـه ، رضوان الله عليهم جميعا ، ما يراه آخرون ، لأغراض أخرى ، قـد لا تكون بعيدة عن السياسـة أيضـا .

وعلى أية حال ، فقد أدى (التسابق) الى الرفع من شأن آل البيت ومن شأن الأئمة بين الشيعة ، اعتمادا على (تأويل) نصوص معينة ، وتحميلها أكثر مما تطيق من معان ، واعتمادا على (وضع) أحاديث معينة ،

---

(٦٨) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٦٩) باقـر شريف القـرشى : حيـاة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجـزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١٥ (من تقـديم الطبعة الثانية) .

(٧٠) باقـر شريف القـرشى : حياة الامام موسى بن جعفـر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجـزء الثانى (المرجع الأسبق) ، ص ٢٠٩ .

(٧١) ارجع الى ص ١٢٨ — ١٣٣ من الكتاب .

تخدم التشيع ــ أدى ذلك الى ظهور فرق شيعية كثيرة ، «منها القريب من أهل السنة والجماعة ، ومنها البعيد عنها » (٧٢) ، وان كان « الشيعة فى جملتهم يرون أن عليا أحق المسلمين بخلافة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان الخليفة المختار من النبى صلى الله عليه وسلم » (٧٣) ، كما رأينا فى مطلع حديثنا عن الشيعة والتشيع من قبل (٧٤) ، وان كانوا يختلفون فيما بينهم ، من حيث الاعتراف « بعدد الأئمة ، الذين جاءوا بعد النبى ، فهناك الشيعة الاثنا عشرية ، وهى أكبر الفرق الشيعية وأهمها ، ثم هناك الشيعة السبعية ، وتعرف بالاسماعيلية ، والشيعة الخمسية ، وهى الزيدية » (٧٥) ــ اضافة الى اختلافهم فى أمور أخرى ، سنراها عند الحديث عنهم ، بادئين بالأقرب الى مذهب أهل السنة والجماعة ، ومنتهين بالأبعد :

١ ــ **الشيعة الاثنا عشرية** : وهم يرون أن « الامامة تكون فى ذرية فاطمة الزهراء من الحسين ، بعد مقتل الحسين رضى الله عنه ، والامامة عندهم محصورة فى اثنى عشر ، ويسمون الأوصياء ، لأن كل واحد منهم تولى الامامة بالوصاية عمن قبله ، وأن هؤلاء الأوصياء منصوص عليهم من النبى صلى الله عليه وسلم » (٧٦) ، حيث ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « الأئمة بعدى اثنا عشر ، أولهم على ، وآخرهم القائم ، هم خلفائى وأوصيائى » (٧٧) .

---

(٧٢) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٥ (من الكتاب الثانى) .

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ (من الكتاب الثانى) .

(٧٤) ارجع الى ص ١٠٤ ــ ١٠٦ من الكتاب .

(٧٥) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

(٧٦) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ (من الكتاب الثانى) .

(٧٧) الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوى : المراجعات (مرجع سابق) ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ (من المراجعة رقم ٦٢) .

و « تركز الشيعة الاثنا عشرية ، أكثر ما تركز ، على معنى الظاهر والباطن ، بالنسبة للمفاهيم الدينية . وهنا ، كما فى كثير من الشؤون الدينية ، تلتقى الاثنا عشرية ، مع الصوفية . فالظاهر لا وجود له بلا باطن » . « وهنا يكمن السر بالنسبة للحاجة الملحة الى الامام . فالنبى ، أى نبى ، فى أى دين ، يتلقى الشريعة من السماء ، لهداية الناس ، وارشادهم . فاذا مات انقطع الوحى ، لكن يبقى لدى الناس الشريعة ، التى هى بمثابة الوجه الظاهر للوحى ، ولذا كانت الحاجة الى أولئك الذين يستطيعون تفسير معنى الشريعة الباطنى ، والمضمون الباطنى للوحى » .

و « لقد ختمت دائرة النبوة بالنبى (ص) ، الذى هو خاتم النبيين ، واذن لن يكون هناك وحى بعده ، فى مدار البشرية القائمة . ولكن بعد اختتام دائرة النبوة ، بدأت دائرة الولاية ، ومعنى هذا ، بدء ظهور الثقاة ، الذين يعنون بالتفسير الباطنى للوحى ، المستمد من النبى (ص) ذاته ، بوصفه المصدر الأول للظاهر والباطن . ودائرة الولاية هذه ، ستبقى حتى يوم البعث ، أى عندما يتوقف التاريخ عن سيره ، وتنتهى الحياة على الأرض » (٧٨) .

و « كلمة (امام) تعنى من كان فى المقدمة ، ويؤم الناس فى الصلوات » ، سواء فى السنة وفى الشيعة ، كما « تعنى كلمة الامام أيضا ، زعيم الطائفة الدينى » ، « كالامام الغزالى ، والامام الشافعى وغيرهما » .

« لكن للفظة مضمونا آخر لدى الشيعة ، فانها ، على وجه التدقيق ، تعنى الشخص الذى يتولى فعلا شؤون الأمة ، ووريث النبى فى تعاليمه الباطنية ، كما أنه الانسان ، الذى يحمل (النور المحمدى) فى داخله ، ويتولى شؤون الولاية » .

---

(٧٨) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ١٤٨ ، ٤٤٩ .

« والامام الذى يقوم بمهمة الولاية ، هو القيم على التشريعة ، والكفيل باستمرارها ودوامها » .

« وبفضل هذا النور ، يتحلى الامام بالعصمة ، بالنسبة للشؤون الروحانية والدينية ، وطهارة سريرته ، كطهارة النبى ، الذى هو مصدر هذا النور ، وطهارة بنته فاطمة ، التى هى أم الأئمة من على . ومن هنا كانت تسمية الشيعة النبى وفاطمة والأئمة الاثنى عشر (الطاهرين الأربعة عشر) » .

« والأئمة ، هم الوسطاء بين الله والناس ، ومن يلجأ اليهم ، طالبا العون ، يكن قد سلك السبيل الذى أعده الله للناس ، لكى يرجعوا اليه ، ويزور الحجاج من الشيعة قبورهم وقبور أحفادهم ، التى هى أشبه بمراكز دينية » (٧٩) .

أما الأئمة الاثنا عشر ، فهم :

١ — الامام على بن أبى طالب .

٢ — الامام الحسن بن على .

٣ — الامام الحسين بن على .

٤ — الامام على زين العابدين بن الحسين ، وهو الابن الوحيد الذى بقى على قيد الحياة من عائلة الحسين .

٥ — الامام محمد الباقر ، وهو ابن الامام الرابع ، الذى أقام فى المدينة ، كما أقام فيها أبوه .

٦ — الامام جعفر الصادق ، ابن الامام محمد الباقر .

٧ — الامام موسى الكاظم ، ابن الامام جعفر الصادق .

٨ — الامام الرضا ، ابن موسى الكاظم .

---

(٧٩) المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

٩ — الامام محمد التقى ، أو محمد الجواد ، ابن الامام الرضا .

١٠ — الامام على النقى ، أو على الهادى ، ابن الامام التاسع .

١١ — الامام الحسن العسكرى ، ابن الامام النقى .

١٢ — الامام محمد المهدى ، ابن الحسن العسكرى ، الملقب بصاحب الزمان (٨٠) .

« والاثنا عشرية فرقة كبيرة العدد ، يكثرون فى ايران والعراق ، ولها أتباع فى الهند وباكستان وأفريقية » (٨١) ، وتعود شريعتها الى « الامامين الخامس والسادس ، وبصورة خاصة الى الامام السادس ، جعفر الصادق ، وهكذا فالشريعة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، تعرف بالجعفرية » (٨٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن الثورة الايرانية ، التى أطاحت بحكم الشاة فى ايران فى أواخر سنة ١٩٧٧ ، ثم حكمت ايران بعدها ، تنتمى الى هذه الفئة من الشيعة .

٢ — **الزيدية** : ومقرها « اليمن ، حيث أكثر السكان هناك يدينون بها » (٨٣) ، وقد « بنت الزيدية اطارها العقائدى على الثورة لازالة حكم البغى ، واقامة حكم العدل » (٨٤) ، و « هذه الفرقة من الشيعة ،

---

(٨٠) المرجع السابق ، ص ١٥٠ — ١٥٤ .
وارجع كذلك الى :
— الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد ، وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٧ (من الكتاب الثانى) .

(٨١) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٧ (من الكتاب الثانى) .

(٨٢) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ٩٩ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٨٤) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الثانى (مرجع سابق) ص ١٩٥ .

هى أقرب فرق الشيعة ، الى الجماعة الاسلامية ، وأكثرها اعتدالا »[٨٥] .

٣ — **الاسماعيلية** : ويسمون أحيانا بالحشاشين ، و « أحيانا بالديلمية ، وزعيمهم الحسن بن الصباح ، المشهور ، وسموا بالحشاشين ، لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش » ، حيث « شاع استعمال المكيفات لديهم ولدى الصوفية ، للتنبه للعبادة ، كما يقولون ، وكان الحشيش يخدم أغراض هؤلاء الاسماعيلية ، لأنه يخدر أعصابهم ، ويزيد أحلامهم اللذيذة ، ويكونون أطوع فى تنفيذ الأوامر التى تصدر لهم»[٨٦] .

وقد « ذهب هؤلاء الى أن الامام بعد الصادق (ع) هو ولده اسماعيل ، وأنكروا موت اسماعيل فى حياة أبيه ، وقالوا : لا يموت حتى يملك ، وقد حارب الإمام الصادق (ع) هذه الفكرة فى حياته »[٨٧] .

وأحيانا تسمى هذه الفرقة (بالفدائيين) ، لأنهم « رتبوا أنفسهم على الفداء ، وكانوا يعلمون الأطفال الاستهتار بالموت ، ومن أغراضهم ألا يبقوا على وجه الأرض أحدا من خصومهم » ، وقد خطط زعيمهم « لاغتيال الزعماء البارزين من السنيين ، حتى يخلو الجو للتشيع » ، « وقد أرهب الملوك والعظماء فى البلاد ، لكثرة ما كانوا يغتالون ، وكان أول من اغتالوه ، الرجل العظيم (نظام الملك) ، الوزير السلجوقى المشهور » ، كما كان من تعاليمهم « عدم التمسك بالشرائع ، والاباحية »[٨٨] ، كما أرادوا « مرة أن يقتلوا صلاح الدين الأيوبى ،

---

(٨٥) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٤٤ (من الكتاب الأول) .

(٨٦) الدكتور احمد امين بك ، المهدى والمهدوية — رقم (١٠٣) من سلسلة (اقرأ) — دارالمعارف بمصر—اغسطس ١٩٥١ ، ص ٥٢ .

(٨٧) باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ٢٠٢ .

(٨٨) الدكتور احمد امين بك : المهدى والمهدية (المرجع الأسبق) ، ص ٥٣ — ٥٥ .

لأنه كبير من كبراء السنة ، ولأنه قضى على الدولة الفاطمية فى مصر » ، « ولكن صلاح الدين نجا » « بأعجوبة » . و « ظلت هذه الفئة تروع البلاد ، بقتل العظماء ، وتصل الى ذلك بمؤامرات سرية دقيقة ، وتنظم شئونها بدقة واحكام ، حتى علا شأنها ، وكثر تخريبها . ولكن كان لهم موقف حميد ، وهو محاربتهم للصليبيين ، وايقاع الرعب فى نفوسهم ، وأخيرا أوقع بهم هولاكو المغولى ، فاستولى على قلعة الموت فى سنة ١٢٥٦ م ، ثم جاء بيبرس فقضى عليهم القضاء الأخير سنة ١٢٧٢ م ، ومنذ ذلك الحين ، تفرق شملهم فى سوريا وفارس وعمـان وزنجبار والهنـد » (٨٩) .

٤ — السبئية : وهم « أتباع (عبد الله بن سبأ) ، وكان يهوديا من أهل (الحيرة) ، أظهر الاسلام » ، وقـد « تدرج فى نشر أفكاره ومفاسده بين المسلمين » ، و « أخـذ ينشر بين الناس ، أنه وجـد فى (التوراة) أن لكل نبى وصيا ، وأن عليا وصى محمد ، وأنه خـير الأوصياء » .

« ولمـا قتل على رضى الله عنه ، استغل ابن سبأ محبة الناس له . كرم الله وجهه ، وألمهم لفقده ، فأخذ ينشر حول موته الأكاذيب ، التى تجود بهـا قريحته ، اضـلالا للناس ، وافسادا لهم ، فصـار يذكر للناس ان المقتول لم يكن عليا ، وانمـا كان شيطانا ، تصـور للناس فى صورته ، وأن عليا صعد الى السماء ، كما صعد اليها (ابن مريم) عليه السلام » ، و « من هؤلاء السبئية من كان يقول : ان الاله حـل فيه ، وفى الأئمة من بعده » (٩٠) .

٥ — الغرابيـة : وهى فرقة من الغلاة ، وهـذه الفرقة لم تؤله

---

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٩٠) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد ، وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٣٨ ، ٣٩ (من الكتـاب الأول) .

عليا ، كما فعل السبئية ، ولكنها كانت تفضله على النبى صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن الرسالة كانت لعلى رضى الله عنه ، ولكن جبريل أخطأ ، فنزل على محمد » [٩١] .

٦ — **البهائية** : ومنشئها هو ميرزا على محمد الشيرازى ، المولود فى ايران « حوالى ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٢٥ ميلادية » ، « وقد كان اثنا عشريا ، ولكنه تجاوز حدود ذلك المذهب ، وجمع بينه وبين آراء منحرفة فى المذهب الاسماعيلى ، وفكرة الحلول التى قال بها السبئيون ، فجاء من هـذا بمزيج واضح البعد عن العقيدة الاسلامية » [٩٢] .

ثم جاء خليفته (بهاء الله) ، فأضاف الى المذهب اضافات كثيرة ، ضمنها كتابه (الكتاب الأقدس) ، الذى يدل عنوانه على أنه يعتبره « أقدس من التوراة والانجيل ، اللذين أطلق عليهما الكتاب المقدس ، ومن القرآن الذى يقدسه المسلمون » [٩٣] ، وكان يرى أن « الشريعة الاسلامية انما كانت صالحة لزمانها ، ولكنها لا تصلح لزمانه ، ولذلك غير من شعائرها ، فلم يحتفظ بصلاة الجماعة ، الا فى صلاة الجنائز » [٩٤] ، مثـلا .

و « لما مات بهاء الله ، انتقلت زعامته سنة ١٨٩٢ الى ابنه عباس أفندى ، وتسمى بعبد البهاء » ، « وقـد زاد فى تعاليم أبيه ، ونزع الى التوفيق بينها وبين العقليات الغربية والأمريكية ، وكان يستشهد بالكتاب المقـدس على بعض أشياء تؤيد ديانتـه » [٩٥] ، و « كانوا يؤثرون التقية ، كسـائر الفرق الشـيعية ، ويخفون دينهم عن غـير

---

(٩١) المرجع السابق ، ص ٤٠ (من الكتاب الأول) .
(٩٢) المرجع السابق ، ص ٢١١ (من الكتاب الأول) .
(٩٣) الدكتور احمـد امين بك : المهـدى والمهدوية (مرجع سابق) ، ص ٦٨ .
(٩٤) المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٩٥) المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

أتباعهم » ، وقد « دخل كثير من الناس فيها ، ودخل فيها عدد كبير من النساء الأمريكيات »(٩٦) .

ولو استطردنا فى الحديث عن فرق الشيعة ما انتهينا ، ونكتفى بالاشارة الى أسماء من نعرفه من المتبقين منهم :

٧ — **الحاكمية والدروز** : ومقرهم الشام .

٨ — **النصيرية (العلويون)** : ومقرهم الشام ، ومنهم الفئة التى تحكم سوريا فى الوقت الحاضر ، وهم يدعون « الالهية فى على ابن أبى طالب » ، « وهؤلاء كفار المسلمين »(٩٧) عند شيخ الاسلام ، ابن تيمية .

٩ — **الكيسانية** .
١٠ — **الفطحية** .
١١ — **السمطية** .
١٢ — **الخطابية** .
١٣ — **الناووسية** .
١٤ — **الواقفية** .
١٥ — **القرامطة** .

١٦ — **العلبائية** : التى ادعت أن « الاله حل فى خمسة أشخاص ، هم أصحاب الكساء : محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين »(٩٨) .

---

(٩٦) المرجع السابق ، ص ٧٠ .
(٩٧) شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨) : الجواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح — قدم له واشرف على طبعه : على السيد صبح المدنى — الجزء الأول — مكتبة المدنى ومطبعتها — جدة ، ص ٣٥٩ .
(٩٨) عبد الكريم الخطيب : الله .. ذاتا وموضوعا ، قضية الألوهية ، بين الفلسفة والدين — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ ، ص ٣١٢ .

١٧ — الرافضـــة .

١٨ — القــاديانيــة .

وغيرها وغيرها ، فهى فرق كثيرة ، لا يكاد يحصيها عـد .

مذاهب السنة :

السنة — لغـة — « الطريقـة » ، و « السيرة ، حميدة كانت أو ذميمة » ، و « السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم : ما ينسب اليه من قول أو فعـل أو تقرير ، والسنة فى الشرع : الطريقـة المرضية فى الدين ، من غير افتراض ولا وجوب » . « وأهل السنة : هم القائلون بخلافة الشيخين عن استحقاق ، وهمـا أبو بكر وعمـر ، ويقـابلهم الشـيعة » (٩٩) .

ويطلق على أهل السـنة أيضا ، الجماعة ، و « هـم الجمهور الأعظم ، المستجيبون لدعوة بنى أمية ، والخلفاء المعقودة لهم البيعـة العـامة من أكثر المسلمين » (١٠٠) .

وهكذا يكون من السنة ، كل (جديد) دخل فى الاسلام ، لصالح المسلمين ، ففى الحديث الشريف : « من سن فى الاسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بهـا من بعـده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » (١٠١) .

---

(٩٩) المعجم الوسيط — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٤٥٨ .

(١٠٠) الشيخ احمد الاسكندرى والشيخ مصـطفى عنانى (مرجـع سابق) ، ص ١٠٦ (من الهامش) .

(١٠١) ابو الفضل شهاب الدين احمـد بن على بن حجر العسقلانى (الحافظ) : هدى السارى ، مقـدمة فتح البـارى — تحقيق ومراجعـة ابراهيم عطوة عوض — الطبعـة الأولى — الجزء الأول — شركة مكتبـة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر — ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م ، ص ٥ .

ويكاد الاسلام — بدون الاجتهاد — ألا يكون اسلاما ، بحكم أنه تميز على ما سبقه من الأديان ، بتحرير الانسان ، وتقل المبادرة اليه ، على نحو ما سبق ورأينا فى الفصل الأول (١٠٢) ، ومن ثم بدأ الاجتهاد فى الاسلام — عند المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة — مع عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث كان اجتهاد النبى نفسه « فى حدود ضيقة ، لأن الوحى (كان) ينزل من السماء » ، « وكان الاجتهاد يقع من الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ، وذلك اذا بعدوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فانهم كانوا يجتهدون » (١٠٣) ، بل انهم كانوا (يختلفون) مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الوحى يقرهم فيما ذهبوا اليه ، إن كان حقا ، كما « كان الشأن فى أسرى بدر » (١٠٤) — أو لا يشير اليها الوحى ، اذا كانت تتعلق بأمر من أمور الدنيا ، كما نجد فى قصة تأبير النخل (١٠٥) .

و (الاجتهاد) يشمل (كل شىء) فى حياة المسلم ، فردا وجماعة ، وليس (قرار) أبى بكر بمحاربة المرتدين ، الا لونا من ألوان هذا الاجتهاد ، رغم (مخالفة) الصحابة كلهم له فيما أراد .. حتى اتخذ قراره ، فكان له ما أراد ، كخليفة للمسلمين ، له عليهم حق السمع والطاعة ، عندما يقرر أمرا .

وليست (الدواوين) التى أنشأها عمر — الخليفة الثانى — الا لونا من ألوان هذا الاجتهاد ، عندما تعقدت (أمور الدولة) ، وصار وجود مثل هذه الدواوين .. ضرورة ملحة .

وعندما انتهى عصر الخلفاء الراشدين ، وتحولت الدولة الى (ملك عضوض) ، فى العصر الأموى ، أو تحولت « ملكا وتسلطا

---

(١٠٢) ارجع الى ص ٢٨ — ٣٢ من الكتاب .
(١٠٣) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية — الجزء الثانى (فى تاريخ المذاهب الفقهية) (مرجع سابق) ، ص ٨ .
(١٠٤) المرجع السابق ، ص ٨ .
(١٠٥) المرجع السابق ، ص ٩ ، ١٠ .

وسيادة » (١٠٦) ، على حد تعبير خالد محمد خالد ، لم يعد المجال مجال الحكام ليجتهدوا ، وانما صار المجال مجال علماء الأمة — أو أئمتها فيما بعد ، وصار منطقيا أن يكون صدامهم بالسلطة الحاكمة ، أول صدام ، والمثل الواضح هنا ، هو الامام أبو حنيفة رضى الله عنه ، فقد « كان رضى الله عنه ، لنزعته العلوية من غير تشيع ، لا يرى لبنى أمية أى حق فى امرة المؤمنين » (١٠٧) ، حتى « أخذت أعين الأمويين تترصده وتتبعه ، وخصوصا أنهم رأوا الأرض تميد من تحتهم ، بالدعاية العباسية » (١٠٨) ، ورفض أن يتولى (منصبا) للأمويين ، حتى « أخذ صاحب الشرطة بضربه ، بعد أن حبسه أياما متتالية ، حتى يئس الضارب ، وخشى أن يموت الفقيه ، فتكون السبة على الحكم الأموى الى الأبد » (١٠٩) .

•

« وقد استمر أبو حنيفة على ولائه لبنى العباس ، لأنها قامت للانتصاف من الظلم الذى وقع على بنى على ، ولقد كانوا يدنونه ويقربونه » ، « وكان المنصور يعرض عليه العطايا ، ولكنه يردها فى رفق وحيلة .

ولم يعرف أن أبا حنيفة تكلم فى الحكم العباسى ، حتى قامت الخصومة بينهم وبين أبناء على ، ونزل الأذى بآل على — ولهم محبته وولاؤه — فكان من المعقول أن يغضب لغضبهم » .

« ولم يكن بد من أن ينقم أبو حنيفة من العباسيين ، كما نقم من الأمويين ، ولكنه كشأنه فى نقمته ، لا يزيد على الكلام فى غضون الدرس ، وكذلك شأن العلماء ، لا يشغلون عن علمهم الا بالقدر اليسير ،

---

(١٠٦) خالد محمد خالد : ابناء الرسول فى كربلاء — الطبعة الأولى — دار ومطابع الشعب — يونية ١٩٦٨ ، ص ٣٣ .

(١٠٧) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية — الجزء الثانى (فى تاريخ المذاهب الفقهية) (مرجع سابق) ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

يرضون به أحاسيسهم بالمحبة فيما يحبون ويرضون » [١١٠] .

ثم « أخذ أبو جعفر يتتبع أبا حنيفة وفتاويه ، ويحصيها عليه احصاء » ، حتى « ضاق صدر المنصور حرجا ، وبرم بموقف أبى حنيفة من سلطانه ، فكان لابد أن ينزل به عقابا » [١١١] ، ثم لما رفض تولى القضاء ، « يحبسه المنصور ، ويعذبه ، فيأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط ، حتى أشرف على التلف ، فأخرجه المنصور ، ومنعه من الدرس والافتاء ، وقد مات بعد ذلك بقليل » [١١٢] .

وهذا الذى حدث للامام أبى حنيفة ، حدث شىء قريب منه للامام مالك ، الذى عرف ببعده « عن الفتن ، وامتناعه عن تأييدها » ، ومع ذلك « نزلت به محنة شديدة فى عهد أبى جعفر المنصور ، ثانى الخلفاء العباسيين » [١١٣] ، و« كانت المحنة ، أن ضرب بالسياط ، وأن مدت يده ، حتى انخلعت من كتفه » [١١٤] .

وكذلك حدث نفس الشىء تماما للامام الشافعى ، الذى « عرف بمحبته لآل على رضى الله عنه ، ولم تبلغ هذه المحبة مرتبة التشيع لهم ، والعمل على جعل الحكم فى سلطانهم ، ولذلك اتهم بأنه رافضى ، أى يرفض امامة الشيخين أبى بكر وعمر ، ولكنه من ذلك برىء » ، « وبسبب ذلك ، سيق الشافعى ، مكبلا بالحديد الى بغداد » ، « ولما مثل بين يدى الرشيد ، استطاع أن ينجو بفصاحة لسانه ، وبشهادة محمد بن الحسن الشيبانى له » [١١٥] .

وكذلك حدث ما هو أشد ايلاما للامام أحمد بن حنبل ، الذى « نزل به » « البلاء الأكبر » « فى نحو ثمانية وعشرين شهرا ، من

---

(١١٠) المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(١١١) المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
(١١٢) المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
(١١٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .
(١١٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(١١٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

ضرب مبرح ، وسجن مضيق » (١١٦) ، رغم أنه عاش فى عصر « قد غلب فيه العنصر الفارسى العنصر العربى ، وسادت الحضارة الفارسية أو غير العربية بشكل عام ــ المجتمع الاسلامى ، وماجت المدن الاسلامية بعناصر مختلفة ، من أمم متباينة الأرومة ، وترجمت العلوم الفلسفية من اللغة السريانية واليونانية وغيرهما ، وامتزجت مدنيات ، وتصادمت حضارات .

ومن طبيعة العصر ، الذى تكثر فيه المنازعات ، ويضطرم باحتكاك المدنيات المختلفة ، بعضها ببعض ، أن تظهر فيه آراء منحرفة ، وأخلاق منحرفة ، ويكثر الشذوذ الفكرى ، والشذوذ الاجتماعى . حتى يصبح الشاذ هو الكثير ، والغريب هو المألوف » .

وهكذا « كثر الشطار والمفسدون ، وكثر المخربون فى المجتمع الاسلامى ، من وراء ستار ، وكثرت الآراء الغريبة على العقل الاسلامى ، فنهج السلفيون منهاجين مختلفين ، فريق نهج منهاج المقاومة والمغالبة ، واختار أحمد أن يعيش فى وسط تلك المنازع ، غريبا عنها ، محلقا فى سماء السلف الصالح بروحه ، حتى لقد وصفه بعض معاصريه ، بأنه تابعى كبير ، تخلف به الزمن » (١١٧) .

واذا كان الامام أحمد لم يصطدم بالسلطة ، ولم ير موجبا للاصطدام بها ، فقد اصطدمت به السلطة ، فقد « كان يحق لذلك الورع التقى أن يعيش مطمئنا هادئا ، قارا فى بيته ومسجده ، لا يزعجه مزعج ، ولكن قدر لذلك الغدير الساكن المطمئن ، أن تلقى فيه الأحجار ، فتفسد عليه اطمئنانه ، وتزعجه فى اعتقاده وايمانه » ، و « أن يمتحن أبلغ المحنة ، وأن يكرث فى جسمه ، وأن يهز اعتقاده هزا عنيفا ،

---

(١١٦) المرجع السابق ، ص ٣١٢ .
(١١٧) محمد أبو زهرة : ابن حنبل (حياته وعصره ــ آراؤه وفقهه) ــ دار الفكر العربى ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

وأن يكوى جلده بالسياط ، وأن يساق مقيدا مغلولا ، يثقله الحديد ، لا لشيء ، الا لأنه لا يخوض فى أمر مما كان يخوض فيه المأمون ، والذين ارتضاهم صفوة له من العلماء » [١١٨] — وهو مسألة (خلق القرآن) المشهورة ، التى ذهب اليها المأمون ، متأثرا فيها بالمعتزلة ، المقربين اليه .

ولو تتبعنا حياة كل امام من أئمة (السنة) ، لوجدناها حياة جهاد وكفاح ، ومناهضة للظلم ، أينما كان هذا الظلم ، ولم يقتصر الجهاد على أئمة (الشيعة) [١١٩] ، الذين آثر كثير منهم (التقية) ، أى العمل فى (الظلام) ، بينما أثر علماء السنة العمل فى (النور) ، الذى أضفاه الاسلام على عين الانسان ، ليفيق من (ظلمة) الجهل والجهالة ، التى حرره الاسلام منها ، اذ كان رأى علماء السنة ، هو « أن الحاكم الظالم ، لا يصح الخروج عليه بفتنة ، ولكن بسعى فى تغييره ، والأمة كلها تكون آثمة ، ان لم تسع فى تغييره ، من غير فتنة ، ولا انتفاض .. لأنه فى ضجة الفتن ، لا يسمع قول الحق ، ويكون الشح المطاوع ، والهوى المتبع ، ويوضع السيف فى موضع البرء ، وموضع السقم ، ويكون الأجدر بالمؤمن ، أن يأتى الى سيفه ، فيدقه على حجر » .

« لذلك كان يتجه العلماء ، فى عصور الظلم ، الى ارشاد الشعب ، وتعليمه دينه الحق ، وتربية ضميره ، وكرامته ، وفى ذلك العزة ، أو السبيل اليها ، ويتجهون الى ارشاد الحكام ان سنحت الفرصة ، والى الوقوف السلبى ، اذا ضاع صوت الحق ، ولو أن المؤمنين جميعا وقفوا موقفا سلبيا من الظالمين ، لما استمر هؤلاء فى ظلمهم ، وما رتعوا فى غيهم ، ولكنهم فى أكثر الأحوال — بله فى كلها — يجدون من يؤيدهم فى عامة أمورهم ، ويسمى ظلمهم عدلا ، وفسادهم اصلاحا ، وازهاقهم

---

(١١٨) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(١١٩) ارجع الى ص ١١٧ ، ١١٨ من الكتاب .

للشعب اكراما له واعزازا » [١٢٠] •

وفرق اسلامية اخــرى :

شهد تاريخ الاسلام ، اضافة الى ما سبق ، فرقا كثيرة ، ذات طبيعة أخرى ، مغايرة لطبيعة الفرق السابق الاشارة اليها ، وخاصــة فرق الشيعة •

ذلك أن الاختلاف بين الفرق السابقة ، اختلاف وصل الى (جوهر) العقيدة ، أو اقترب من هــذا الجوهر ، سواء قصدت الفرقة الى هــذا الاختلاف ، أو لم تقصد ، تحت (شعارات) كثيرة ، ولأسباب أكثر ، بعضها سياسى ، وبعضها الآخر غير سياسى — بينما الاختلاف فى الفرق الحالية ، اختلاف (شكلى) ، لا يمس (جوهر) العقيدة الاسلامية ، وانما مرجع الاختلاف هــو (التركيز) على جانب من الجوانب دون الجوانب الأخرى ، لظروف معينة ، تدفع الى (الارتماء) فى هــذا الجانب ، واغفال غيره من الجوانب •

ومن أشهر هذه الفرق ، وأكثرها ورودا ، فرقة الخوارج ، وفريق المعتزلة ، وفريق المتصوفة ، على سبيل المثال •

ويرتبط تاريخ **الخوارج** كما هو معروف ، بصفين ، حيث « ذاق معاوية مر القتال ، وهم بالفرار ، حتى أسعفته فكرة التحكيم » [١٢١] ، التى رفضها على ، فحمله الخوارج عليهــا ، ثم لمــا تمت المؤامرة ، اعتبروها جريمة ، « وأخذوا يقاتلون عليا ، بعد أن كانوا يجادلونه ، ويقطعون عليه القــول » • وهي « أشد الفرق الاســلامية دفاعا عن

---

(١٢٠) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية — الجــزء الثانى (فى تاريخ المذاهب الفقهية) (مرجع سابق) ، ص ٢٠٤ .

(١٢١) الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ٦٠ (من الكتــاب الأول) .

مذهبها ، وحماسا لآرائها ، وأشد الفرق تدينا فى جملتها ، وأشــدها تهورا واندفاعا ، وهم فى دفاعهم وتهورهم ، مستمسكون بألفاظ ، أخذوا بظواهرها ، وظنوا هذه الظواهر ، دينا مقدسا » [١٢٢] .

ومعروف كذلك أن الخوارج قــد انقسمت الى فرق ، منها الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والأباضية واليزيدية والميمونة [١٢٣] ، وغــيرها .

ومن ثم فالخوارج يمثلون فكرة (الحماس) للاسلام ، بغير أساس من العلم بالاسلام ، يقيمون عليه حماسهم ، وهم — برغم كل عيوبهم — قادرون على (جــذب الانتباه) الى الاســلام ، بحماسهم الزائد له ، وتضحيتهم فى سبيله ، تضحية تستحق فى حــد ذاتهــا الاعجاب — وما أشبههم بشباب الجماعات الاسلامية ، التى يفيض بهــا العــالم الاسلامى اليوم ، بعد لحظة (اليأس) التى وصل اليها أى مصلح ، فى أن يصلح له شأن .

أما **المعتزلة** ، فهم يعودون فى منشئهم الى العصر الأموى ، وان ذاع صيتهم فى العصر العباسى الأول ، وبعض العلماء يعيد أصل الفرقة الى « قوم من أصحاب على رضى الله عنه ، اعتزلوا السياسة ، وانصرفوا الى العقائد » [١٢٤] ، وبعضهم يعيدها الى (إعتزال) الفــرقة التى « اعتقدت ما يقــرب من مذهب السلف ، وسموا الجماعة ، وأصحاب الحديث » ، لمخالفتهم اياها « فى بعض المسائل » [١٢٥] .

والأغلبية على أن « رأس المعتزلة ، هو واصل بن عطاء ، وقــد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصرى العــلمى ، فثــارت تلك

---

(١٢٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ (من الكتاب الأول) .
(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٩ (من الكتاب الأول) .
(١٢٤) المرجع السابق ، ص ١٢٤ (من الكتاب الأول) .
(١٢٥) الشيخ أحمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى (مرجع سابق) ، ص ٢٣٩ .

المشكلة » ، مشكلة « مرتكب الكبيرة » [١٣٦] ، وقالت الخوارج بكفره ، وقالت الجماعة بايمانه ، رغم فسقه ، فغضب منـه الحسن ، فاعتزل جماعته ، ومن هنا جاءت تسميته ، وتسمية من اعتزلوا مجلس الحسن معـه .

وقـد « جرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهـر أبو الحسن الأشعرى ، فألف من مذهب المعتزلة ومذهب غيرهم ، مذهبه الكلامى ، الذى سمى بمذهب الأشاعرة » [١٢٧] .

وقـد كان هذا المذهب ضروريا فى مواجهة (هجمة) الثقافات غير الاسلامية ، على المجتمع العربى الاسـلامى ، فى العصر العباسى ، معتمدة على العقل ، وعلى الفلسفة اليونانية ، فكان أنسب من غيره ، للرد على هـذه (الهجمة) الشرسة على الاسلام ، حيث أن « المعتزلة بدءوا حجاجهم الدينى مع النصارى ، فى وقت مبكر ، وكان قـد حل مكان المسيحية الأولى ـ الساذجة ـ مسيحية أخرى ، مركبة على أساس المنطق اليونانى ، أو بمعنى آخر ، كان النصارى يتسلحون فى جدلهم الدينى » ، « بالمنطق الأرسططاليسى ، حتى آخر الأشكال الوجودية ، ولم يكن مما يقنع هؤلاء النصارى فى جـدلهم ، البراهين الشعرية ، أو الاحتجاجات الخطابية ، وهم يتكلمون فى اتحاد اللاهوت والناسوت فى المسيح ، وتوحد الأقانيم وتعددها . فكان من المعقول اذن ، ألا يبدأ المسلمون هذا النقاش ، وهم خلو من معرفة منطق أرسطو » [١٢٨] .

---

(١٢٦) الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (مرجع سابق) ، ص ١٢٤ (من الكتـاب الأول) .

(١٢٧) محمد عبد الغنى حسن : ابن الرومى ـ رقم (١١) من (نوابغ الفكر العربى) ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ، ص ٣١ .

(١٢٨) الدكتـور على سامى النشـار : مناهج البحث عند مفكرى الاسـلام ، واكتشـاف المنهج العلمى فى العالم الاسـلامى ـ من (المكتبة الفلسفية) ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٧ ، ص ٨٠ .

ولم يكن المجال هو مجال النصارى وحدهم ، فقد كان هناك — الى جانبهم — الوثنيون والزرادشتيون واليهود ، وغيرهم ، ممن لم يحملوا للاسلام ، سوى الحقد ، وانتظار الفرصة ، وكان ضروريا لذلك (تقوية) عقيدة المسلمين أنفسهم بتزويدهم (بثقافة) العصر ، وكانت الفلسفة ، والاتجاه العقلى ، هى محور هذه الثقافة ، فى العصر العباسى ، ومن ثم « أراد المتكلمون أن يبرهنوا على القواعد الأساسية ، ويشرحوا آيات القرآن ، ويدفعوا ما فيها من تعارض ظاهر ، أو يؤولوه ، لينطبق على العقل ، فيوافق العلم الذى حمله اليهم الأجانب ، والذين آمنوا به ، حيث وجدوه صحيحا » (١٢٩) .

وما أشبه المعتزلة ، بكثير من العلماء المسلمين اليوم ، المتخصصين فى علم من علوم الدين ، أو فى علم من العلوم الطبيعية أو الانسانية أو الاجتماعية ، الذين وهبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام ، كل فى مجال تخصصه ، وجل جهده — فى عصر العلم الذى نعيشه اليوم — أن يثبت أن (الاسلام) صالح للحياة فى القرن العشرين ، وأن ما توصل اليه العلم الذى تخصص فيه ، انما هو نابع منه ، أو على الأقل لا يتعارض مع أصل من أصوله ، ليردوا الهجمة الشرسة ، التى يشنها العالم اليوم — بشرقه وغربه — على الاسلام ، على أساس أنه سبب تخلف المسلمين ، فى عالم اليوم .

وأما **المتصوفة** ، فقد كانوا رد فعل اسلاميا ، لمحاولة اللجوء المعتزلى الى العقل ، لشرح حقيقة الاسلام ، وتثبيت دعائمه ، حيث ثبت لديهم « قصور البرهان الفلسفى عن أن يصل بالانسان — حين يطبقه فى الالهيات — الى درجة اليقين » (١٣٠) .

---

(١٢٩) الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى الأنصارى : أهداف الفلسفة الاسلامية ، نشأتها وتطورها — دار الفكر العربى — ١٩٤٨ ، ص ٦٢ .

(١٣٠) الدكتور على سامى النشار (المرجع الأسبق) ، ص ١٧٨ .

ومن هنا كان تأثير المتصوفة فى التاريخ الاسلامى الوسيط ، وكان تأثيرهم فى التاريخ الاسلامى الحـديث ، حيث الغلبة للنزعة العقلية ، والمثل الواضح عليهم فى هـذا المجال ، هو أبو حامد الغزالى ، الذى وجـد طوائف تنتصر للعقل ، وللثقافة الأجنبية الوافدة ، الذى تمثله ، و (تعلن الحـرب) على الاسـلام ، ولو من باب خفى ، فخشى « خطر هـذه التيارات على الحياة الدينية والاجتماعية ، فوقف الغزالى يحمى الموروث ، ويدفع الغريب ، وينتصر للدين » (١٣١) .

وقـد اضطر الغزالى الى أن يقف ــ دفاعا عن الاسلام ــ موقفا يقف به ، فى وجـه الفلاسفة ، وشطحاتهم العقلية ، وفى وجـه علماء الدين ، و (جمودهم) على القديم ، « فاذا كان الفلاسـفة يجعلون العقل مصدرا للمعرفة ، أو اذا كان رجال الدين يعتمدون على العقـل والنقل فى الوصول الى هـذه المعـرفة ، فان المتصوفة قـد اعتمدوا طريقا آخر ، هو طريق القلب ، بعـد أن يصفى من شوائبه ، وطريق النفس بعد أن تتجرد عن لذاتها ، وما يتعلق بها من أمور الدنيا ، فكان سلوك المتصوفة منذ أول الأمر ، يعتمد على ترك الدنيـا ، والتخلص منها ، حتى يصفو القلب » (١٣٢) .

ولم (يهرب) الغزالى الى (القلب) ، هروبا من العقل أو من النقل ، ولكنه (لجـأ) الى القلب ، عن معرفة واقتدار ، فقـد كان « متعدد الجوانب ، فهو فقيه ، وهو متكلم ، وهو فيلسوف ، وهـو صـوفى ، وهـذه هى الجوانب الأربعة ، التى اشتهر بهـا حجـة الاسلام » (١٣٣) ، أو التى كان (بهـا) (حجة الاسلام) حقا ، فقد

---

(١٣١) دكتور بهى الدين زيان : الغزالى ، ولمحات عن الحياة الفكرية، الاسلامية ــ الكتاب العاشر من سلسلة (قادة الفكر ، فى الشرق والغرب)ــ مكتبـة نهضة مصر بالفجالة ــ اغسطس ١٩٥٨ ، ص ٨٧ .

(١٣٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٨ .

(١٣٣) عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسـية عند المسـلمين ، والغزالى بوجه خاص ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة وهبة ــ ١٩٦٣ ؛ ص ٥٤ (من التقديم ــ للدكتور أحمـد فؤاد الأهوانى) .

« أثرت تعاليمـه وكتبه فى الشرق ، ولفتت كثيرا الى الدين وأهـله ، وأشاعت الثقة بالعقائد الموروثة ، تلك الثقة التى كادت أن تتزعزع أمام الفلاسفة ومن شايعهم ، ولهذا عـد الغـزالى فى نظر رجال الدين ، حامى الاسلام ، أو حجة الاسلام » [١٣٤] .

ولن نستطرد فى الحديث عن هـذه (الفرق الاسلامية) ، التى يغلب عليها الطـابع (السنى) ، وانما يكفينا أن نرى بوضـوح ، أن كلا منهـا ظهرت فى (زمانهـا) و (مكانهـا) ، استجابة (لحاجة اسلامية) ملحة ، ومن ثم كانت فى ظهورها ، معبرة عن (روح) الاسلام ، وفى دورها مؤدية لرسالته ، وكانت كل منها ــ فى الوقت ذاته ــ (جزءا) من الاسلام ، ولم تكن .. كل الاسلام ، الذى يجب أن نعود اليه .. جميعا ، كمسلمين .

---

(١٣٤) دكتور بهى الدين زيان (المرجع الاسبق) ، ص ٨٩ .

الفصل الرابع

المسلمون وتحديات العصر

تقـــديم :

فى نهايات القرن العشرين ، حيث التقدم العــلمى الهائل ، الذى أوصـــل الانسان الى أغوار الأرض ، وأعمـــاق السماء ، كما أوصله الى القمر ، وغيره من (الكواكب) المحيطة بالأرض ، لا يكون منطقيا ولا اسلاميا ، أن تحـــدث الناس ــ مسلمين وغير مسلمين ــ بلغـــة الخوارج أو المعتزلة أو الصوفية أو غيرهم ، ممن سبق أن تحدثنا عنهم فى نهايات الفصل السابق ، حيث ظهر كل منهم ، مناسبا لعصره هـــو ، لا لعصرنا نحن ، وانما يكون المنطقى والاســـلامى ، أن نحدث الناس ــ مسلمين وغير مسلمين ــ بلغة التقدم العلمى ، والتنمية ، وغيرها ، مما يغلب على لغـــة القرن العشرين ، بعد أن صارت « قوة العلم هذه ، التى لم يسبق لها مثيل ، قـــد خلقت طبيعـــة كهنوتية ، وهـــم رجال العلم ، الذين يستطيعون وحدهم ، ممارسة أقصى قوة تحملها المعرفة العلمية ، وباتت البشرية تعتمد على هـــذه الطبقة ، اعتمادا أكبر بكثير من اعتماد المجتمعات القديمة على الكهنة ، الذين كانوا يحيطون علمـــا بالخفايا والأسرار ، وتأثرت البشرية تأثرا عميقا بطابع العلماء والفنيين ، وبتوزيعهم فى المجتمع ، وبالنطاق الذى عملوا فيـــه ، وبالبواعث التى حددت المجالات التى يمكن أن يستخدموا فيها معرفتهم •

وكما هى الحال بين شعوب الأرض ومجتمعاتها ، نجد أن أولئك الذين ملكوا ناصية العلم المتطور ، كانت لهم الغلبة على أولئك الذين لم يسيطروا على المعرفة والعمليات العلمية » ، « وأصبح الصراع بين شعوب العالم على المركز أو الغلبة ، صراعا لا هوادة فيه ، على تملك ناصية هـــذه القوة ــ قوة العلم ــ وباتت فكرة الحرية والاستقلال ،

والسيادة والمكانة ، تحمل كلهـا فى أساسها وجوهرها ، معنى التفوق والبراعة ، فى المعرفة العلمية » (١) .

ويبدو لقصار النظر ، من خريجي (التعليم الحديث) فى العـالم الاسلامى ، ممن درسوا مناهج الغرب ، وتأثروا بثقافته ، وبأساليب الحياة فيه ، و (بمنهج) الحضارة الغربية ، فى التفكير والتدبير ، وهم ذوو الضجيج المرتفع والصوت الأعلى ، فى عالمنا الاسلامى المعاصر — يبدو لهم أن قضية المسلمين المعاصرين ، أفرادا وجماعات ، هى قضية تخلف ، مرجعها الأساسى الى الدين الاسلامى ، الذى يتشبثون به ، بينما قضية تخلف المسلمين المعاصرين مردها الحقيقى ، الى دينهم الذى تخلوا عنه — بعد أن رأينا فيما سبق من الكتاب ، ان الاسلام قد (حرر) الانسـان ، لأول مرة فى تاريخ الفكر الدينى (٢) ، وأنه قـد وضـع (المبادرة) فى يده (٣) ، بعد أن أوضح له أن هـذا الكون يسير وفق قوانين ونواميس ، هى من صنع الله سبحانه (٤) ، ومن ثم فقـد كان لابد للانسان المسلم المعاصر أن يتخلف ، بعد أن ابتعد عن الاسلام — الوحى ، فصار فى حالة (ردة) عن الاسلام (٥) — هـذا اضافة الى جهلهم بالعلاقة العضوية ، القائمة فعلا ، بين الدين والحضارة — أى دين ، وأية حضارة .

---

(١) تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطـور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٣ (التعبير) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخـران — الهيئة المصرية العـامة للكتاب — ١٩٧٢ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) ارجع الى ص ٣٦ ، ٣٧ من الكتاب .

(٣) ارجع الى ص ٢٩ — ٣١ من الكتاب .

(٤) ارجع الى ص ٦٥ — ٧٥ من الكتاب .

(٥) ارجع الى ص ٨٣ — ٨٦ من الكتاب .

الدين والحضارة :

خصصنا الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، للحديث عن (الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) ، وخصصنا الفصول الأولى من الكتاب ، للحديث عن (مولد) الحضارة و (أفولها) ، والقانون الذى يحكمها فى هذا المولد والأفول ، ورأينا — فى الفصل الأخير — الخامس — من الكتاب ، أن (ميزة) الاسلام ، كعقيدة ، وكنظام ، أنه (أوجد) الجو الذى تولد فيه الحضارة ، ومن ثم كانت حضارته ، المتميزة ، التى لا يمكن أن تنسب الا اليه •

وفى الفصل الأول بالذات ، وقفنا طويلا عند العلاقة العضوية القائمة بين (الدين) و (الحضارة) ، ورأينا أن « هناك (صفات خاصة) ، لابد أن تتوفر فى الأمة ، لتقوم فيها حضارة » [٦] ، وأن هذه الصفات كلها تدور حول (الانسان) ، (منتج) الحضارة الأول ، و (العمود الفقرى) ، الذى تقوم عليه (الأمة) ، وأن الجو الأمثل ، الذى توجد فيه الحضارة — عند أسوالد اشبنجلر — هو الوصول الى الحالة ، « التى يسمو عندها الانسان بنفسه ، فوق قوى الطبيعة ، ويصبح هو نفسه خالقا » [٧] — أى احساسه بأن (المبادرة) قد وضعت فى يده ، على حد تعبيرنا كثيرا ، ونحن نتحدث عن (الجديد) ، الذى أتى به الاسلام الى الانسان ، مع فارق أساسى بين المراد الغربى لوضع المبادرة فى يد الانسان ، والمراد الاسلامى لها ، اذ أنها عند الغربيين تعنى (حلول) الانسان محل الله سبحانه ، فى العمل ، ثم الغاء دوره سبحانه فى الحياة كلها بعد ذلك ، بينما هى تعنى فى الاسلام أن (الارادة الالهية) انما تتحقق من خلال الانسان ذاته — على نحو ما رأينا فى الفصل الأول من الكتاب [٨] •

---

(٦) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(٧) أسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية (مرجع سابق) ، ص ٢٢٧ .

(٨) ارجع الى ص ٢٩ ، ٣٠ من الكتاب .

واذا كان الدين ـ أى دين ـ يقوم فى أساسه ، على عـدد من التصـورات الميتافيزيقية ، يقيم عليها بناءه الفيزيقى ، أو المـادى ، أو الحياتى ، فان هـذا (المجهول) الذى يقيم عليه الدين كيانه كله ، يعتبر ـ على حـد تعبير أشبنجلر ـ « أخص الأحاسيس الأوليـة ، ابداعا وخلقا ، والانسان ليدين لهـذا الحس ، بأعمق الأشكال ، وأنضج الصور وأكملها » ، وهو « أشبه بنغم سرى ، لا تستطيع كل أذن أن تدركه ، لكنه ينساب مع هـذا ، من خلال شكل لغة كل عمل فنى أصيل ، ومن كل فلسفة باطنية ، ومن خلال كل عمل هام خطير »(٩) .

وحتى الموت ذاته ، الذى يعتبر عند المـاديين ، نهاية (مأساوية) (لدراما) الحياة ، يعتبر ـ عنده ـ دافعا للحضارة أيضا ، بل لعـله أقوى دوافعها ، فان « الحيوان يعرف الحياة فقط ، ولا يعرف الموت » ، « ومن معرفتنا بالموت ، تتولد تلك النظرة الى العالم ، التى نمتلكها ، بوصفنا أناسا ، ولسنا بحيوانات »(١٠) ، ومن ثم كان الدين هو الذى يعطى للحياة الانسانية معنى ، وكان هو ـ بالتالى ـ الذى (يشكل) الحضارة الانسانية ، ويلونها بلونه الخاص ، وكان الدين ـ فى الوقت ذاته ـ على نحـو ما سبق فى الفصـل الثانى ـ حاجـة (نوعية) انسانية (١١) ، بمعنى أن الانسان (سعى) اليه ، قبل أن تتنزل ديانات السماء ، وأنه فى سعيه اليه ، كان يستجيب لشىء عميق كامن فى نفسه ، فان « الكاهن لم يخلق الدين خلقا ، لكنه استخدمه لأغراضـه فقط ، كما يستخدم السياسى ما للانسان من دوافع فطرية وعادات ، فلم تنشأ العقيدة الدينية عن تلفيقات أو ألاعيب كهنوتية ، انما نشأت عن فطرة الانسان ، بما فيها من تساؤل لا ينقطع ، وخوف وقلق وأمل ، وشعور

---

(٩) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربيـة ـ الجزء الاول ـ ترجمـة احمد الشيبانى ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ، ص ١٦٩ .

(١٠) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية ـ الجزء الثانى ـ ترجمـة احمـد الشـيبانى ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(١١) ارجع الى ص ٦١ ، ٦٢ من الكتاب .

بالعـــزلة » (١٢) .

ولم يكن عجيبا لذلك ، أن تنشأ الحضارة القديمة ، فى كنف المعابد ، فان « العلم ــ كالأدب ــ بدأ بالكهنة ، واستمد أصوله من المشاهدات الفلكية ، التى كانت تحدد مواقيت المحافل الدينية ، ثم صين فى كنف المعابد ، ونقل عبر الأجيال ، باعتباره جزءا من التراث الدينى » (١٣) .

واذا كان الدين حاجة نوعية انسانية ، يهتدى اليه الانسان بذاته ، فان هــذه (الفطرة) لابد أن يؤثر فيها (وجود) الانسان فى (بيئة) بعينها ، كما لابد أن يساهم فى تشكيل (التصورات) الدينية للانسان ، (الواقع) المـــادى الذى يحياه ــ فردا وجماعة .

وفى هــذا القرن العشرين ، حيث الثورة العلمية والتكنولوجية ، التى تركت (بصمتها) على كل شىء فى حيـــاة الانسان ، فى مختلف أنحاء العالم على السواء ، صار (للعلم) عموما ، وللعلم الطبيعى على وجه الخصوص ، منزلته وتأثيره ، بعــد أن صار التقــدم والتخلف ، وارتفاع المستوى الاقتصادى وانخفاضه ، رهنا بالأخذ بناصية هــذا (العلم) ، واتقان فنونه ، وحسن الاستفادة به فى تغيير شكل الحياة على الأرض ، واستخراج مكنوناتها ، ومن ثم « احتل علمـــاء اليوم ، ما كان يحتله الكهنة فى العالم القديم » ، وأصبح « العـــالم ــ بسبب التقدم العلمى والتكنولوجى ــ » ، « (سوق نخاسة) كبرى ، رقيقها هم بنو آدم ، وتجارها هم رجال المـــال والعلم معا » (١٤) .

ورجال العلم ورجال المـــال ، الذين (يتحكمون) اليوم فى مصير العالم ، بشر ، ولكنهم صاروا ــ بالفعل ــ قادرين على (تشكيل) الحياة

---

(١٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١١٧ .
(١٣) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
(١٤) عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الاسلامية ، فى الحديث الشريف (مرجـــع سابق) ، ص ٢٨ ، ٢٩ (من التقـــــديم ، للدكتـــور عبد الغنى عبود) .

الانسانيــة ، بل والتحكم فيها أيضا ، ومن ثم تحــولوا ــ فى الفكر المــادى ــ الى (آلهــة) ، قادرة على شىء ، وقادرة على (فرض) أى شىء ، وهم « لم يعودوا يحجمون ، أو يتحرجون ، من التصريح بهذه الحقيقة ، وهى أنهم انما يقررون (عقائد) ، ويريدون أخذ الناس بها فى واقع الحياة ، وأنهم يريدون احلال هــذه العقائد الاجتماعية أو الوطنية أو القومية ، محل العقيدة الدينية » (١٥) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، أن هــذا (الوضع) غير المــألوف ، المتناقض ــ بطبيعته ــ مع (الفطرة) التى فطر الله الناس عليهــا ، قــد أدى الى شقاء الانسان الغربى وتعاسته ، فان « الفطرة البشرية فى أصلها متناسقة مع ناموس الكون .. فحين يخرج الانسان بنظــام حياته عن ذلك الناموس ، فانه لا يصطدم مع الكون الهائل فحسب ، بل يصطدم أيضــا بفطرته ، التى بين جنبيه ، فيشقى ويتمزق ويحتار ويقلق ، ويحيا كما تحيا البشرية اليوم ، فى عذاب نكد ، على الرغم من جميع الانتصارات العلمية ، وجميع التيسيرات الحضارية المــادية » .

« وما من أحــد يزور البلاد الغنية الثرية ، المترفة بالتيسيرات الحضارية ــ وفى مقدمتها أمريكا والسويد ــ حتى يكون الانطباع الأول فى حســه ، أن هؤلاء قوم هاربون ! هاربون من أشباح تطــاردهم ، هاربون من ذوات أنفسهم ، وسرعان ما ينكشف له الرخاء المــادى ، والمتاع الحسى ، والاشباع الجنسى ، الى حــد التمرغ فى الوحل .. سرعان ما ينكشف له هــذا كله ، عن الأمراض العصــبية والنفسية ، والشذوذ الجنسى ، والقلق العصبى ، والمرض والجنون ، والجريمــة الشاذة ، وفراغ الحياة من كل تصور انسانى كريم » .

« انهم فى أمريكا مثلا ، يعبدون آلهــة جديدة ، يتصورونها غاية الوجود الانسانى : اله المــال ، واله اللذة ، واله الشهرة ، واله الانتاج !

---

(١٥) سيد قطب : المستقبل لهــذا الدين ــ دار الشروق ــ ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ، ص ١٤ ، ١٥ .

ومن ثم لا يجدون أنفسهم ، لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الانسانى ! وكذلك الحال فى الجاهليات الأخرى ، التى تعبد آلة مشابهة ، لأنها لا تجد الهها الحقيقى » [١٦] .

وبالرغم من هذه (الآلهة) الجدد ، وما أدت اليه من شقاء للعالم ، حتى صار « العالم يعيش اليوم كله فى (جاهلية) من ناحية الأصل ، الذى تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها » [١٧] ، فقد حققت (تقدما) لا يمكن انكاره ، حتى صار (نمط) الحياة فى ظلها ، نموذجا يحتذى فى البلاد الأخرى — ومن بينها البلاد الاسلامية ، « التى تزعم لنفسها أنها (مسلمة) » ، وذلك « لا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا ، ولكنها تدخل فى هذا الاطار ، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده ، فى نظام حياتها » [١٨] ، بما تسير عليه من قوانين وضعية ، وأنماط حياتية ، كلها تقريبا مستقاة من الغرب المتقدم ، الذى يعيش فى ظل هذه الآلهة الجدد ، فان « السواد الأعظم من المسلمين ، لا يزال الى هذا اليوم ، يعتقد بصدق دعوة الاسلام ، ويريد أن يبقى مسلما ، ولكن كثيرا من العقول الناشئة ، لا تزال تتأثر بالفكر الغربى والحضارة الغربية ، وتنحرف عن جادة الاسلام » [١٩] .

ويرى كولن ولسن ، نتيجة لذلك ، أننا صرنا نعيش اليوم فى عصر فقدت الحياة معناها فيه ، وأن « من المتوقع ، أن تصف الأجيال الآتية ، النصف الأول من هذا القرن ، بأنه (عصر اللامعنى) ، ففقدان المعنى والهدف ، يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا ، هذا الشعور العام بأن التأكيدات التى يمنحها الدين ، قد ضاعت ، ولا يمكننا استبدالها » .

---

(١٦) سيد قطب : هذا الدين — دار الشروق ، ص ٢٤ — ٢٦ .
(١٧) سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ٨ .
(١٨) المرجع السابق ، ص ٩١ .
(١٩) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية (مرجع سابق) ، ص ٢٣ .

و « هـــذه المحصلة ، المســماة (باللامعنى) ، قــد ألقت الى الوجود ، الفلسفة المعروفة بالوجودية ، والتى لم تستطع أن تعوض عن الفقدان ، بل أكدت تشخيص المرض » (٢٠) .

على أن الذى يعنينا هنا ، هو أنه لولا الدين الغربى ، برغم نزعته المــادية القاسية ، ما كانت حضارة الغرب المتقدمة اليوم ، بنزعتهــا المــادية القاسية عليهــا ، فالحضارة فى النهاية تعكس (روح) هــذا الدين ، وتنطبع عليها خطوطه العريضة ــ تماما كمــا كانت الحضارة الوسيطة ، السابقة لهذه الحضارة ، والتى مهدت لهــا فى الوقت ذاته ، تعكس (روح) الاسلام ، وتنطبع عليها خطوطه العريضة ، وكما كانت الحضارة القديمة ، فى مصر والصين واليابان والهند والعراق والشام ، تعكس كل منها (روح الدين) الذى اعتنقته شعوبها ، وتنطبع عليهــا خطوطه العريضــة ، ففيها « اختلط العــلم بالدين ، واصطبغ بلون من الغموض والسحر والتصوف » (٢١) ، ولم تعد حتى الفلسفة ، أن تكون « ألوانا من الحكمة ، وضروبا من المبادىء والقواعد ، مما كان يتصل من قريب أو من بعيد ، بالدين والعقائد » ، « ولم تكن فلسفة بالمعنى الفلسفى الدقيق » (٢٢) .

ويبقى الفيصل هنــا ، هــو ما اذا كان الدين حقا ، أم باطلا ، وما اذا كان نازلا من السماء ، أم مبتدعا على الأرض ، وما اذا كان باقيا على أصــله ، أم امتدت اليه الأيدى بالتحريف ، وما اذا كان

---

(٢٠) كولن ويلسون : ما بعد اللامنتمي « فلسفة المستقبل » ــ نقلهــا الى العربيــة : يوسف شرورو و عمــر يمق ــ الطبعة الأولى ــ منشورات دار الآداب ــ بيروت ــ نيسان (ابريل) ١٩٦٥ ، ص ١٥ .

(٢١) الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ــ الطبعة الثانية ــ لجنة البيــان العربى ــ ١٩٦٦ ، ص ٦٢ .

(٢٢) رينيه ديكارت : مقال من المنهج ــ ترجمــة محمــود محمــد الخضيرى ــ الطبعة الثانية ــ راجعها وقــدم لهــا : الدكتــور محمــد مصــطفى حلمى ــ من (روائع الفكر الانسانى) ــ دار الكاتب العــربى للطبــاعة والنشر ــ ١٩٦٨ ، ص ٣ ، ٤ (من التقــديم ، للدكتور محمــد مصطفى حلمى) .

ـ أخيرا ـ دينا حيا فى ضمائر الناس ، يوجه حياتهم ، أم أنه يقتصر دوره على مجرد شعائر تؤدى فى لحظات ، ثم يوليه الجميع ظهورهم ، بقية ساعات النهار والليل •

فعلى (النحو) الذى يكون عليه الدين ، تكون الحضـارة التى ينتجهـا •

وتظل العلاقة العضوية قائمة وواضحة ، فى كل هـذه الحالات ، بين الدين •• والحضارة •

حضارة الاسلام :

فى الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، رأينا أن الاسـلام كانت له حضارته (المتميزة) ، والمتشبعة بصفاته ، ومن ثم كانت هـذه الحضارة « حضارة ربانية » (٢٣) ، مثلما كانت « حضارة انسانية » (٢٤) ، و « حضارة دنيوية » (٢٥) ، و « حضارة شاملة » (٢٦) •

وقـد كانت هـذه الحضارة الاسلامية ، التى جعلت « الاسلام » « يتزعم العالم كله فى القوة والنظام وبسطة الملك ، وفى ارتفاع الحياة والأدب والبحث العلمى والعلوم والطب والفلسفة » ، « خمسة قرون ، من عام ٧٠٠ الى عام ١٢٠٠ » ، والتى جعلت « أثر الاسلام على العالم المسيحى » ، ليس « مجـرد أثر سياسى ، بل كان أثرا بالغـا مختلف الأنواع ، فقد تلقت من بلاد الاسـلام ، الطعام والشراب والعقاقير والأدوية والأسلحة وشـارات الدروع ونقوشها ، والروائع الفنيـة ، والتحف والمصنوعات والسـلع التجاريـة ، وكثيرا من الصـناعات والتشريعات ، والأساليب البحـرية » (٢٧) ـ كانت هـذه الحضارة

---

(٢٣) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضـارة المعـاصرة (مرجع سابق) ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢٥) المرجع السابق ، ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢٧) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصـور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة ـ دراسات فى التربية ـ دار المعـارف بمصر ـ ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

الاسلامية مزدهرة ، عنـدما كان الاسـلام ذاته (مزدهرا) ، بتشبث المسلمين به ، يتخذونه مصدر خلق ، ومصدر تشريع ، وأسلوب حياة ، ولم يضيع هـذه الحضارة ، الا أخذ المسلمين (ببعض) الاسـلام ، وترك بعضه الآخر ، ثم أخذهم — فى النهاية — بأسلوب الحياة الغربى ، عنـدما صارت الحضارة الغربية ، هى نمط الحيـاة السائد فى البلاد المتقدمة ، وهى الحضارة المسيطرة على العالم .

و « لسنا هنـا فى مقـام تحليل مظاهر الغزو الأوروبى ، الذى استهدف كيـان الشخصية المسلمة ، وسعى الى بترها عن جـذورها الفكرية ، والروحية ، لتصبح فى نهاية المطاف ، نسخة مكرورة مشوهة ، للشخصية الغربية » [٢٨] — أو « شخصية مستعارة ، استوردناها من الغرب ، كما استوردنا الغسـالات والأدوات المنزلية ، وهى شخصية ملونة ، تجمع بين المزاج الفـرنسى ، والطـابع الانجليزى ، والسمة الانجليزية ، والسلوك الروسى ، وطغت هـذه الأنواع والألوان ، على لونه الاسلامى ، وقضت عليه فى بعض الأحيان » [٢٩] ، على حد تعبير محمد الحسنى ، بينما « للمعسكر الغـربى الرأسمالى شخصية دينية وسياسية واجتماعية ، يعرفهـا الجميع ، وللمعسكر الروسى شخصية أخرى مميزة واضحة الأهداف والمعـالم ، وللمعسكر الصينى الشعبى شخصية ثالثة ، يخاف منها المعسكران » [٣٠] .

ومن ثم ، فلتعود للاسلام حضارته ، لابد أن يعود (الاسلام) الغـائب بالفعـل ، ليكون بيننا حاضرا ، ولتتبلور فى ضـوئه ملامح

---

(٢٨) د. عون الشريف قاسم : « الجذور الفكرية للمجتمع المسلم » — المسلم المعـاصر — فصلية فكرية ، تعـالج شؤون الحياة المعاصر ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد الثالث — ابريل — مايو — يونيـو ١٩٧٧ ، ص ٢٠ .

(٢٩) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن — تقـديم المفكر الاسـلامى الكبير ، أبو الحسن الندوى — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٤١ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

شخصيتنا ، التى صــارت ــ بدونه ــ « شخصية موزعة مبعثرة » ، أو « شخصية مائعة ، تميل تارة الى هــذا ، وتارة الى ذاك » (٣١) .

أى أن « معركة الحــاضر والمستقبل ، تتلخص فى قدرتنا على استعادة أصالة شخصيتنا القومية ، التى هى كامنة فى نفس كل منا ، وتنتظر لحظة الانطلاق ، لتشع على حياتنا ، قوة ومنعة وابداعا .

ولا يكون ذلك باصلاحات جزئية ، لمناطق الخلل فى المجتمع ، بل باستعادة المفهوم الاسلامى ، للدين فى حيــاة المجتمع ، ونحن ــ اذ نستعيد هــذا المفهوم ــ لا نأتى بشىء جديد ، غائب عن وجودنا كل الغيبة ، بل نعيد باستعادته اكتشاف حقيقة أنفسنا ، اذ أننا جميعــا التجسيد الحى لهــذا المفهوم ، كمــا يتجلى فى سلوكنــا وعلاقاتنــا الاجتماعية ، التى هى وليدة الدين ، كحضارة ، وكنظام اجتمــاعى ، وكأسلوب شامل للحياة » (٣٢) .

ولا ننسى هنا ، أنه فى « المرحلة التاريخية (الراهنة) من تاريخ الشعوب العربية (والاســلامية) ، ما زال التفكير الدينى هو التفكير السائد ، فاذا لابد أن تأخذ أية أيديولوجية سياسية ، تستخدم لتعبئة الجماهير ، صبغة دينية على الأقل ، حتى تصبح مقبولة لديهم » (٣٣) .

ولا ينقص هــذا (التفكير الدينى السائد) ، سوى أن يترجم الى (نظام) ، يحكم حركة الحياة فى المجتمع الاسلامى ، وينظمها ، بمــا يناسب الحياة فى القرن العشرين ، لا فى قرن آخر سبقه ، لأن الاسلام

---

(٣١) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٣٢) د. عون الشريف قاسم (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٣٣) « الشخصية العربية ، والتحدى الحضارى » ــ تنظيم وتحرير د. ســمير نعيم ــ **مجلة العــلوم الاجتماعية** ــ فصلية اكاديمية علميــة مختصة بالشؤون النظرية فى مختلف حقول العــلوم الاجتماعية ــ جامعــة الكويت ــ العدد الثانى ــ السنة الحادية عشرة ــ حزيران / يونيو ١٩٨٣ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ (من كلام الدكتور فريد صفرى) .

لم ينزل لقرن دون قرن ، ولا لزمان دون زمان ، ولا لمكان دون مكان ، بل نزل لكل زمان ولكل مكان ، ومن ثم فان « نهوضنا من الكبوة الحضارية ، التى طال بنا عهدها ، وأعنى نهوضنا الذى يتيح لنا أن نسير مع سائر الدنيا ، سير الشركاء ، لا سير الأتباع ، لن يتحقق الا اذا جاءت الحوافز من الدين ، والوسائل من العلم » (٣٤) . و « اننا اذ نتكلم عن الاحياء الدينى ، لابد أن يرد الى أذهاننا (احياء علوم الدين) للغزالى ، فماذا أراد الغزالى أن يحققه بذلك (الاحياء) ؟

أظنه أراد أمرين : أراد أن يعود الاسلام الى عهده الأول ، ثم أراد أن يقاوم الذين حسبوا أن معرفة الحق وحدها تكفى ، فقال فى ذلك : بل لابد الى جانب المعرفة من سلوك ، وأن يجىء ذلك السلوك محققا للشريعة » (٣٥) .

ومن ثم فاننا « اذا أردنا أن نغير وجه الحياة التى نحياها ، فلن يكون ذلك بأن نفتح كتب السالفين ، لنروى عنهم ما قالوه ، وننقل عنهم ما صنعوه ، وانما السبيل القويمة ، بل السبيل الوحيدة ، هى أن نسأل عما يراد تحقيقه فى (المستقبل) ، فالماضى لابد منه ، لا لنجعل منه نموذجا نحتذيه ، بل ليكون مصدرا للالهام ، فيما ينبغى أن نصنعه . ان ولاءنا لآبائنا ، يجب أن يكون فى محاكاتهم ، فى وقفتهم تجاه الحياه ، لا فى اعادة ما صنعوه ، حرفا بحرف . كانت وقفة آبائنا فى عصور القوة والطموح ، هى المغامرة والمخاطرة ، هى فى ابداع الجديد ، ليضيفوه مرحلة جديدة فى حضارة الانسان ، والولاء لهم ، انما يكون فى اتخاذنا من حياتنا وقفة كهذه : تبدع وتضيف ، تخاطر وتغامر ، تخوض التجربة ، وتتعرض للخطأ ، لتعرف ما الصواب » (٣٦) .

---

(٣٤) الدكتور زكى نجيب محمود : هذا العصر وثقافته (مرجع سابق) ، ص ٢٣٩ .
(٣٥) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .
(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

و « شر خيانة يخــون بهــا المعاصرون أمانة السالفين ، هى أن يقلدوهم تفصيلة بتفصيلة ، وموقفا بموقف ، وانما تصان الأمانة ، بأن نحافظ على المنظار ، الذى يساعدنا على رؤية ما هو دقيق ، وما هــو بعيد ، دون أن نتوقع رؤية المشــاهد نفسها ، التى كان قــد شهدها السابقون بهذا المنظار ، فمن الحقائق الحضارية الكبرى ، أن الحضارة المعينة ، اذا ما بلغت درجة عليا من الكمال ، تأخذ فى الانحدار ، اذا ظللنا نحاكى هــذا الكمال نفسه كما وقع ، ولكنها تطرد فى الصعود الى كمال أوفى ، اذا نحن اصطنعنا طريقة السير التى سار بها السابقون ، فالزمن تياره دافق ، والكائنات فى تغير ، لا يقف لحظة ، وليس أمام الانسان حيال هــذا التيار الجارف من صيرورة وتغير ، الا أن يختار واحدة من اثنين : فاما أن يتقدم مع التيار ، واما أن يذبل ويموت » •

ومن ثم فان « حاضرنا لابد أن يكون نسيجا من قديم وجديد ، والقديم هو لحمته ، والجديد هو سداه » (٣٧) ، و « اذا وضع الانسان العربى (والمسلم) (مستقبله) ، لا ماضيه ، أمام عينيه ، بحيث لا يبقى من المــاضى الا ما يضىء له طريق المستقبل ، كان قــد وضع بذلك قدميه على أول موقع يؤدى به الى ولادة جديدة » (٣٨) •

ويوم تتحقق هذه (الولادة الجديدة) للانسان العربى / المسلم ، ستتحقق ــ من خلاله ــ الحضارة الاسلامية ، القادرة على استغلال ما حبانا الله به من موارد وخيرات ، كفيلة بأن « تجعل منا أمة طليعة ، لا أمة ذنبا • وقــد كان سلفنا أقل عددا ، وأفقر مالا ، ويحيا على أرض قفرة معزولة عن الحضــارات الانسانيــة الكبرى ، فكيف نجح وساد ، على حين أخفقنا وتخلفنا ؟

فى اعتقــادى أن الثقافات المسمومة التى نتناولها ، والأحــوال المعوجة التى ألفناها ، هى التى أزرت بنــا » (٣٩) ، سواء ما اتصل

---

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ •
(٣٨) المرجع السابق ، ص ٧٣ •
(٣٩) محمد الغزالى : هموم داعيــة (مرجع سابق) ، ص ١٥ •

من هـذه الثقافات بالثقافة التى تحاول جذبنا بعيدا عن (تراثنا) ، باسم الحضارة ، أو ما اتصل منها بالثقافة التى تحاول جذبنا بعيدا عن (حاضرنا) ، باسم الدين ، وكلاهما (مجرم) فى حق الاسلام ، كما نزل من السماء ، وكما يجب أن يعاش ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ويوم تتحقق هـذه (الحضارة الاسلامية) ، فسوف تكون انقاذا ، لا للمسلمين وحدهم ، بل وللبشرية كلها ، بما تقدمه لها من (أسلوب حياة) جديد ، بديل لأسلوب الحياة الغربى ، الذى صار مصدر شـقاء الانسان ، بماديته القاسية الغليظة ، رغم ما وفره للإنسان فى هـذه الحياة من تيسيرات ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن (الحضارة الغربية المعاصرة) ، فى الفصل الرابع من الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، عن (الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) [٤٠] ، حيث يتم على يديها — أى على يدى (الحضارة الاسلامية) — « ارجاع صبغة القدسية المفقودة للحياة ، فى الظاهر والباطن ، بتدبير انسانى ، وتوجيه ربانى ، للفـرد وللمجتمع على السواء ، فى الحـركة العلمية والاقتصادية ، لأن كل انسـان يبحث عن فردوسـه المفقود ، فى قرار نفسه ، ولقد أصبح العالم الغربى نفسه ، يتجه هـذا الاتجاه ، خجلا من الحاضر ، وخوفا من المستقبل » [٤١] .

واذا كان التقدم فى عالم اليوم ، لا يحتاج الى أكثر من « تعبئة الطـاقات الاجتماعية ، أى الانسـان والتراب والوقت ، فى مشروع ، تحركها ارادة حضارية ، لا تحجم أمام الصعوبات » [٤٢] ، فان مثـل هـذا التقدم لا يوفره نظام قدر ما يوفره النظام الاسلامى ، اذا عاشه

---

(٤٠) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسـلامية ، والحضـارة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٩٠ — ١١٥ .

(٤١) الدكتور مهدى بن عبود : عقيدة الاسلام ، ايديولوجية المستقبل — الطبعة الاولى — المختار الاسلامى — القاهرة — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ٢٥ .

(٤٢) مالك بن نبى : المسـلم فى عالم الاقتصـاد — دار الشروق — ١٩٧٢ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

المسلمون كاملا ، بما « امتازت به العقيدة الاسلامية من صـفة خفية عميقة ، لا تظهر للناظر من قريب » ، « قبـل أن يطلع على حقـائق الديانة ، ويتعمق فى الاطلاع » ، « ولكن الناظر القريب قـد يدرك شمول العقيدة الاسلامية ، من مراقبة أحوال المسـلم ، فى معيشته وعبـادته » ، « مستقلا بعبـادته عن الهيكل والصـنم والأيقـونة والوثن »[٤٣] — مسئولا كما سبق عن غيره ، بقدر اعتماده — كما سبق أيضا — على ربه ، فى سره وعلنه ، ومطالبا — كما سبق كذلك — بأن يكون (السباق) دوما ، على طريق العلم والحضارة .

الاسلام وتخلف المسلمين اليـوم :

فى مطالع هـذا الفصل ، وقفنا على (الجو) الذى تنشأ فيـه الحضارة ، ورأينا أن ظهورها وأفولها يكاد أن يكون محكوما (بقانون) عام ينتظمها [٤٤] ، وأن قيمة الاسلام هنـا ، فى أنه هيـأ (الجـو) المناسب ، الذى لا تنمو الحضارة الا فيه [٤٥] ، وكنا قد رأينا فى نهايات الفصل السابق ، أن المسلمين المعاصرين ، قـد ابتعدوا عن الاسلام — الوحى ، الذى يهيىء هـذا (الجو) المناسب لنمو الحضارة ، وبالتالى ابتعدوا — بحكم القانون الاسلامى للحضارة ذاته — عن كل أسباب الحضارة [٤٦] ، على نحو ما نراهم يعيشون اليوم ، رغم أنهم يعدون — فى نظر أنفسهم وفى نظر الغير أيضـا — مسلمين ، ويحسبون على الاسـلام .

وقـد أدى بعد المسلمين عن الاسلام — الوحى ، الى تخلفهم ، ولم يؤد الاسلام بالمسلمين الى هـذا التخلف ، على نحـو ما يحب

---

(٤٣) عباس محمود العقاد : الاسلام فى القـرن العشرين ، حاضره ومستقبله — الطبعة الثانية — دار الكتـاب العـربى — بيروت — فبراير ١٩٦٩ ، ص ٢٩ .

(٤٤) ارجع الى ص ١٤١ ، ١٤٢ من الكتاب .

(٤٥) ارجع الى ص ١٤٧ ، ١٤٨ من الكتاب .

(٤٦) ارجع الى ص ٨٥ — ٩٢ من الكتاب .

أعداء الاسلام ،من رأسماليين وشيوعيين ، أن يفهموا ، أو يصوروا الأمور ، ويفسروا قضايا المسلمين ، لحاجة فى أنفسهم ، لا تخفى على اللبيب •• وعلى نحو ما يحب تلاميذ أعداء الاسلام ومحبوهم ومريدوهم فى داخل العالم الاسلامى ، من (المثقفين) المسلمين ، وهم ـ للأسف الشديد ـ كثيرون كثيرون •

لقد كانت أولى آيات القرآن الكريم ، التى تنزل بها الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، هى قوله سبحانه :

ـ « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » (٤٧) •

والاستجابة لهذا الأمر الالهى بالقراءة ، هى الضمانة الوحيدة لأن يكون المسلم ـ بالفعل ـ مسلما ، مستمتعا بكامل (حريتـه) (٤٨) ، موضوعة فى يـده (المبادرة) التى رأينا الاسـلام ينقلها من الله الى الانسان فى الاسلام (٤٩) ، وعندما لا يستجيب المسلمون لهـذا الأمر الالهى الأول ، فيكون أكثر من ٨٠٪ منهم أميين ، أو مثقفين « ثقـافة بسيطة ، لا تؤهلهم لأن يستقلوا بفهم ما يعرض عليهم ، والحكم عليه حكمـا صحيحا ، وهؤلاء يجهلون الشريعـة الاسلامية جهـلا تاما ، الا معلومات سطحية عن العبادات ، وأكثرهم يؤدون العبـادات تأدية آلية ، مقلدين فى ذلك آباءهم واخـوانهم ومشايخهم » (٥٠) ـ فان الذنب هنا لا يكون ذنب الاسلام الذى (أمر) بالقـراءة ، بل ذنب المسلمين ، الذين لم (يستجيبوا) لهذا الأمر •

وعندما يأمر الله سبحانه المسلم وغير المسلم ، « بالعدل والاحسان

---

(٤٧) قرآن كريم : العلق ـ ٩٦ : ١ ـ ٥ .
(٤٨) ارجع الى ص ٣٦ ، ٣٧ من الكتاب .
(٤٩) ارجع الى ص ٢٩ ، ٣٠ من الكتاب .
(٥٠) الشهيد عبد القادر عودة : الاسلام بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغى » [٥١] ، ثم يكون أمر المسلمين ، هو ما رأيناه فى نهايات الفصل السابق من الكتاب ، من السير على ما نهى الله عنه ، وتجنب ما أمر الله به [٥٢] ، فان الذنب هنا يكون ذنب المسلمين ، الذين وضح لهم ربهم طريق الحق والخير ، فتجنبوه الى الطريق الذى نهاهم ربهم عنه .

وعندما يبتعد المسلمون هكذا عن الاسلام ، فكرا وعملا وسلوكا وأسلوب حياة ، فيتجهوا « الى حضارات الأمم ، التى أحرزت تقــدما علميا وصناعيا ملحوظا » ، فلا تقع أعينهم الا على قشورها ، فيجنح « الكثيرون الى بث ما يشبه الاباحية ، للتحلل من الضوابط والروابط ، التى تخضع لها الجماعات ، فى تشكيل سلوكها وتصرفاتها ، فى أى ناحية من نواحى حياتها » [٥٣] — فان الذنب لا يكون ذنب الاسلام ، الذى رسم خطوط الحيــاة الفاضلة للمسلمين ، واضــحة مفصلة ، وأمرهم باتباعها ، حيث قال سبحانه :

— « وأن هــذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تتقون » [٥٤] .

وانما يكون الذنب ذنب المسلمين ، الذين تركوا هــذه الخطوط الواضحة المفصلة ، واتبعوا السبل ، فتفرقت بهم عن سبيله .

وعندما تؤدى هــذه السبل بالمسلمين الى التخلف ، ثم إلى مزيد من التخلف ، فيحاولون علاج مشكلة التخلف تلك ، (بدواء) جديد ، يتصورونه يشفى « من كل داء » ، و « يملك أن يجعــل الفقر غنى

---

(٥١) قــرآن كريم : النحل — ١٦ : ٩٠ .
(٥٢) ارجع الى ص ٨٧ — ٩٢ من الكتاب .
(٥٣) الدكتور محمد بيصار : العقيدة والأخلاق ، وأثرهما فى حيــــاة الفــرد والمجتمع — الطبعة الثانية — مكتبــة الأنجلو المصرية — ١٩٧٠ ، ص ٣١ .
(٥٤) قرآن كريم : الأنعــام — ٦ : ١٥٣ .

برمشــة عين » ، فيقعــون فى « ضرب من الصبيانيــة الاقتصــادية Economisme » (٥٥) ، على حــد تعبير المرحوم مالك بن نبى ، دون التفكير فى مراجعة « رصيدنا الروحى ، وتراثنا الفكرى ، قبل أن نفكر فى استيراد المبادىء والخطط ، واستعارة النظم والشرائع ، من خلف السهوب ، ومن وراء البحار » (٥٦) ، فان الذنب لا يكون ذنب الاسلام ، وانما يكون الذنب ــ كل الذنب ــ هــو ذنب المسلمين ، الذين فشلوا فى الاســتفادة بدينهم ومعطياته ، ثم زادوا فشــلا ، عند محــاولة (الاستيراد) من الخارج ــ هكذا ــ دون تفكير ولا روية .

وعندما يصف الله سبحانه أتباع محمــد صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

ــ « محمد رسول الله والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٥٧) .

ثم ننظر الى نفس أتباع محمد صلى الله عليه وسلم اليوم ، فنراهم ــ على طريق استيراد النظريات والأفكار ــ قد صاروا شيعا وأحزابا ، بعد أن انتقل (الصراع) العالمى بين المذاهب المختلفة ، الى قلب البلاد العربية الاسلامية ، و « فرض تفاعلات سريعة على الشرق العــربى

---

(٥٥) مالك بن بنى (مرجع سابق) ، ص ٤٣ .
(٥٦) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ــ الطبعة الثالثة ــ مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ــ ١٩٥٢ ، ص ٥ .
(٥٧) قــرآن كريم : الفتح ــ ٤٨ : ٢٩ .

(والاسلامى) ، وانتقل تأثيره الفكرى النفسى الى الناشئة العربية »[٥٨] والاسـلامية •

لقـد صار أتباعه (رحماء) مع الكفار ، أشداء على أنفسهم ، لا هم يركعون لله ولا هم يسجدون ، وانمـا يركعون ويسجدون على أعتاب الدول ، التى يتبعونها ، ويبتغون عندها الوسيلة ، ومن ثم قـد تختلف القبلة (واشنطن أو موسكو) ، ولكن الهدف واحد ، هو القضاء على الاسلام ، تحت أسماء أو شعارات كثيرة : مقاومة التطـرف — مقـاومة الارهاب •• الى آخر هـذه الشعارات ، التى فاض بهـا قاموس السياسة العربية والاسلامية المعاصرة ، حتى طفح •

حتى (الأخوة الاسلامية) ، صارت المناداة بها جريمة ، فى نظر معظم الحكومات العربية والاسلامية ، لأسباب كثيرة معلنة ، نسمع بها جميعا ، ولأسباب أخرى أكثر غير معلنة ، ولكنها لا تخفى على اللبيب •

فهل نستطيع تحميل محمد صلى الله عليه وسلم ، والرسالة التى أتى بهـا ، مسئولية ما يحدث ، أم أن من الانصاف أن نحمله للطرف الآخر ، من المسلمين ؟

وعندما نرى الاسلام قـد وضع للمسلمين نظاما للحكم ، لم يكن له مثيل عدلا ورحمة ورأفة ، فى نظام سبقه أو عاصره ، أو لحق به ، على نحـو ما رأينـا فى الكتاب الثانى عشر من كتب السلسلة [٥٩] ، « لا يتمتع الحاكم (فيه) بسلطان مطلق ، فسلطانه قائم على اتباع القرآن والسنة » ، وعلى « تقويم الحاكم اذا أخطأ » ، وعلى « محافظة

---

(٥٨) د. محمد جابر الانصارى : تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (١٩٣٠ — ١٩٧٠) — رقم (٣٥) من سلسلة (عالم المعـرفة) — المجلس الوطنى للثقـافة والفنـون والآداب — الكويت — ذو الحجـة ١٤٠٠هـ / المحـرم ١٤٠١ هـ — نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠ ، ص٨٧ .

(٥٩) دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١١٧ وما بعدها .

الحكومة على حقوق الأفراد » [٦٠] ، لأنه نظام للحكم ، له « (وظيفة اجتماعية) جذرية ، هى تحرير الانسان ، من الخضوع لأى اله آخر ، غير الله » ، و « تحرير الانسان والمجتمع من كل سلطة طاغية ، تتحكم فيه ، على أساس الاستبداد أو الشهوة أو الاستغلال ، أو خرق أسس المساواة ، بين الحاكم والمحكوم » [٦١] — عندما نجد الاسلام قد فعل ذلك ، ثم جاء المسلمون فى عصرنا هذا ، فكانت سمة الحكم فى بلادهم هى « الاستبداد بالحكم » [٦٢] ، وما يستتبع هذا الاستبداد بالحكم من انقلابات عسكرية ، حيث يخرج « الجنود من ثكناتهم ، لممارسة السياسة » [٦٣] ، ومن سرعة تغير « الفئات الحاكمة » ، « بدرجة تتضرر معها المشاريع الانشائية ، وتضعف المسئولية ، ويكثر الاستغلال » [٦٤] « وما يرافقه من أطماع ، واشباع شهوات ، كلها أدت الى اضمحلال القواعد الأساسية التى قام عليها المجتمع العربى الاسلامى ، بحيث أصبح فريسة هينة للغزو الأجنبى والاستعمار » [٦٥] .

أو على حد تعبير سعد جمعة ، رئيس وزراء الأردن الأسبق — وحديثه عن مأساة الاسلام والمسلمين اليوم ، التى وصلت بهم عنده الى مأساة ١٩٦٧ — أنها نهاية طبيعية — بعد « ربع قرن من التهتك والتفكك ، والعمالة والنذالة ، والفساد والالحاد » ، حيث « كل أيديولوجيات التاريخ ، فى شرق الأرض وغربها ، استوردناها ، وزورناها ، وجرعناها للناس ، قدعا وقمعا وارهابا ، ليستبدلوها

---

(٦٠) الدكتور شكرى محمد عياد : الحضارة العربية — رقم (١٧٢) من (المكتبة الثقافية) — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة — أول ابريل ١٩٦٧ ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٦١) الدكتور فهمى جدعان (مرجع سابق) ص ٣٧٨ .

(٦٢) الدكتور محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٥ .

(٦٣) الدكتور محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية — الدار التونسية للنشر — ١٩٦٨ ، ص ١٠٥ .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٦٥) الدكتور محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٥ ، ١٦ .

بعقيدتهم وحضارتهم وايمانهم بربهم وبمقدساتهم ، فغرقنا فى مفازات الضياع ، ومتاهات الفراغ ، وخلت الساح من الأشراف » ، وصار « معظم الجيل الجديد من الكتاب ، هم جيل البدع (الثورية) ، والفوضى الفكرية ، والرفض العابث ، والانبهار بكل ما يأتى من وراء الحدود » (٦٦) .

ثم يتحدث سعد جمعة — فيما بعد المقدمة — بنفس أسلوبه الساخر والعنيف — عن (أوضاع) المسلمين اليوم فيرى أن « السبب فيما يعانيه الاسلام على يد أبنائه قبل أعدائه ، أن هؤلاء الأبناء ، مع الأسف الشديد ، لا يعرفون عن الاسلام كثيرا أو قليلا ، ويقيسون مبادئه وقيمه ومفاهيمه ، بما هو سائد اليوم فى ديار العروبة والاسلام ، من ضياع وفراغ وجهل وتهتك وفجور ، ولذا يعتقدون أن لا سبيل الى النهوض الا بالانسلاخ عن الدين ، كما انسلخت أوربا ، واقتباس الحضارة الأوروبية ، بمحاسنها ومساوئها على السواء ، وبما أننا عاجزون عن الأخذ بالمحاسن ، فاننا نكتفى باقتباس القاذورات الأخلاقية ، وفلسفات الرفض والتمرد والعبث والتشنج ، وقصر حاجة الانسان على الخبز والجنس والأفيون » (٦٧) .

ويرى الشهيد عبد القادر عودة ، أن « جماهير المسلمين مسئولة عما انتهى اليه أمر الاسلام » ، « بانحرافها شيئا فشيئا عن الاسلام ، حتى كادت تنسلخ عنه ، دون أن تدرى أنها انسلخت عن الاسلام .

ان جماهير المسلمين قد ألفت الفسق والكفر والالحاد ، حتى أصبحت ترى كل ذلك ، فتظنه أوضاعا لا تخالف الاسلام ، أو تظن أن الاسلام لا يعنى بمحاربة الفسق والكفر والالحاد » . « ان جماهير

---

(٦٦) سعد جمعة : الله او الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ٧ — ٩ (من التقديم)

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

المسلمين قد فقدوا القوة والعزة والكرامة ، فهم يعيشون عبيدا للأقوياء ، وعبيدا للاستعمار ، وعبيدا للحكام» • « ان جماهير المسلمين فى غفلة قاتلة ، انهم فى غفلة عن دينهم ، وفى غفلة عن دنياهم ، وفى غفلة عن أنفسهم ، ويوم تتفتح أعينهم على الحقائق ، سيعلمون أنهم خسروا دنياهم وآخرتهم ، بما فرطوا فى جنب الله ، وما انحرفوا عن كتاب الله » (٦٨) •

واذا كان الاسلام قد تميز على غيره من الأديان السماوية — كما سبق فى أكثر من موضع — بوضعه (المبادرة) فى يد الانسان ، فهل يكون المسلمون الحاليون جديرين بنصر الله وتأييده ، بعد أن صارت أوضح ملامح حياتهم هى « السلبية ، واللامبالاة ، وتقديم النفاق ، كقربان الى الحكام » (٦٩) ، الذين ارتكبوا « المظالم ، واستحلوا المحارم ، وأراقوا الدماء ، وانتهكوا الأعراض ، وأفسدوا فى الأرض ، وتعدوا حدود الله ، فما تحرك العلماء للمظالم ، ولا غضبوا من استحلال المحارم ، كأن الاسلام لا يطلب اليهم شيئا ، ولا يفرض عليهم فرضا ، ولا يوجب عليهم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولا يلزمهم نصيحة الحكام ، والمطالبة بالرجوع لأحكام الاسلام » ؟ (٧٠) •

وهكذا حول المسلمون المعاصرون ، الاسلام ، الى « اسلام جامد ، واقف ، لا ينقص ولا يزيد ولا يتحرك » — « اسلام سلبى ، لا يتدخل فى شئون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غاربه ، ويدع جيله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية ، والأفكار السامة ، والأدب المائع ، فيترك المجتمع فريسة سهلة ، ولقمة سائغة ، أمام ذئاب الانسانية ،

---

(٦٨) الشهيد عبد القادر عودة : الاسلام بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه (مرجع سابق) ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٦٩) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ .

(٧٠) الشهيد عبد القادر عودة : الاسلام بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه (المرجع الاسبق) ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

ووحوش الحضارة ، وقراصنة السياسة ولصوص الدين والأدب ، ويظن أنه سينجو بنفسه وبأبنائه » ــ الى « اسلام (المسالمين) ، لا المسلمين » [٧١] ــ فهل يكون من العقل أن ندعى أن الاسلام هو الذى (ضيع) المسلمين ، أم أن نقرر أن المسلمين هم الذين (ضيعوا) الاسلام ، ثم (ضاعوا) هم أنفسهم يوم (ضيعوه) ، لأنهم لم يكونوا قبله ، شيئا يذكر ؟

امكانيات التقدم فى العالم الاسلامى المعاصر :

جربت اليابان الحضارة الغربية فى منتصف القرن الماضى ، وكانت قبله « أفقر من جارتيها الهند والصين ، فى موارد ثروتها الطبيعية ، ومع ذلك ، فقد سبقتهما بمراحل » [٧٢] ، اذ أصبحت بعد تحطمها فى الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، « تشغل المركز الاقتصادى الثالث فى العالم (بعد الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى) [٧٣] ، بعد أن « شهدت تفجرا فى التطور الصناعى ، فى الفترة من سنة ١٩٦٥ الى سنة ١٩٦٨ » [٧٤] .

ولكن تجربة اليابان مع الحضارة الغربية ، تجربة فريدة حقا ، تختلف اختلافا جذريا عن التجربة المصرية معها ، وكانت هذه التجربة ، قد سبقتها بنصف قرن من الزمان ، يوم تولى محمد على حكم مصر ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، ووضع (الحضارة الغربية) مثلا أعلى أمامه ، يحتذيه فى مختلف مرافق الحياة المصرية .

---

(٧١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن (مرجع سابق) ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(72) NAYAR, D. P. : «Education as Investment» - EDUCATION AS INVESTMENT, Edited by : BALJIT SINGH, Prakashan Mearut, India, 1967, P. 58.

(٧٣) حسين فهمى مصطفى : « أضواء على اليابان » ــ **الكاتب** ــ مجلة المثقفين العرب ــ السنة الحادية عشرة ــ العدد ١١٨ ــ يناير ١٩٧١ ، ص ٤٩ .

(٧٤) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

ذلك أن اليابان ، كغيرها من البلاد الشرقية ، كانت (مفتونة) وتتخذ بالغرب وحضارته ، ومن ثم سعت الى (نقــل) هــذه الحضارة الى أرضها ، ثم وجدت أن الحضارة الغربية (الوافدة) ، مختلفة معالمها عن التراث القومى اليابانى ، « اختلافا أساسيا » ، ومن ثم « سعى بأكبر قــدر من الوعى والحماس ، الى اقتباس الطرق الغربية » ، و « كان اتجاه اليابان الثقافى فى خلال هــذه السنوات نتيجة التفاعل بين العادات التقليدية ، والاتجاهات والأساليب الغربية المستوردة ، فى ظل ظروف من تأكيد الذات ، والتوسع القومى ، والهزيمة العسكرية ، وهــذه كلها شكلت تاريخ اليابان ، فى القرن العشرين » ، وبذلك « لم يتمكن الشعب اليابانى من التكنولوجيا الغربيــة ويطبقهــا فحسب ، ولكنه استورد وترجم كتبا غربية ، لا حصر لها ، فى جميع الموضوعات » ، « الا أن الفكر والأسلوب الغربيين ، لم يحــلا محل القيم والاتجاهات الثقافية اليابانية التقليدية ، فالحياة الخاصة : البيت والحديقة ، وأسلوب العيش فيهما ، بنيان الأسرة ، والعلاقات الشخصية — ظلت يابانية ، كما جرى بهــا العرف » .

« وبعبارة موجزة ، كان الصبغ بالطابع الغــربى ، يعنى ادخال المعــرفة ، والطرق الغربية ، فى البنيان القــائم ، والقيم الأساسية ، للمجتمع اليابانى ، وغالبا ما يجــرى التعبير عن المثــل الأعلى ، بأنه (الروح اليابانية ، والمواهب الغربية)» (٧٥) .

بينما فى بلاد الشرق الأخرى ، وفى مقدمتها مصر ، كان الاهتمام مركزا — بعد محمد علي — على أخذ (مظاهر) هذه الحضارة الغربية ، مما كان يعنى التخلى عن (الروح المصرية) ، فى اللغة والدين والتراث

---

(٧٥) تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٢ (صورة الذات ، وتطلعات شــعوب العالم) — اعداد اللجنة الدوليــة ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمــة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ ، ص ١٠٤ — ١٠٦ .

الثقافى ، على نحو ما عبر عن ذلك الكثيرون صراحة (٧٦) .

واذا كان الشرق الاسلامى قد ظل قرابة قرنين من الزمان ، يتحسس طريقه على طريق الحضارة الغربية ، ويتخبط ذات اليمين وذات اليسار ، فان مثل هذا (التخبط) يعد أمرا طبيعيا تماما ، ولو أنه طال عهده ، اذ « قيل ان أحلك ساعات الظلام ، هى ساعة الهزيع الأخير من الليل ، قبل مطلع الفجر الصادق بلحظات .

ويصدق ذلك على أوقات الظلام فى عصور التاريخ ، فان أظلم أوقاته ، لهو الوقت الذى يسبق فجر اليقظة بقليل من السنوات : ثم تأتى اليقظة فى حينها ، فاذا هى بصيص النور الأول ، قبل تباشير الصباح » (٧٧) — على حد تعبير المرحوم عباس العقاد ، فى تقديمه لدراسة شخصية الامام الشيخ محمد عبده .

يضاف الى ذلك ، أن الحضارة الغربية قد وصلت بالفعل ، الى (طريق مسدود) ، بعد أن « سيطر الغرب على الشرق فيما مضى ، عن طريق الاستعمار والاستعباد ، والقوة الغشوم ، ولكن تطور الانسانية وتقدمها ، وتطلعها الى المثل العليا ، قد أيقظ فى الشرق روح الحياة والحرية ، واباء الذل ، والنفور من العبودية ، ومن ثم أخذ الاستعمار يتراجع ويترنح ، ولم يعد يقوى على استبقاء سيطرته القديمة » .

« أما الشرق ، فانه بتحرره من العبودية والاستعمار ، قد حطم العقبات والعراقيل ، التى كانت تحول دون تقدمه ، وبتحطيمها ، ينفسح

---

(٧٦) للتفصيل — ارجع الى :
— دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى (مرجع سابق) ، ص ٢٠٦ — ٢١٠ .
(٧٧) عباس محمود العقاد : محمد عبده — الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣ م ، ص ٥ .

المجال أمامه ، لينهض ويقوى ، وينال المكانة الرفيعة التى هو محققها ، وواصل اليها بالجد والدأب والمثابرة •

يضاف الى ذلك ، أن مصادر الثروة الطبيعية ، وفى مقدمتها البترول ، ليست فى الغرب ، بل هى متوافرة أكثر ما يكون فى الشرق الأوسط ، ووجودها فى البلدان الشرقية ، سيجعل لها مع الزمن التفوق والمنعة ، ويجعل الغرب عالة على الشرق من هذه الناحية » (٧٨) •

واذا كانت هذه السطور قد كتبت منذ ربع قرن من الزمان ، والقصد منها هو الشرق الأوسط — الشرق الاسلامى ، الذى نعيش فيه ، فاذا بأسباب النهضة تمتد الى الصين وكوريا الجنوبية ، وغيرها من بلاد الشرق الأقصى ، لأسباب تتصل بالاستعمار ذاته ، الذى (يساند) بعلمه وخبرته ، التقدم العلمى فى هذه البلاد ، بقدر ما (يضيق الخناق) على البلاد الشرقية / الاسلامية ، حيث توجد هذه المواد الأولية ، التى يخشى من تقدم الشرق الاسلامى عليها ، أن تضيع من (الحضارة الغربية) — فانه لابد أن يأتى اليوم ، الذى (يثور) فيه المسلمون ، على كل مغتصبيهم ، فى داخل البلاد الاسلامية وخارجها ، حتى يتحقق على أيديهم هذا (الفجر الصادق) •

وكل ما يحتاجه هذا (الفجر الصادق) ليقترب أجله ، هو أن تعود (المبادرة) الى الانسان المسلم ، الذى حرص الاسلام على نقل هذه (المبادرة) اليه ، وبذلك تزول (العقبات) التى تعترض طريق نموه ، وطريق تقدمه ، فان « المجتمع العربى غنى بامكانيات التقدم ، فقير بانجازاته الفعلية • انه غنى بوفرة سكانه ، الذين يعدون حوالى المائة والأربعين مليونا (سنة ١٩٧٢) ، والوفرة البشرية قوة هائلة ، اذا أتيح

---

(٧٨) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، تاريخنا القومى فى سبع سنوات (١٩٥٢ — ١٩٥٩) — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٩ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ •

لمؤهلاتها أن تتحقق وتفعل ، أى اذا تدربت جماهيرنا وارتفعت وانصرفت الى الانتاج ، وتحررت من مختلف أنواع الظلم ، وأسباب التخلف » .

« والمجتمع العربى غنى بموارده الطبيعية ، ويكفينا الاشارة الى موارده النفطية ، فى وقت برز فيه النفط الى المعترك الدولى أشد بروز » .

« والمجتمع العربى محظى أيضا بموقعه الجغرافى » ، مما يعطيه « امكانات وافرة ، فى ميادين التجارة والمواصلات والسياحة » .

و « الواجب الأساسى ، الذى يواجه المجتمع العربى ، هو واجب النهوض ، لتحقيق هذه الامكانات ، واخراجها من حيز القول ، الى حيز الفعل » (٧٩) .

ولن يستطيع المجتمع العربى ، والاسلام هو الطابع الأساسى لحياته ، أن ينهض الا اذا هو عاد لتراثه الحضارى ، ولن تستطيع الأمة العربية أن تحيا بين الأمم عزيزة قوية ، « الا اذا استمدت أصول حاضرها من ماضيها ، فالماضى هو الذى يشخص الحاضر ، ويحفظ عليه كيانه » (٨٠) .

وبعد انتقال (المبادرة) الى الانسان مرة ثانية ، لابد أن تعود (الوحدة) المفتقدة ، التى زرع الاستعمار بدلها (الفرقة) والانقسام ، فهذه الوحدة — رغم سنوات الفرقة المفروضة — قائمة ، « فى اللغة والفكر والتراث الدينى والتاريخ المشترك ، تفاعل فيها كل ذلك تفاعلا

---

(٧٩) قسطنطين زريق : نحن والمستقبل — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — شباط (فبراير) ١٩٧٧ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٧ .

(٨٠) الدكتور محمد فريد أبو حديد : « فلسفة تربوية متجددة ، وكيفية تطبيقها فى المنهج والأسلوب والتقييم والامتحان » — **فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد** — دائرة التربية ، فى الجامعة الاميركية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ ، ص ٧٨ .

ديناميا ، خلال قرون طويلة »[٨١] . « والأمر الجديد بالملاحظة فى هذه الحـدود ، أن أغلبها قـد رسمته الطبيعة ، فاكتسب قدرا كبيرا من المناعة والحصـانة ، وفى ذات الوقت ، كانت هـذه الحـدود ، بمثابة الدرقية ، تحمى جسم الوطن العربى ، وتحقق له وحدة داخلية »[٨٢] .

والوحدة العربية/الاسلامية المنشودة ، ليست مجرد وحدة مكانية، بين جيران ، وانمـا هى وحـدة (انتماء) ، على حد تعبير الدكتـور زكى نجيب محمـود ، انتماء « الى خط زمانى معلوم ، وأعنى به الانتماء الى تاريخ معين ، بكل ما تشمل هذه الكلمة من وجوه وأغوار » ، « فنحن عرب ، بالمكان والزمان معا ، بالواقع الحـاضر ، وبالتاريخ المـاضى ، بالموقع الجغرافى ، وبالثقافة الموروثة ، فى آن واحد »[٨٣] .

ويوم يتحقق هذا (الانتماء) الى الزمان والمكان ، أو الى الثقافة العربيـة الاسلامية ، سيتحقق التقـدم ، على نحو ما استعرضنا من درس اليابان ، وعلى نحو ما يمـكن أن نرى من درس تركيـا كمـال أتاتورك ، التى ظنت اللغـة والدين دافعهـا الى التخلف ، فتخلصت منهما ، فاذا بها تتخلص من كل أسباب تقـدمها ، « فلم تصبح تركيـا أوربية ، بالكتابة اللاتينية ، ولم تبق على طابعها الاسلامى ، بل كان شأنها كمن رقصت على السلم .. ها هى ذى تركيا ، أكثر بلاد أوربا تخلفـا ، وكانت من قبل فى مقعد الصدارة ، فى اطار الاسلام ، والكتابة العربية ، يوم كانت جيوشها تدق أبواب فينا ، وتحكم نصف أوربا »[٨٤] .

---

(٨١) استراتيجية مقترحة لمحو الأمية فى الوطن العربى (المجلدالثانى)— اعداد الدكتور عبد الفتاح جلال وآخرين — المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى — سرس الليـان (مصر) — يناير ١٩٧٦ ، ص ٣٩ .
(٨٢) المرجع السابق ، ص ٤١ .
(٨٣) الدكتور زكى نجيب محمود : هـذا العصر وثقافته (مرجـع سابق) ، ص ٤٨ .
(٨٤) دكتور عبد الصبور شاهين : المنهج الصوتى ، للبنية العربيـة (رؤية جديدة ، فى الصرف العربى) — الطبعة الأولى — مكتبة دار العلوم — القاهرة — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٢ (من المقدمة) .

والغريب أن الانسان العربى والمسلم ، يكون فى بلده — العربى والاسلامى — قوة (مستهلكة) ، ان صح هذا التعبير ، فاذا هو هاجر منه الى بلد آخر ، تحول الى قوة (منتجة) هائلة ، مما يدل على أن (المناخ العام) الذى يعيش فيه المسلمون فى داخل أوطانهم ، مناخ غير صحى ، يدفع الى (التراخى) ، أكثر مما يدفع الى (الجدية) فى العمل — وأنه فى خارج حدود بلده ، يكون نظيف الخلق ، سريع البديهة ، قوى الذكاء ، بينما يكون على النقيض من ذلك تماما ، فى داخل حدود بلده ، لنفس السبب تقريبا •

ولا يمكن تبرئة (السلطة السياسية) الحاكمة فى بلاد المسلمين اليوم من ذلك كله ، على نحو ما رأينا فى الفصل الثانى من الكتاب (٨٥) ، فهى (تضع يدها) فى كل شىء ، دون كفاءة أو مقدرة ، فتكون النتيجة فشل خططها للتنمية ، على سبيل المثال ، حيث نجد « من السمات الرئيسية لكثير من المشروعات العامة فى المنطقة ، افتقارها الى رؤية واضحة مسبقة لمبررات وجودها ، كما أن قيامها لا يعبر — فى كثير من الأحيان — عن سياسة تنموية محددة ، أو يقترن بوجود مبررات مقنعة ، متفق عليها لدى جميع الأطراف المعنية — هذا ، الى جانب أن انشاءها لا يتم ضمن اطار استراتيجية تنموية ، واضحة المعالم » •

« والمتتبع لتاريخ المشروعات العامة فى المنطقة ، يلاحظ قوة وأثر القرار السياسى والادارى فى نشأة هذه المشروعات ، حيث يتخذ القرار — فى كثير من الأحيان — استجابة لظروف آنية ، مختلفة من حالة الى أخرى » (٨٦) •

---

(٨٥) ارجع الى ص ٨٥ — ٩٠ من الكتاب •

(٨٦) د. على خليفة الكوارى : دور المشروعات العامة ، فى التنمية الاقتصادية — رقم (٤٢) من سلسلة (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رجب / شعبان ١٤٠١ هـ — يونية (حزيران) ١٩٨١ م ، ص ١٩ ، ٢٠ •

واذا كان هنالك من يرى أن (المساعدات الفنية) التي يتنهمال على هذه البلاد ، من البلاد الغربية ، لا تعدو أن تكون وسيلة «لاستعباد البلدان النامية » (٨٧) ، حيث تهدف هذه المساعدات ، الى تأمين أساس « لتغلغل رءوس أموال البلدان الغربية فيها ، وتكوين الكادرات الفنية والانتاجية فى بلدان العالم الثالث » ، « لخلق ظروف أكثر ملاءمة ، لنشاط المؤسسات الأجنبية » (٨٨) ، وذلك بالعمل على « ابقاء البلدان النامية الى الأبد ، فى وضعها الحالى ، كـ (قرية عالمية) ، وملحق للخامات والزراعة باقتصاد الولايات المتحدة ، والدول الامبريالية الأخرى » (٨٩) — فان الخطأ هنا ليس خطأ الكيانات الكبرى ، التى تقدم هذه المساعدات ، وانما هو خطأ (الحكومات المحلية) الضعيفة ، التى تشترك مع هذه الدول ، فى (التآمر) على بلادها والابقاء عليها متخلفة — اضافة الى أن التهمة لا يمكن توجيهها فى هذا المجال الى الولايات المتحدة والبلاد الغربية وحدها ، وانما الى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية / الشيوعية أيضا .

ولن يصلح من الوضع هنا ، الا الاسلام ، فى صورته النقية الأولى ، قادرا على (تشكيل الحياة) على أرض المسلمين ، وعلى وضع (المبادرة) فى يد الانسان المسلم ، بعد أن نزع حكامه من يده هذه المبادرة ، لأسباب كثيرة ، أشرت اليها بصور مختلفة ، فى فصول الكتاب السابقة .

وليست عودة الاسلام هذه مسئولية الدولة وحدها ، بل انها مسئولية كل فرد مسلم ، فالكل فى (جريمة) ما يحدث غارق ، والكل عما يحدث مسئول ومحاسب — أو على حد تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(٨٧) ماركوف : مشكلة التغذية ، وسياسة الامبريالية — دار التقدم — موسكو — ١٩٧٥ ، ص ١٠٨ .

(٨٨) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٨٩) المرجع السابق ، ص ١١١ .

ـ « مثل المدهن فى حدود الله ، والواقع فيها ، مثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم فى أسفلها ، وصار بعضهم فى أعلاها ، فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : مالك ؟ قال : تأذيتم بى ، ولا بد لى من الماء ، فان أخذوا على يديه ، أنجوه ونجوا أنفسهم ، وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم »(٩٠) .

ازالة العقبات من الطريق :

قد يفهم البعض من هذا العنوان ، بعد ما سبقه من كلام ، أنها دعوة الى (الثورة) على الوضع القائم ، بينما حقيقة الأمر أنها دعوة الى (الثورة على النفس) أولا ، تزيح عنها (الغبار) الذى علق بها ، من طول التنشئة فى أسرة تنتسب الى الاسلام بالاسم وحده ، ثم فى مؤسسات اجتماعية أنشأها مجتمع ، ينتمى الى الاسلام بالاسم وحده أيضا ، وممارساته كلها ـ كما سبق ـ ضد ما شرعه الاسلام ، وما أمر به (٩١) . وكلها تأثيرات تربوية ، بالغة الخطورة فى تشكيل (شخصية) الانسان المسلم .

ويرى ابن مسكويه ، أن « الشريعة هى التى تقوم الأحداث ، وتعودهم الأفعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة ، وطلب الفضائل ، والبلوغ الى السعادة الانسية ، بالفكر الصحيح ، والقياس المستقيم .

وعلى الوالدين : أخذهم بها ، وبسائر الآداب الجميلة ، بضروب السياسات ، من الضرب اذا دعت اليه الحاجة ، أو التوبيخات ان صدتهم ، أو الاطماع فى الكرامات أو غيرها ، مما يميلون اليه من الراحات ، أو يحذرونه من العقوبات .

---

(٩٠) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى ـ الجزء الثالث ـ كتاب الشعب ـ دار ومطابع الشعب بالقاهرة ـ ٧٨ / ١٣٧٩هـ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ (من كتاب الشهادات) .

(٩١) ارجع الى ص ٨٥ ـ ٩٠ من الكتاب .

حتى اذا تعودوا ذلك ، واستمروا عليه مدة من الزمان كثيرة ، أمكن فيهم حينئذ ، أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا ، أو ينبهوا على طريق الفضائل ، واكتسابها ، والبلوغ الى غاياتها ، بهـذه الصناعة التى نحن بصـددها » (٩٢) .

ومن ثم فعلى كل مسلم ، أن (يعيد تشكيل) نفسه وفق الاسلام ، بدلا من أن ينظر الى الاسلام من وجهة نظره هو ، التى تأثر فيها — ولا شك — بتنشئته — غير الاسلامية .

وعلى قـدر ما أدى هـذا (النمط) الذى نشأنا عليـه جميعا كمسلمين ، الى الحيلولة بيننا وبين الاسلام ، فقد أدى الى (جمود) الاسـلام ذاته ، من خلالنا ، ففى مجال الخلافة — على سبيل المثال — « ظل الفكر السياسى عند المسلمين ، حبيس القيم والأفكار والمبـادىء والحقوق ، التى اكتسبتها الخلافة ، وتطورت على مر الزمن ، حتى غدت حقائق ثابتة فى حقوق المسلمين ، لا يبغون عنها بديلا . ومن ثناياها ، نبتت الفكرة الشائعة ، بأن الاسـلام دين ودولة ، وغدت فكرة ادماج السلطتين ، الزمنية والدينية ، وكأنها من حقـائق الاسـلام الثابتـة المقـررة » (٩٣) .

وقد « بدت الخلافة ، وكأنها جماع السلطتين ، الزمنية والدينية ، وبالرغم من أنه لم يكن للخليفة حق الولاية على عقائد الناس ، وليس له حق تأويل الشريعة أو تفسيرها ، الا أنه بدا فى صورة الحاكم الزمنى والدينى معا ، ينفـذ بقداسته الى وجـدان المسلمين ، أكثر مما ينفـذ بسلطانه اليهم ، وصانت هـذه القداسة مكانة الخلافة ، فلم يجرؤ عليها مستبد بالسلطة ، فاذا استباح دماء الخليفة ، وقف عاجزا عن استباحة

---

(٩٢) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، وتطهير الأعراق — حققه وشرح غريبـه : ابن الخطيب — الطبعة الأولى — المطبعـة المصرية ومكتبتها — ١٣٩٨ هـ ، ص ٤٥ .

(٩٣) الدكتور حسين فوزى النجـار : الاسلام والسياسة ، بحث فى أصـول النظرية السياسية ونظام الحكم فى الاسلام — مطبوعات الشعب — ١٩٧٧ ، ص ١٠ (من المقـدمة) .

كيـــان الخلافة » (٩٤) •

وقــد أدى ذلك ــ عند الدكتور حســين فوزى النجــار ــ الى « نتيجتين حتمتيين :

أولاهما : أن القداسة الدينية التى أحاطت بالخلافة ، صرفت الناس عن التماس غيرها من أنظمة الحكم الأخــرى ، أو البحث فيها ، وجمــد عندها الفكر السياسى للعلمــاء والباحثين ، فلم يرودوا ميدانه الا من خلالهــا » •

« وثانيهما : أن الدولة كنظام ، ارتبطت بالدين ، فسرى بين الناس أن الاســلام دين ودولة ، فى حين أن الاسلام شريعة للدنيا وللحيــاة ، ولمتكن الدولة أو النظام السياسى للحكم ، مما جاء فى كتاب أو سنة» (٩٥) •

وهــذا الكلام الذى قيل عن الخلافة ، يمكن أن نتوسع فيــه ، ليشــمل (كل شىء) فى حياة الانسان المسلم المعاصر •

ان أولى العقبات التى يجب أن تزاح من الطريق ، هى تلك العقبات التى وضعها كل منا ، فى طريق حياته الاسلامية ، يوم اكتفى من الاسلام، بمــا ورثه عن والديه منه ، أو ما تعلمــه فى مؤسسة تعليميــة عنه ، أو ما تشربه من خلال مؤسسات مجتمعه منه ــ بينما يجب على كل منا أن (يعرف) الاســلام بنفسه ، ويعرف كيف يعيش (به) حيــاة القرن العشرين الميلادى / الخامس عشر الهجرى ، لا قبله بقــرن ، أو بعام ، أو بيوم ، لأنه يكون ظالمــا لنفسه وللاسلام ، اذا عاش باسلامه قبل يومه يوما أو أياما •

---

(٩٤) المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ (من المقــدمة) .
(٩٥) المرجع السابق ، ص ١٣ (من المقدمة) .

لقد « خرج الاسلام من الجزيرة العربية ــ حيث الحياة بسيطة ، والمدنية محدودة ــ الى البلاد المخصبة الواسعة ، ذات المدنيات القديمة، والآفاق الواسعة ، كالشــام والعــراق ومصر وايران ، وقــد توسعت الحيــاة الاجتماعية ، وتعقد نظام الادارة والتجارة ، وقــد كانت مهمة تطبيق أصول الاسلام ، على هــذه المسائل والحــوادث ، واخضــاع الحياة المدنية لروح الاسلام وأسسه ، يتطلب ذكاء فائقــا ، وفهما دقيقا، واطلاعا واسعا على المجتمع العصرى ، الذى كان المسلمون يعيشون فيه، والمــاما كافيا بعلم النفس ، والطبيعة البشرية ، وخبرة واسعة بطبقات الأمة ، ونواحى الحياة العامة ، يضاف الى ذلك ، الاطلاع الواسع على تاريخ الاسلام ، والوقوف على مصادره ، وأصول التشريع الاسلامى ، مع الرسوخ ، والتطلع فى اللغــة العربية ، التى نزل بهــا القــرآن ، ونطق بهــا الرسول » (٩٦) .

و « لقد كان من لطف الله بهــذه الأمة ، وكان من التيسير ، أن قيض الله لهــذه المهمة الجليلة ، رجالا يعــدون من الأفذاذ والنوابغ ، الذين أنجبتهم الانسانية ، فقها وأمانة ، واخلاصا وكفاية ، كان منهم هؤلاء الأربعة ، الذين قــدر لفقههم أن يعيش الى هــذا اليوم ، ويخضع له العــالم الاسلامى » (٩٧) ــ متحملين ما تحملوا فى سبيل الثبــات على اسلامهم ، وقول كلمــة الحق ، أيا كان الثمن الذى يدفعونه فى مقــابل قولهــا ، كما سبق فى نهايات الفصل السابق (٩٨) .

ان كل مسلم اليــوم ، مطالب بأن يكون (اماما) ، قادرا على أن يعيش حياة الاسلام (اليــوم) ، فان « مقتضى عالميــة الاســـلام وخلوده ، أن يفى بجديد حاجات الحيــاة المتطورة ، والظروف المتغيرة ، مما ينفى عنــه أى ظــل ، من شــبهة الجمــود ، ومعاندة التجــديد

(٩٦) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام (مرجــع سابق) ، ص ١١٠ .

(٩٧) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٩٨) ارجع الى ص ١٢٨ ــ ١٣٢ .

والتطور » (٩٩) •

وللمسلم اليوم ، من حياة الامام الشافعى بالذات ، ما يجب أن يحتذيه ، فان « أختلاف أئمة الفقه الاسلامى ، أصحاب المذاهب — وهم من عصر واحد : القرن الثانى للهجرة — هو من هذه الاستجابة ، التى بلغ من قوتها ما يعرفه الدارسون ، من تطور المذهب الفقهى للامام الشافعى ، فى رسالته المشهورة ، التى عد بها واضع أصول الفقه : كتبها لأول مرة فى بغداد ، ثم لما انتقل الى مصر ، وعاش فى بيئة غير بيئتى الحجاز والعراق ، أعاد النظر فى الرسالة ، وعكف على كتابتها مرة أخرى ، وصار له بذلك قديم فى الفقه وجديد ، وقد اعتد بجديده فى مصر ، فجعله كالناسخ لما كتبه فى بغداد » •

« والامام الشافعى ، مجدد المائة الثانية ، وقد بلغ من ايمانه بالتجديد ، أن نهى أصحابه عن تقليده ، أو تقليد غيره ، وأخذهم بمبدئه المشهور فى الفقه : ((لا يجوز للمجتهد ، أن يقلد مجتهدا غيره) » •

« واذا كان التجديد قد استجاب للتطور فى المجال الدينى ، فكيف بما لم يتعلق الشرع بالحكم عليه ، من شئون الدنيا العملية ، ومحدث العلوم ؟ » (١٠٠) •

ان كل مسلم مكلف أن يكون ((امام) نفسه ، و (امام) مجتمعه ، فما جاء الاسلام الا ليجعله خليفة لله فى الأرض ، وما جاء الا ليضع (المبادرة) فى يديه •• والا فلن يكون له من الاسلام ، الا الاسم وحده ، وسيكون اسلامه يوم القيامة عبئا عليه وشاهدا ، بدلا من أن يكون عونا له ومنصفا •

ان هذا ((الوضع الجديد) للمسلم ، هو الثورة التى أقصدها ، وما أحسب الاسلام يريد غيرها ، ليكون — وبالفعل — دين كل زمان ،

---

(٩٩) دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : الشخصية الاسلامية ، دراسة قرآنية (مرجع سابق) ، ص ١٧٠ .

(١٠٠) المرجع السابق ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

مثلما هو دين كل مكان ، وهى ثورة هدفها ، ازاحة العقبات من الطريق، واذا تحقق مثل هـذا ((الوضع)) ، فسينطلق المسلم فى طـريق تغيير مجتمعه ، ثم سينطلق المسلمون فى طريق المستقبل ، فحركات التاريخ الكبرى ، لا يحدثها ((القطيع)) الكبير من الناس ، وانما يحدثها القـلة القليلة ، التى أوتيت (عزم الأمور) ذاك ، والتى مكانها فى المجتمع الاسلامى ، هو مكان القيادة والزعامة ، فى شتى شئون الحياة الاسلامية.

ويرى الدكتور حسين فوزى النجـار ، أنه « اذا كانت الصليبية الجديدة ، التى حملتها الصهيونية الى ديار الاسلام ، قـد استطاعت أن تتخـذ لهـا قدما فى فلسطين ، بعد ثمانيـة قرون ونصف القـرن ، من ظهور الصليبيين أمام بيت المقـدس عام ١٠٩٩ ، فلان حال العـرب والمسلمين اليـوم ، كان كحالهم حينذاك ، فرقة وشتاتا » (١٠١) ، وأنه « من العسير أن ينشد الحاكم ما كان ينشده صلاح الدين منذ ثمانيـة قرون من تحقيق الوحدة العربية ، لمواجهة الغزو الصهيونى ، ولكن عليه أن يكون على ما كان عليه صلاح الدين ، لا من حيث رجاحة العقل وبعد النظر فحسب ، ولكن من حيث تمثله لروح الاسلام ، وسـمو تعاليمه ، فما كان صلاح الدين ، كما يشهد له مؤرخوه من الفرنجة ، قبل العرب ، الا مثالا عاليا للخلق الاسلامى ، مروءة ونجـدة ووفاء وحلما وتواضعا وطهارة وصلاحا وتقـوى » .

« ومثلما كان انتصار صلاح الدين على الصليبيين ، كان انتصـار قطـز على التتار فى عين جالوت ، بدافع من حميـة الاسلام ، فهو الذى أعد للمعـركة ، وجمـع المسلمين على كلمـة واحدة ، هى الدفاع عن روح الاسلام ، والحضارة الاسلامية » (١٠٢) .

ان كل مسلم اليوم مطالب بأن يكون الامام الشافعى ، وصـلاح الدين وقطـز معـا ، ولا بـد أن يتعـرض لغـارة شرسـة ، سواء

(١٠١) الدكتور حسين فوزى النجار : الاسلام والسياسة (مرجـع سابق) ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

من السلطة السياسية — المسلمة ، حيث « ثمة صراع أزلى بين القيادة الفكرية ، وبين السلطة المدنية » (١٠٣) ، وسواء من الثقافة السائدة ، التى تربى الناس عليها •• بعيدا عن الاسلام ، وقد تكون نتيجة هذه الغارة : التعذيب ، كما حدث للشافعى ، أو محاولة القتل كما حدث لصلاح الدين ، أو القتل فعلا كما حدث لقطز •• ولكنه كله قدر مقدر ، لا مهرب للانسان منه ، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ، ويكفى الانسان فقط ، أن يكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو مجتمعه ، ونحو ربه الذى كرمه واستخلفه يوم خلقه ، وأن يأتى النصر الذى لا شك فيه على يديه ، بدلا من أن يأتى على يد غيره :

— « •• وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » (١٠٤) .

(١٠٣) ج. برونوفسكى : ارتقاء الانسان — ترجمة د. موفق شخاشيرو — مراجعة زهير الكرمى — رقم (٣٩) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت — ٢٩ ربيع الثانى / جمادى الأولى ١٤٠١هـ — مارس (آذار) ١٩٨١ م ، ص ٣٢٩ .

(١٠٤) قرآن كريم : محمد — ٤٧ : ٣٨ .

الفصل الخامس

مستقبل الاسلام

تقـــديم :

من يتأمل قضية الاسلام والمسلمين ، اذا لم يفهم حقيقة الاسلام ، لابد أن يصاب بالدهشة ، وأن يسيطر عليه العجب ، وأن يجد نفسه ــ فى نهاية الدراسة ــ أمام تساؤلات كثيرة ، لا يستطيع أن يجـد لهـا اجابات شافية .

وكثير من المستشرقين عالجوا القضية ، فلم يخرجوا منها الا بنفس العجب ، وقليـل هم أولئك الذين كانوا ((مخلصين) للحق وللحقيقة فى دراستهم ، فخرجوا بسر الاسلام الأكبر ، ولم يكن أمامهم سوى أن يعلنوا اسلامهم فى النهـاية .

هذا ، رغم ما يعيش فيه الاسلام ــ من خلال المسلمين أنفسهم ــ من صـورة سيئة .

ولكن هـذه الصورة السيئة التى يعيشون بالاسلام فيها ، لاتأتيهم من تمسكهم بالاسلام ، وحياتهم حياته ، والتزامهم بما أمر الله به ، وانما هى تأتيهم من بعدهم عنه ، كأسلوب حياة .

لقد عاش بعضهم ــ أمام هؤلاء المستشرقين ــ باسلام القـــرن الأول الهجرى ، الذى لا يمكن أن يعاش اليوم ، وعاش بعضهم الآخر ــ أمام هؤلاء المستشرقين ــ بالاسلام كما أراده الغــرب ، وكما زرعه فى النفوس ، من خلال وسائله الكثـيرة .. حتى صار أبعد ما يكون عن الاســلام .

وبين الافراط والتفريط ، ضاعت حقيقة الاسلام واقعا حيا يعاش ، من أيدى هؤلاء المستشرقين ، حتى هدى الله من هدى قلبه منهم الى حقيقة الاسلام ، بعيدا عن هؤلاء وهؤلاء .. فكانت حقيقته الواضحة ، التى دفعتهم دفعا الى الاسلام ، رغم حياتهم فى مجتمع كله جاهلية ، وثقافة أبعد ما يكون عن الاسلام ، بل هى منه على النقيض .

وحول ما (دفع) هؤلاء العباقرة الى الاسلام ، سوف تدور محاور هـذا الفصل — الأخير من الكتاب .

الاسـلام هو مطلب الانسانيـة :

وصلت الحضارة الغربية الى درجة من التقـدم ، لا يستطيع أن ينكرها أو يتغافلها ، الا انسان فقد عقله وصوابه ، لأن كلا منا — أراد ذلك أم لم يرده — يعيش (غارقا) فى غمـار هـذا التقدم العلمى ، سواء فيما يقطنه من منزل ، وما يعيش عليه من أثاث ، وما يرتديه من ثياب ، وما يستخدمه من أدوات ، وما يركبه وينتقل به ، وما يوصله بغيره ، وما .. وما .. فقد أصبح (كل الناس) جزءا من الحضـارة الغربيـة ، أرادوا ذلك أم لم يريدوه .

ولا يقف الأمر عند حد أن المسلمين اليوم قد صاروا (موزعين) بين الولايات المتحـدة والدول التابعة لهـا فى غرب أوربا من جانب ، وبين الاتحـاد السوفيتى والدول التابعـة له فى شرق أوربا من جانب آخر ، أو عند حد أن اليهود قـد تمكنوا — بالفعل — من (اذلال) المسلمين ، والسيطرة على المسجد الأقصى فى القدس ، وتهديد بيت الله الحـرام نفسه فى مكة المكرمة ، بمساندة الحضارة الحديثة ، فى الشرق والغرب معا ، بل تعدى ذلك الى أن صار كل مسلم ، أراد ذلك أم لم يرده ، (جزءا) من هـذه الحضارة الغربية .. الحديثة .

فلم تقف الحضـارة الحديثـة فى تقـدمها عند حد سيطرتها على الطبيعة المحيطة بالانسان ، فى كرته الأرضية وما حولهـا ، بل تعدت

ذلك الى « تغلغلها » فى أعماق الانسان ذاته — أيا كان هـذا الانسان ، وأنى كان ، وصار تقـدم الانسان وتخلفه ، يقاسان بالاقتراب من هذه الحضارة ، والأخذ بأساليبها ، أو البعد عن ذلك كله ، حتى صارت كل الأمم — على حد تعبير ابن خلدون — « آلـة لسواها ، وعالة عليهم » ، بسبب « ما يحصل فى النفوس من التكاسل ، اذا ملك أمرها عليها » (١) ، كما يحدث اليوم فى العالم ، الذى صار « سوق نخاسة دولية » (٢) كبرى ، ملوكها ، هم هؤلاء الغربيون ، أصحاب هـذه الحضارة وملاكها وصانعوها ، ومحركو العالم من خلالها •

وكان من ميزة هـذه الحضارة ، أنهـا « يسرت » كثيرا من أمور الحيـاة للغربيين ، المتملكين لهـا ، المسيطرين على زمامها ، حتى صارت حياتهم — بالفعل — من حيث الشكل وحـده على الأقل — « جنـة » الله فى أرضه ، ومع ذلك ، فقد « قتلت » هـذه الحضارة « أسـمى » ما فى نفس الانسان ، وهو روحه ، التى يتميز بهـا على « سائر الحيوانات » ، فان « الانسان حيوان متدين » (٣) ، و « بالحياة الروحية ، يرتفـع تمـاما فوق مستوى الحيوان ، الى مستوى أعلى وأسمى » (٤) •

ويفهم الناس الروح وحياتها ، متأثرين بالفكرة الغربية/المسيحية اليهودية عنها ، على أنها شىء « منعزل » عن حياة الانسان الدنيوية ، بينما هى — كمـا وضحها الطهطاوى — « الحياة ، والحركة ، وأصـل

---

(١) العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقـدمة ، من كتاب العبر ، وديوان المبتـدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر — المطبعـة الشرفيـة — القـاهرة — ١٣٢٧ هـ ، ص ١٦٥ •

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٦٦ •

(٣) انيس منصور : طلع البـدر علينـا — الطبعة الأولى — المكتب المصرى الحديث — ١٩٧٥ ، ص ١٣٦ •

(٤) الدكتور محمد فاضل الجمالى : تربية الانسان الجديد (محاضرات فى مبادىء التربيـة ، القيت فى الجامعة التونسية) — الشركة التونسية للتوزيع — ١٩٦٧ ، ص ٣٣ •

الاحســاسات والادراكات والشــهوات ، تهدى الانسان فى حركاته وسكناته ، وأفعاله وأقواله ، وبها يمتاز عما سواه من باقى الحيوانات ، وهى من أصل الفطرة ، فى حــد ذاتها طاهرة زكية ، وانمــا تولدت عنها الشهوات واللذات ، لمــا اتصلت بالأجسام الطبيعية » [٥] .

واذا كانت الحضارة الغربية ـــ المعاصرة ، حضارة عقلية بالدرجة الأولى ، فان معنى ذلك أنها تقوم على اشباع حاجات الانسان العقلية ، جنبا الى جنب مع اشباع حاجاته الجسدية ، أو لعلها قامت ـــ اذا نحن أردنا الدقة فى التعبير ـــ على اشباع حاجات الانسان الجسدية ، بما فيها حاجته العقليــة .

الا أن امكانيات العقــل ، ومجال عمــله ، هو ((الواقع المــادى المحسوس) ، « فالعــالم المــادى وحده ، هو الذى يمكن أن يعمــل فيه العقل ، وأن يسمع ويرى . ولكن ليس بالعقل وحده ، يدرك الانسان ما يدرك من أسرار هــذا الوجود ، بل ان هنــاك الى جانب العقل ، قوى أخــرى ، مهيأة لأن تصل الى درجات من المعرفة ، لا يصل اليها العقل ، ولا تقــع فى شباك منطقه » [٦] .

وهكذا أدت الحضارة الحديثة ، الى اشباع ((جسد) الانسان ، والى ((اشباع) حاجات عقله ، وتطلعات هــذا العقل ، فاذا بهــذا (الاشباع) نفسه ، يؤدى بالانسان الى (جــوع) قاتل ، ويدفع به ـــ كما نرى فى الولايات المتحــدة ـــ زعيمة هــذه الحضارة الغربية المعاصرة ومالكة زمامها ، وصاحبة أعلى مستوى حياة فى العــالم تقريبا ـــ الى (شــقاء) ، لم تعرف له الانسانية مثيلا ، حيث « تدل الاحصاءات فى

---

(٥) « كتاب المرشد الأمين ، للبنات والبنين » ـــ من : **الأعمال الكاملة، لرفاعة رافع الطهطاوى** ـــ دراسة وتحقيق محمد عمارة ـــ الجــزء الثانى (السياسة والوطنية والعربية) ـــ الطبعة الأولى ـــ المؤسسة العربيــة ، للدراسات والنشر ـــ بيروت ـــ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، ص ٤١٧ .

(٦) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضــوعا (مرجــع سابق) ، ص ١٢١ .

أمريكا ، على أنه فى كل خمس وثلاثين دقيقة ، يقع حادث انتحار ، وفى كل مائة وعشرين ثانية ، يصاب شخص بالجنــون ، ومعظم حوادث الانتحار ، وكثير من حالات الجنــون على الأرجح ، يمكن أن يقطـــع دابرها ، اذا أصاب هؤلاء النـــاس ، شيء من الأمان والاطمئنـــان ، سكينة النفس ، التى يجلبها الدين ، وتجلبها الصلاة » (٧) .

وبجانب الانتحار والجنون ، هنـــاك (القلق) ، وما يترتب عليه من أمراض نفسية وعصبية ، وخطـــره أشـــد وأخطر ، اذ أن « شـــخصا من كل عشرة أشخاص من سكان أمريكا ، معرض للاصابة بانهيار عصبى ، مرجعـــه فى معظم الأحيان الى القلق » (٨) ، وما يؤدى اليه من « عسر الهضم العصبى ، وقرحة المعـــدة ، واضـــطرابات القلب ، والأرق ، والصداع ، وبعض أنواع الشلل » (٩) .

ولا يعنى ذلك ، أن البديل لهـــذه الحضارة الغربيـــة ـــ المـــادية القاسية القاتلة ، هو البديل الروحى ، بالمعنى الغربى للروح ، على أنها هجر للدنيا وهجر للملذات والشرور ، لأن مثل هذا البديل هو الآخر ، بديل غير عملى ، ولا منطقى ، ولا هو مطلب انسانى .

وقـــد عاش الانسان بهـــذا البديل الروحى ، المجرد عن الجسد وحاجاته ومطالبه ، عشرات القرون ، وأقربها الى الحضارة المعاصرة ، حياة الغرب فى العصور الوسطى ، تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ، فما أطاقها الانسان وما رضخ لهـــا الا تحت سيطرة الكنيسة ، وخشية محاكم التفتيش التى كانت تتبعها ، ويوم ضعفت الكنيسة ، ثار عليها ، وثار على هـــذا المطلب الروحى القـــاتل للانســـان ، وكان اندفاعه فى الطـــريق المضاد ـــ طريق الجسد ومطالبه ، والعقل وحاجاته ، واهمال شأن الروح تمـــاما .

---

(٧) ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحيـــاة ـــ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـــ الطبعة الخامسة ـــ مؤسسة الخانجى بمصر ، ص ٢٩١ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٥٧ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

وميزة الاســلام هنا ، ومنه يبــدو الاســلام مطلب الانسانية ، وضرورتها الملحة ، أنه يمتاز « عن الديانات السماوية الأخرى ، بالشمول والعموم ، فهو لم يجيء لأمة دون أمة ، وانمــا جاء رحمــة للنــاس جميعا ، على اختلاف أجناسهم وشــعوبهم وألوانهم » ، « ومن أجــل ذلك ، جاءت أحكامه وتشريعــاته عامة ، شاملة لكل نواحي الحيــاة وشؤونها ، فلم تقتصر على بيــان العقيدة الصحيحة وحدها ، ولا على النظــام الأخلاقي المثالي ، الذي عليه المجتمع فحسب ، بل جاء مع هذا وذاك ، بالشريعة المحكمة العــادلة » (١٠) .

وشمول الاسلام ، بحيث يجمع بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، وبين مطالب الدنيا وضرورات الآخرة ، وبين فردية الفــرد وجماعيته على السواء ، هو الذي جعله ـ في النهاية ـ هو الدين المنتصر ، الناسخ لكل دين آخر سبقه ، والمتمم لكل الديانات التي نزلت من السـماء ، و « شمول العقيدة الاسلامية ، هو الذي حقق للاســلام ما لم يتحقق لعقيدة غيره ، من تحويل الأمم العريقة ، التي تدين بالكتب المقدسة ، الى الايمــان به ، عن طواعية واختيار ، كما آمنت به المسيحية والمجوســية والبرهمية في مصر وسوريا وفارس والهند والصين » (١١) .

ومن ثم كان الاســلام بسيطا بسيطا ، يســتطيع كل انسان أن يستوعبه ويفهمه ويعتنقه ، ويمارسه كدين وكحياة ، كمــا كان ميدانا واسعا جدا في الوقت ذاته ، من ميادين الدراسة الأكاديمية (١٢) .

أي أنه حتى من هــذه الزاوية ، نزل ليناسب كل الناس ، بسيطهم ، ومحدود التفكير فيهم ، جنبا الى جنب مع أصحاب العقــول المفكرة ،

---

(١٠) الدكتور رشــدي عليان : الاسلام والخلافة ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دار السلام ـ بغداد ـ ١٩٧٧ ، ص ١٦ .

(١١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، واباطيل خصومه (مرجع سابق) ، ص ٢٣ .

(12) AL-QUADIREE, ATAWOOLLAH ALI SARFARAZ KHAN JOOMAL ; Op. Cit., p. 15 (from the Foreword).

وكبـــار الفلاسفة والعلماء ــ وليناسب الانسان فى كل حالاته ، فهو ــ على حد تعبير أنيس منصور « أبسط الأديان ، وأكثرها تجريدا » (١٣) فى آن واحـــد .

وأيا كان الانسان ، الذى يجـــد نفسه فى الاسلام ، ولا يجده فى غيره ، فى هـــذا القـــرن العشرين الذى نعيشه ، بكل معتقداته ، « فقد جاء الاسلام بعقيدة سليمة ، برهن على صدقها وصحتها ببراهين عقلية واضحة » (١٤) ، وبذلك « ارتفـــع بضمير الانسان شأوا بعيدا ، الى ادراكه للفكرة الالهية والفكرة النبوية ، أو فكرة الرسالة والوحى ، من الخالق ، الى خلائقه العقلاء .. فبعد الايمـــان باله القبيلة ، أو الـــه الشعب المختار ، واله الشعائر الوثنية ، أو الاله الذى يحاسب النـــاس بحساب القرابين والكفـــارات ، ولا يحاسبهم بالتبعـــة والتكليف ، جاء الاسلام بأشرف العقائد الالهية ، فعلم الانسان أن يؤمن برب العالمين ، رب الانسانية جمعـــاء ــ رب الانسان ، الذى لا فضل له بغير عمله ، ولا خلاص له بغير ضميره وعقله .

وبعد الايمـــان بنبوات ، تقوم هدايتها على الخوارق والمعجزات ، أو على الوساطة فى تقـــديم القرابين ، أو على الحراسة من الأخطـــار والنقم ، جاء الاسلام بالنبوة التى تخاطب العقل والبصيرة ، ولا تعول على التهويل بالخوارق والأراجيف ، وعلم الناس أن النبى انسان مثلهم ، يبشر وينـــذر ، وليس بالمنجم ، الذى يكشف لهم عن الخبايا ، ويروعهم بالأعاجيب » (١٥) .

---

(١٣) أنيس منصور (مرجع سابق) ، ص ١١٨ .

(١٤) مقداد يالجن : الاتجـــاه الأخلاقى فى الاسلام (دراسة مقارنة) ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة الخانجى بمصر ــ ١٣٩٢ هـ ـــ ١٩٧٣ م ، ص ٦٤ .
الغـــرب والاســـلام :

(١٥) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ .

وهو ، عندما يخاطب العقل ، انما يخاطب كل عقل ، كما يخاطب أيضا كل عاطفة وشعور ووجدان •

وفى ظله نما الفلاسفة من أمثال ابن سينا والفارابى وابن رشد وابن مسكويه ، وغيرهم ، فكانوا فلاسفة مسلمين ، لهم منحاهم الفكرى الخاص ، وفى ظله أيضا ، نما العلماء الطبيعيون ، من أمثال ابن حيان وابن النفيس والخوارزمي وغيرهم ، من ذوى الاتجاه العقلى/التجريبى، بمتطلباته العقلية الخاصة • وهكذا نما (الانسان) — أيا كان اتجاهه العقلى والفكرى ، وأيا كانت (قدراته) الخاصة •

ومثلما وجد فيه (المقبلون) على الحياة ، من العلماء والفلاسفة وغيرهم ، حياتهم، وجد فيه (الذين ضاقوا) بالحياة بغيتهم ، بالرغم من أن الاسلام « بعيد الى حد كبير عن طريقة القسس والرهبان ، فى بيعهم وصوامعهم ، وسنة فقراء الهند وعبادهم ، فى ألمهم وعذابهم المستطاب• ومع هذا ، فكل دين يشتمل عادة بعباداته ونصائحه ، على قدر من التصوف ، لا يحتمل الشك » ، « ولو لم يكن فى طبيعة الاسلام ، ما يسمح بشىء من التصوف ما وجد التقشف الهندى ، والرهبنة المسيحية ، الى المسلمين سبيلا » (١٦) ، ولا كان أبو ذر الغفارى ، فى فجر التاريخ المبكر ، ولا كان أبو حامد الغزالى ، بعده بقرون عدة •

والأكثر من ذلك ، أن هؤلاء وهؤلاء ، يعيشون فى المجتمع الاسلامى الواحد ، وفى عصر واحد من عصوره ، فيجد المجتمع لكل منهم مكانا فيه ، ويكون كل منهم مكملا للآخر ، لا نقيضا له ، وهكذا ، « فتح الاسلام ما فتح من بلدان ، لأنه فتح فى كل قلب من قلوب أتباعه ، عالما مغلقا ،

---

(١٦) الدكتور ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه — الجزء الأول — من (مكتبة الدراسات الفلسفية) — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر — ١٩٧٦ ، ص ٦٢ •

تحيط به الظلمات ، فلم يزد الأرض بما استولى عليه من أقطارها ، فان الأرض لا تزيد بغلبة سيد على سيد ، أو بامتداد التخوم وراء التخوم ، ولكنه زاد الانسان أطيب زيادة ، يدركها فى هذه الحياة ، فارتفع به مرتبة فوق طباق الحيوان السائم ، ودنا به مرتبة الى الله » (١٧) ، سواء كان هذا الانسان ، الذى رفعه الاسلام ، على صفة نفسية أو نقيضها ، فقد جمع الاسلام « بين أبى بكر وعلى ، وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامة وابن العاص : كلهم عظيم ، وكلهم مع ذلك مخالف فى وصف العظمة لسواه » (١٨) .

وهكذا لا تكون (حياة الروح) ، بالمعنى الغربى للروح وحياتها ، هى مطلب الانسان فى القرن العشرين ، بعد أن وصل الى القمر ، وحقق ما حققه من انجازات ، ووصل فى حياته المادية الى ما وصل اليه من مستوى ، ولكن يكون المطلب ، هو الاسلام ، الذى تعنى (حياة الروح) عنده ، ارتفاعا بالانسان ، من حيث هو (انسان) ، بكل ما زوده الله به من امكانيات ومواهب وقدرات — الى أفق أعلى ، لا يقدر على توصيله اليه .. سواه .

الغرب والاسلام :

يقسم ألدوميلى العلم القديم الى ثلاث مجموعات كبيرة ، « يمكن جعلها مستقلة ، بعضها عن بعض :

(أ) علم الصين ، فى المشرق الأقصى .

(ب) علم الهند ، فى شبه جزيرة الكنج .

(جـ) علم حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو ذلك العلم ، الذى كان نموه عاملا على تحقيق نشأة العلم العالمى الحديث ، وهو يشمل

---

(١٧) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد (مرجع سابق) ، ص١٧٦ .
(١٨) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

حضارات مصر ، وما بين النهرين ، والاغريق والرومان » [١٩] .

والملاحظ فى هـذا التقسيم ، أن ألدومييلى يضم حضارة الاغريق والرومان الى حضارة مصر والعـراق ، ليبـدو الأمر كما لو كانت الحضارتان المصرية والعراقيـة ، حضارتين غربيتين ، بينما حقيقة الأمر، أن الحضارتين الاغريقية والرومانية ، مبنيتان على الحضارتين العراقية والمصرية — فقيمة الاغريق والرومان للحضارة الغربية ، أنهما هما اللذان نقـلا (حضارة الشرق) القديمة ، الى (التربة) الأوربيـة .

ومعروف تاريخيا ، أن التاريخ المدون بدأ فى مصر القديمة سـنة ٤٢٤١ ق٠م [٢٠] ، بينما هو بدأ فى الهنـد سنة ٣٠٠٠ ق٠م ، وفى الصين سـنة ٢٠٠٠ ق٠م [٢١] ، وبينما بـدأ عند اليـونان سـنة ٣٠٠٠ ق٠م [٢٢] ، وعنـد الرومان فى نفس التاريخ سنة ٣٠٠٠ ق٠م [٢٣] .

وحقيقة الأمر — من ثم — أن الحضارة فى جذورها حضارة شرقية، ولدت فى بلاد الشرق ، وعلى شواطىء أنهـاره ، ومنهـا انتقلت الى الغرب ، عن طـريق الاغريق ، ثم الرومان .

وقـد أخر الغرب فى دخول عصر الحضارة ، لولا الاغريق ، كهمزة وصـل بينه وبين حضارة الشرق ، ما غلب عليه منذ أقدم عصوره ، من (بدائية) ، لا زالت سـمته ، رغم تربعه على عرش الحضارة المعاصرة ، بل لقـد فرض على هـذه الحضارة المعاصرة ، هـذه (البدائيـة) أو (البداوة) ، فصارت الحضارة الغربية المعاصرة ، حضارة جافة مادية

---

(١٩) الدو مييلى : العلم عند العرب ، واثره فى تطور العلم العـالمى (مرجع سابق) ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢٠) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ٩٩ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

قاسية عليظة ، حتى صارت هى مصدر معاناته ، ومعاناة البشرية كلها من ورائه ، اليــوم .

وحتى عند الاغريق ، أكثر البلاد الغربيـــة القديمة حضـــارة ، كانت نظرة البداوة تلك ، تبدو فى أروع ما تركه مفكروهم من آثار ، فالثقافـــة الاغريقيـــة فى عمومهـــــا ، رفعت من شـأن المحـــارب والسياسى » (٢٤) ، ودفعت الاغريقى دفعا الى « أن يستخدم العبيد ، وغـــيرهم من النـــاس ، ليعتنوا بشئونه المـــادية ، بما فى ذلك ، ان استطاع ، العناية بأملاكه وأمواله ، وهـــذا التحرر وحده ، هو الذى يترك له الوقت الكافى ، للقيـــام بأعباء الحـــكم والحرب ، والأدب والفلسفة » (٢٥) .

بل ان واحدا من كبار مفكريهم ، وهو أفلاطون Plato (٤٢٧ — ٣٤٨ ق.م) ، « يندد باستعباد اليونان لليونان ، ولكنـــه فيما عدا هذا ، يقـــر الاسترقاق ، بحجـــة أن لبعض الناس عقولا غير ممتازة . وينظر أرســطو الى العبـــد ، على أنه آلـــة بشرية » (٢٦) ، مع أن التقـــدير « المتوسط لعدد الأرقاء فى أثينا ، عند نهـــاية القـــرن الرابع ق.م ، هو حوالى أربعمائة ألف رقيق ، مقابل حوالى مائة ألف مواطن حر ، أى أن كل مواطن حـــر ، كان يستمتع بعمـــل أربعة أرقاء ، فى المتوسط » (٢٧) .

أى أن (البداوة) كانت هى السمة الغالبة ، على أرقى شـــعوب الغرب القـــديم ، وهو شعب الاغريق ، الذين يصفهم جـــون ديوى

---

(٢٤) جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى — ترجمة وتقـــديم راشد البراوى — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٢ ، ص ١٨ .

(٢٥) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الثانى (حياة اليونان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٦٣ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢٧) جمهورية افلاطون — ترجمة ودراسة الدكتور فؤاد زكـــريا — راجعها على الأصل اليونانى : الدكتور محمد سليم سالم — الهيئة المصرية العـــامة للكتاب — ١٩٧٤ ، ص ٨٨ (من الدراسة) .

مثلا بأن « روحهم الانسانية كانت وطنيـــة وقومية ، ولكنها كانت ضيقة فى نظرتها ، فقد كان كل انسان ، خارج الدائرة الهلينيسية ، يعتبر بربريا متخلفـــا » [٢٨] — وبالتالى يجوز استعباده .

ومثلما دخل الاغريق مع الآخرين هـــذا (المدخل) النكد ، فحاولوا فرض (بصمتهم) عليهم ، كما حدث فى مصر على سبيل المثـــال ، التى فرضوا عليها لغتهم وثقافتهم ، تمامـــا كما فعل الاستعمار الغربى فى العصر الحديث ، حيث جعلوا « الاغريقية فيهـــا » ، « لغـــة الدولة الرسمية ، ولغة الصلاة والتأليف ، ولغة التفاهم بين الطبقات الراقية من المصريين » [٢٩] ، لولا أن المصريين صمدوا لهذا (الغزو) الثقافى ، « وكان سبب هذا الاخفاق ، أن المصريين فى خارج الاسكندرية ، عضوا بالنواجـــذ على دينهم ، وعلى لباسهم أو زيهم ، وعلى أساليبهم التى ورثوها من أقدم الأزمنة » [٣٠] — مثلما دخل الاغريق مع الآخرين هـــذا المدخـــل النكد ، (غازين) ، دخلوا مع الغـــير عندما غلبوهم (مغـــزوين) ، كمـــا حـــدث مع الرومان ، الذين عاملوهم « كأنداد سياسيين ، ثم كعبيد » [٣١] ، عندما سقطت بلاد الاغريق كلها ، فى يد الرومان .

واذا كانت هـــذه (البدائية) أو (البداوة) ، التى تبدو فى سياسة (غالب) أو (مغلوب) ، هى ســـمة الاغريق ، الذين يحب الغربيـــون

---

(28) **DEWEY, JOHN : Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education** ; The Macmillan Company, **New-York, 1916, p. 337.**

(٢٩) سليمان نسيم : **تاريخ التربية القبطية** — باشراف دكتور ابو الفتوح رضوان — تقـــديم دكتور باهـــور لبيب — دار الكرنك ، للنشر والطبع والتوزيع — القـــاهرة — ١٩٦٣ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٣٠) ول ديورانت : **قصة الحضارة** — الجزء الثـــالث ، من المجلد الثانى (حياة اليونان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٤ ، ص ٧٨ .

(٣١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : **الثقافة والتربية** ، فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعـــارف بمصر ١٩٦١ ، ص ٣٤٣ .

المعـــاصرون ان ينتســـبوا اليهم ، ويحبـــون أن ينســـبوا حضارتهم الغربية المعاصرة اليهم ، لا الى الحضارة الاسلامية ، التى بنيت عليها ، وقامت فوقها فى حقيقة الأمر ، فكيف يكون الحـــال بالنســـبة للشعوب الغربيـــة الأخرى — غير الاغريق ؟

لقـــد كان الحـــال أسوأ ، وأشد ايلاما ، وأكثر بربرية وبداوة .

ولم يكبح جماح أوربا البدوية البربرية ، سوى (سيطرة) الرومان عليها ، وفرضـــهم الارادة الامبراطورية الشابة على هؤلاء البرابرة ، الذين ما تعودوا أن يعيشوا ، الا غالبين أو مغلوبين .

وقـــد أدى ضعف الامبراطورية الرومانية ، وسقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب سنة ٤٧٦ م ، الى قيـــام « عدد من الممالك الجرمانية الجديدة ، التى أقامها بعض شـــعوب البرابرة ، مما أدى الى انكماش الحضارة الرومانية تدريجيا ، من ايطاليا وغاليا (فرنسا) وانجلترا ، وغيرها من البـــلاد التى خضعت للرومان ، أيام سطوتهم » (٣٢) ، مما كان فرصة ، يهرب فيها الناس من الدنيا ، التى صاروا فيها — بالفعل — مغلوبين ، الى « أديرة الرجال والنساء » ، مما « يوحى الينا ، بمـــا كان يسود ذلك الوقت ، من اضطراب ، واختلال أمن ، وعنف ، أوفت على الغاية » (٣٣) ، ومما كان فرصة سانحة ، لانتشار المسيحية ، التى ظلت تتعثر على الطريق ، قرابة أربعـــة قرون من الزمان .

ولولا هـــذا (القلق) الذى أوجده تفكك الامبراطورية الرومانية ، ما أتيح لهـــا أن تنتشر على النحو الذى انتشرت به ، فى أوربا .

---

(٣٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٣ ، ص ٣٧ .

(٣٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـــزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) (مرجع سابق) ، ص ١ .

ومرة ثانية ، ما كان لهـذه المسيحية أن تعيش بين الناس فى هـذا الجـزء من العـالم ، لولا ما (فرضته) عليهم من قوانين وأنظمـة ، يعيشون (تحت) لوائها ، قبلوها رغم أنوفهم ، والكنيسة قوية ، قادرة على أن (تسيطر) على الناس •

وكانت بداية (التمـرد) الأوربى على الكنيسة ، هى ظهـور الاسلام ، وانتشار فكره وثقافتـه ، حتى لقـد « بدأ يغـزو المجتمع الغربى ، الذى تحكمه الكنيسة ، وتتحكم فيه ، منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، من خلال طلاب العلم الكثيرين ، الذين فتحت لهم جامعـات الأندلس الاسلامية أبوابها ، فعادوا الى بلادهم ، رسلا للاسـلام وحضارته ، وجنودا محاربين ، ضـد الكنيسة ونظامها » (٣٤) •

ولم تقف الثورة على الكنيسة / النظام فى الغرب ، عند حد الانسان الغربى ، بل لقد انتقل الأمر الى داخل الكنيسـة ، متمثلا فى رجالهـا أنفسـهم ، من أمثال « ويكليف Wycliff (١٣٢٤ — ١٣٨٤) فى انجلترا ، وهس Huss (١٣٧٣ — ١٤١٥) فى بوهميـا ، وارازمس Erasmus (١٤٦٧ — ١٥٣٦) — أشهرهم جميعا » (٣٥) — وأخيرا من خلال مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ — ١٥٤٦) فى ألمـانيـا ، ملك الاصلاح الدينى ، وزعيمه المتوج بلا منازع •

وقـد أدى ضعف سلطان الكنيسة — بالاصـلاح الدينى — الى (تمـرد) الانسان الأوربى مرة ثانية ، تماما كما حدث له بعد ضعف الدولة الرومانية ، حيث « تختفى ألوهية المسيح ، لتحل محلها ألوهية الانسان » (٣٦) ، على حد تعبير ألبير كامى •

---

(٣٤) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجـع سابق) ، ص ١٣٣ •
(٣٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ •
(٣٦) البير كامى : المتمـرد — ترجمها من الفرنسـيـة : عبد المنعم الحفنى — مطبعة الدار القومية ، ص ١٨٦ •

وبألوهية الانسان ، التى هى مطلب للانسان الأوربى من أقـــدم عصوره ، وصل الانسان ، الى طريق مسدود ، لا يجد فيه نفسه الها كما أراد ، ولا يستطيع أن يحافظ على ذاته ـــ مجرد ذات انسانية ، قادرة على أن (تحقق) ذاتها ، وتستمتع بحياتها ، كما استمتع بها الانسان ، منذ أقـــدم أيام حياته على الأرض ـــ على نحو ما سبق فى هـــذا الفصـــل (٣٧) .

يضاف الى ذلك ، أن الانسان الغربى ، بفضل تقـدمه العـــلمى والتكنولوجى ، لم يبـــد انسانا ، بل صار ـــ بسبب هـــذا التقـــدم ـــ يقف مواقف « لا تقفها الحيوانات ، ولا الحشرات ، فهـــو أحط منها ، وليس ثمـــة مدنية ولا علم ، بل جهل وتوحش » (٣٨) ، على حـــد تعبير جمال الدين الأفغانى ، « فهل رأينا غير مدن كبيرة ، وأبنية شامخة .. »، « ثم ، هـــل غير التفنن باختراع المدافع السريعة ، والمدمرات والقذائف، وباقى المخربات القاتلات للانسان ؟ » .

« فالرقى والعلم والتمدن ، على ذلك النحو ، وفى تلك النتيجة ، ان هو الا جهل محض ، وهمجية صرفة ، وغاية التوحش ؟ !

وعندى (والكلام لجمال الدين الأفغانى) أن الانسان اليوم ، أحط درجة من انسان الجاهلية ، حتى ومن الحيوان الناهق ، لأنه ربما يكون للانسان فى دوره الأول ، وفى حروبه الوحشية ، وعوامل الجاهليـــة ، معـــذرة فى طلب الحاجيـــات للحيـــاة ، بســـهم وقـــوس وسيف وســـمهرى » (٣٩) .

لقـــد أدى (تفـــوق) الانسان الغربى ، من خلال تقـــدمه العلمى

---

(٣٧) ارجع الى ص ١٧٨ ـــ ١٨٣ من الكتاب .
(٣٨) الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره (مرجع سابق) ، ص ٤٣٢ .
(٣٩) المرجع السابق ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

والتكنولوجى ، الى أن صارت (بدائيته) المعهودة ، تملك أدوات القتل الجماعى والتدمير ، وبذلك (انهار) اطاره الخلقى تماما ، فكانت الحربان العالميتان ، الأولى والثانية ، حربين عالميتين مدمرتين ، بسببه ، وبسبب رغبة السيطرة العميقة فى نفسه ، فكان « أسوأ ما قاد أوربا والعالم معها ، الى ذلك المصير المحزن ، هو بلا شك الخراب الأخلاقى ، الذى ران على وجوه الحياة ، السياسية والاجتماعية والفردية ، لدرجة لم يستطع معها رباط المسيحية ، بين الدول المتحاربة ، أن يزعها عن التحارب ، أو التخارب ، ان صح التعبير . ولم يكن الحلفاء فى مواجهة هتلر والنازية ، بأحسن حالا من الوجهة الأخلاقية ، فانهيار فرنسا أمام الزحف النازى فى يوم وليلة ، انما كان انهيارا أخلاقيا فى جوهره ، كما لاحظ ذلك بحق المارشال بيتان ، رئيس الجمهورية الفرنسية ابان الاحتلال ، فى رسالته التى وجهها الى ضمير الأمة الفرنسية ، صبيحة الهزيمة أو عشيتها » [٤٠] .

واذا صح ما يذهب اليه توفلر ، من أن الأسرة فى الغرب مهددة — بعد ثورة ما بعد التصنيع — بالانقراض [٤١] ، فان نهاية الانسان الغربى ، تكون قد أتت — بالفعل — على يديه ، بعد أن فشلت الحربان العالميتان الماضيتان فى الوصول به الى هذه النهاية ، وان قربتاه منها ، بتقسيمهما العالم ، « الى أسود وأبيض ، ومذنبين وقديسين ، وشيوعيين ومؤمنين ، أو الى مجرد غبى وذكى » [٤٢] ، وهو تقسيم فرضته على الغرب ، حياته الخاصة ، ونمط تفكيره الخاص به هو ، دون سواه [٤٣] .

---

(٤٠) دكتور محمد عبد الله دراز (مرجع سابق) ، ص ك و (من كلمة المعرب) .

(٤١) الفين توفلر : صدمة المستقبل (المتغيرات فى عالم الغد) — ترجمة محمد على ناصف — تقديم الدكتور احمد كمال ابو المجد — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ ، ص ٢٤٩ .

(٤٢) نورمان بريل : بزوغ العقل البشرى — ترجمة وتقديم اسماعيل حقى — مكتبة نهضة مصر ومطبعتها — ١٩٦٤ ، ص ١٨٦ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

أفلا يكون منطقيا ــ والحال هــذه ــ أن يتجه التفكير فورا الى الاســـلام ؟

وهل يكون مستغربا أن يكون الاقبال على الاسلام اليوم ، فى بلاد الغرب ، اقبالا عاما ، وأن يكون هــذا الاقبال أكثر عمومية ، فى البــلاد الأكثر عداوة بطبعها للاسلام ، كفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة ؟

وهل يكون مستغربا أن تنتقل (عدوى) الاقبال عليه ، من البــلاد الرأسمالية العتيدة فى عداوتها للاســلام ، بسبب الصليبية المسيطرة عليها ، الى البلاد الشيوعية ، التى يعد الاسلام عدوها الأول ، والتى تعمل فيهــا لجــان (التلحيد) منــذ تفجر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وجل جهدها متجه ــ منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ــ الى شباب المسلمين خاصة ؟

ان « الاسلام ، هو الآن الوحيد ، من بين الأديان الكبرى ، الذى لا يزال ينمــو ويمتد ، وينتشر الى مناطق ومجتمعات جديدة ، كما هو الحال فى انتشاره فى الوقت الحالى » ، « بل انه يغزو الآن ، وبغير حد السيف ، مجتمعات أخــرى ، أكثر تقــدما ورقيا ، أو على الأصح ، قطاعات معينة ، من تلك المجتمعات ، كما هو الشأن فى أمريكا » • « وحتى فى البلاد الشيوعية ، نجد أن الاسلام لا يزال قائما ، رغم كل القيــود المفروضة على العبادات ، ولا زلنــا نجــد أن المسلمين فى الاتحــاد السوفيتى ، يأتون من حيث العدد ، فى المرتبة الخامسة لأعدادهم فى بقية أنحــاء العالم (بعد أندونسيا والهند وباكستان وبنجلادش) •• وممــا له دلالته أيضا فى هذا الصدد ، أن ذلك التقدم والانتشار (أو الغزو) ، يحدث الآن ، فى وقت تعــانى فيه الشعوب الاسلامية ذاتها ضعفا ظاهرا ، فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، على السواء ، مما يسقط

بالضرورة حجة القــائلين باعتماد الاسلام فى انتشاره، على حد السيف وحــده » (٤٤) •

ويرى المرحوم عباس العقاد ، أنه « انتهى الاسلام فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد ، الى نهاية جزره ، من القــوة النفسية والقــوة المــادية ، لأنه تلقى عن القــرون الأربعة السابقة ، أثقــالا من المتاعب والأدواء ، لم تمتحن أمة من قبله بمثلها ، وكان بعضها كافيــا للقضــاء على دولة الرومان الشرقية ، ودولتهم الغربية ، وبعضها كافيا للقضاء على دول الفراعنة والأكاسرة ، فى الزمن القــديم » •

« ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الاســلام ، بعــد ما تلقــاه من الضربات ، منذ القــرن العاشر ، الى القــرن التاسع عشر للميــلاد ، وانمــا الغريب عندهم ، هو تلك القوة المنيعة ، التى صابر بهــا الكوارث والشدائد ، زهاء تسعة قرون ، ولم يزل بعدها (وحدة انسانية) هائلة ، تتخذ مكانها بين هيئات الأمم ، ولا تزال على أمل وثيق فى المزيد » (٤٥) من الانتشار والاتساع ، حتى فى داخل الأرض ، التى أعلنت عليه الحرب فيها هذه الفترة الطويلة — أرض الغرب ، الحاقد على كل حق ، فكان حقده على الاسلام دوما ، هو الحقد الأشد •

---

(٤٤) د. احمــد ابو زيــد : « التجــربة الاسلامية — تمهيد » — **عالم الفكر** — مجلة دورية ، تصدر كل ثلاثة اشهر ، عن وزارة الاعلام فى الكويت — المجلد العاشر — العدد الثانى — يوليو — اغسطس — سبتمبر ١٩٧٩ — عدد ممتاز ، عن (التجربة الاسلامية) ، ص ٢٨٩ •

(٤٥) عباس محمود العقاد : الاسلام فى القــرن العشرين (مرجــع سابق) ، ص ٤٤ ، ٤٥ •

الاســـلام والشرق :

للشرق مع الأديان قصـــة طويلة ، هى قصة الشرق ذاته — قصته مع الأرض التى عاش أبناؤه عليها ، وقصته مع « الحضارة » التى سبق اليهـــا ، ليعيش فوق هـــذه الأرض .

وقـــد كان الشرق فى ذلك كلـــه سباقا ، لأن « البيئة الســـهلة » ، التى عاش فيها ، على حد تعبير الدكتور جمال حمدان — هى « حضانة الحضارة ، ومشتل التاريخ ، وهذا تفســـير مقنع للسبق المصرى ، دون حتم جغـــرافى ، أو نظـــرية عنصرية فى نفس الوقت . ولكن التخلف الحضـــارى ، الذى حـــل بعد ذلك ، انما يجىء ليكمل الشطر الثانى من القانون ، وهو أن الذى يصعد بعد ذلك بالحضارة الى أعلى مراتبها ، وأعقد مراحلها ، انما هى البيئات « الصعبة » ، التى يزداد فيها تحـــدى الطبيعة للانسان ، ولا يمكنه أن يقتحمها الا بالمفتاح الحضارى المناسب ، الذى طورته البيئات السهلة من قبل ، وقدمته هدية أو اعارة له . أى أن الانسان يغزو البيئات الصعبة ، بحضارة البيئات السهلة » (٤٦) .

واذا كانت الحضارة عند اشبنجلر ، هى « النقطة الواحدة ، التى يسمو عندها الانسان بنفســـه ، فوق قوى الطبيعة » (٤٧) ، واذا كانت « تولد ، فى اللحظة التى يستيقظ فيها روح كبيرة ، وتنفصل هذه الروح عن الروح الأوليـــة للطفولة الانسانية » (٤٨) ، فان الفكرة « الدينية » قـــد ولدت فى النفس ، قبل أن تولد الحضارة ، فقد كان مولد الدين فى المجتمعات الشرقية القديمة ، هو « المؤدى » — فى النهـــاية — الى مولد الحضـــارة ، فتجارب التاريخ « تقـــرر لنـــا أصالة الدين ، فى جميع حركات التاريخ الكبرى » ، « ويقـــرر لنـــا التـــاريخ ، أنه لم يكن قط

---

(٤٦) دكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان — المجلد الثانى — عالم الكتب — سبتمبر ١٩٨١ ، ص ٤٥٢ .

(٤٧) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٢٢٧ .

(٤٨) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجـــزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١٢ (من مقدمة المترجم) .

لعـــامل من عوامل الحركات الانسانية ، أثر أقوى وأعظم من عامل الدين، وكل ما عداه من العـــوامل المؤثرة فى حركات الأمم ، فانما تتفاوت فيـــه القـــوة بمقـــدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة فى التمكن من أصالة الشعور ، وبواطن السريرة » (٤٩) ••

واذا كان (محور) العقيـــدة الدينية ــ فى أى دين ــ هو (فكرة الألوهيـــة) ، أو فكرة (البحث عن الاله المعبود) ، فالملاحظ أنه « يكاد الناس يتفقـــون جميعا فى تصوراتهم الأولى للآلهـــة •• ولا عجب فى هـــذا ، اذا كان الانسان هو الانسان البدائى فى كل مكان ، حيث كانت ظروف الحياة هى هى ، فى كل مكان » (٥٠) ، ومن ثم « كانت طقـــوس العبادة فى مصر وبابل متشابهة » ، « أما شعوب الفرس والصين والهنـــد فكانت تقـــدس الضـــوء والنـــار والمـــاء ، ويعبدونها على أنها كائنات الهيـــة » ، « وكان بعض المجوس يغالى فى عبادته للنـــار ، باحـــراق نفسه فيها ، لينـــال المغفرة الكبيرة ، حسب توهمـــه » (٥١) •

أما « أثبت العبادات وأعمقها وأقواها وأبقاها الى آخر العصور » ، فى مصر ، عند عباس محمود العقاد ، « فهى عبادة الموتى والأســـلاف دون مراء ، فان عنـــاية المصرى بتشييد القبـــور ، وتحنيط الجثث ، واحياء الذكريات ، لا تفوقها عناية شعب من الشعوب » (٥٢) •

واستجابة لبحث الانســـان الشرقى عن دين ، كان لابد أن تتنزل ديانات السماء •

---

(٤٩) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه (مرجع سابق) ، ص ١٩ ، ٢٠ •

(٥٠) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضـــوعا (مرجع سابق) ، ص ٧٨ •

(٥١) خليـــل طاهر : الأديان والانســـان ، منـــذ مهبط آدم ، حتى : اليهودية ــ المسيحية ــ الاسلام ــ قدم له وراجعه : فضيلة الامام الأكبر ، الشـــيخ عبد الحليم محمـــود ــ دار الفكر والفن ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ١١٨ ، ١١٩ •

(٥٢) عباس محمود العقاد : الله ــ مطابع الأهرام التجارية ــ ١٩٧٢ ، ص ٤٣ ، ٤٤ •

ولأن ديانات السماء ديانات يغلب عليها (الطابع التجريدى) ، كان لابد أن تتأخر هـــذه الديانات فى نزولها ، حتى (يرتقى) الانســـان ، ويكون قادرا على أن (يتحول) من الأفكار الدينية (المحسوسة) ، الى الأفكار الدينية (المجردة) •

ولأن الشرق كان هو (الأرض الصالحة) ، الممهدة لتلقى هــــذه الأفكار الدينية السماوية ، كان الموضع المختار ، لكل ما نزل من السماء من ديانات •

وفى الشرق أيضا ، وفى القلب منه ، نزلت ديانات السماء الكبرى ، اليهــودية ، فالمسيحية ، فالاسلام •

ولأن اثنين من هـــذه الديانات السماوية الباقية بيننا اليوم ، نزلا الى اليهود دون غيرهم ، هما اليهودية والمسيحية ، أملا فى اصلاح حالهم ، كان لابد أن يتنزل الدين الثالث ــ والأخير ــ على غيرهم ، بعد أن فشلت كل الرسالات وكل الرسل ، فى اصـــلاح هـــذا الحـــال ــ فبدلا من أن (يرتقى) اليهود الى مستوى الدين الذى نزل عليهم ، (هبطـــوا) بهـــذا الدين الى مستواهم هم ، حتى صار غير دين على الإطلاق •

ومرة أخرى ــ وأخيرة ــ نزل الدين الثالث ــ الخاتم ــ الاسلام ــ فى الشرق •

وفـــرق واضـــح ، بين دين كالمسيحية ، لم يجد لنفسه (أرضا) يسكنها ، الا بعد قرابة أربعمائة عام من الزمان ، بعيدا عن الأرض التى نزل اليها ، وبعد أن عدل نفسه ــ عبر سلسلة طويلة من المجامع (٥٣) ــ لنجد المسيحية ــ فى النهاية ــ « لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها » (٥٤)،

---

(٥٣) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجـــع سابق) ، ص ٨٧ ــ ٩٤ .

(٥٤) ول ديورانت : قصـــة الحضارة ــ الجـــزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) ــ ترجمـــة محـــمد بدران ــ الادارة الثقافية ، فى جامعـــة الدول العربيـــة ــ لجنـــة التاليف والترجمة والنشر ــ ١٩٥٥ ، ص ٢٧٥ .

حتى « أن المسيحية ، كانت آخر شىء عظيم ، ابتدعه العالم الوثنى القديم » (٥٥) — فى نظر أى باحث منصف — فرق واضح بين هذه المسيحية ، وبين الإسلام ، الذى تقبله الشرق كله تقبلا ، لم يفتح صدره لمثله ، حتى صارت « السرعة العظيمة ، التى تم بها انتشار دين النبى العربى فى العالم ، ظاهرة من أكثر ظواهر تاريخ الأديان اثارة للدهشة والاستغراب ، فقد ظلت المسيحية طوال قرون ، تخفى نفسها فى الزوايا والمنعطفات ، والى أن استطاعت أن تمتص وتتمثل الوثنية ، وحتى دخل فى حظيرتها ملك نصف وثني ، ساعدها بأن تطبق بعض أهدافها وقراراتها — الى ذلك الحين ، وليس قبله ، غدا بوسعها أن ترفع رأسها ، بين مذاهب العالم . أما الاسلام ، فخلال فترة لا تتعدى الثلاثين سنة ، بعد موت معلمه الأكبر ، شق لنفسه طريقا راسخا ، بأن نفذ الى قلب الملايين من الناس .

وقبل أن ينقضى قرن واحد ، كان صدى وحى غار حراء ، يزحف بعيدا بعيدا ، عبر قارات ثلاث » (٥٦) .

ويرى الدكتور محمد حسين هيكل ، أن « قيام امبراطورية بهذه السعة ، فى هذا الزمن القصير ، معجزة لذاته . لكن من حوادث التاريخ ، ما يشبه هذه المعجزة .. وحسبنا أن نشير الى حروب الاسكندر ، والى حروب المغول ...

امتدت حروب الاسكندر ، مشرقة من مقدونيا الى الهند ، وتناولت مصر . وامتدت حروب المغول غربا ، من قلب الصين الى أوربا . لكن حروب الاسكندر ، وحروب المغول ، لم تكد تنتهى ، حتى تناثر عقد الامبراطورية ، التى نشأت بسلطانها ، وعادت الدول التى انتظمها الغزاة ، الى نظامها الأول .

---

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٥٦) سيد أمير على : روح الاسلام (مرجع سابق) ، ص٢٣٢ ، ٢٣٣ .

أما الامبراطورية الإسلامية ، التى مدت لواءها فى هـذا الزمن القصير ، على هـذا الجانب الكبير من العـالم ، فقد استقرت قرونا ، امتدت فى أثنائها الى الأندلس ، وانتشرت فى الهند ، وأظلت جانبا من الصين ، وهى الى ذلك ، قـد أقامت حضارة ، سادت شئون العـالم ، كل هـذه القرون . فلما آن للامبراطورية الاسلامية أن تنحل ، بقيت هذه الحضارة ، تناضل عن نفسها ، وهى اليوم تبعث من جديد » (٥٧) .

ويلفت نظر السير توماس أرنولد ، أن « عدم وجود أى لون من ألوان الكهنوت ، أو أية هيئة دينيـة منظمة ، أيا كانت ، قـد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين ، يتجلى فى صور مختلفة تمـام الاختلاف ، عن تلك التى تظهر فى تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية » (٥٨) ، فقد وقـع العبء ، « على كواهل المؤمنين من الأفراد » (٥٩) أنفسهم ، « بل لقـد قام النساء المسلمات أيضا ، بنصيبهن فى هـذه المهمة الدينية ، فيرجع الفضل فى اسـلام كثـير من أمراء المغول ، الى تأثير زوجة مسلمة ، ولا يبعد أن يكون مثل هـذا التأثير ، سببا فى اسلام كثير من الأتراك الوثنيين ، عندما كانوا قـد أغاروا على الأقطار الاسلامية » (٦٠) .

ولا يقف الأمر عنده ، عند الرجل والمرأة ، حرين فى مجتمعهما ، بل انه « حتى المسلم الأسير ، يغتنم الفرص والمنـاسبات ، لدعوة آسريه أو اخوانه فى الأسر ، الى دينـه . وقـد تسرب الاسـلام الى أوربا الشرقية أول الأمر ، بفضل ما قام به فقيه مسلم ، سيق أسيرا ، ربمـا فى احـدى الحـروب التى نشبت بين الدولة البيزنطيـة ، وجيرانها المسلمين » (٦١) .

---

(٥٧) الدكتور محمد حسين هيكل (مرجع سابق) ، ص ١٥ ، ١٦ .
(٥٨) سير توماس و. ارنولد (مرجع سابق) ، ص ٤٤٩ .
(٥٩) المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .
(٦٠) المرجع السابق ، ص ٤٥١ .
(٦١) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

ولا ننسى هنـــا دور التاجر المسلم فى نشر الاســـلام ، فلم تكن الوسيلة التى نشرته هى « أجنحة الملائكة ، ولا كانت قوة من جهنم » ، على حد تعبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى » ولغما « ظل الاســـلام ينتشر ، ولم يكن يحمـــله الا التـــاجر ، كمـــا كان ينتشر وحامله الجيش » (٦٢) .

على أن الجيش لم ينشر الاســـلام ، بدليـــل أن « الاسلام انتشر فى بلاد ، لم تصل اليها جيوش اسلامية ، مثل الحبشة ، وشرق أفريقية وغربها ، والصين ، وشبه جزيرة الملايو ، وجزر الهند الشرقية ، والفلبين ، وغيرها ، ومن الثـــابت أن الاســـلام وصـــل الى هــذه البــلاد ، مع التجـــار » (٦٣) .

انهـــا (روح الاســـلام) ، كما فهمها المسلمون ، وكما يجب أن يفهموها ، على نحو ما وضحناها فى الفصل الأول من الكتاب (٦٤) ، حيث رأيناه ينقل ــ لأول مرة فى تاريخ الفكر الدينى ــ (المبـــادرة) ، من الله سبحانه ، الى (الانسان) ، وبهـــا صار كل انسان ــ فى الاسلام ــ (مسئولا) أمام الله عما يفعل ، بعد أن عاش قبله يسيره غيره الى حيث يريد هـــذا الغير ، ويحب ــ أيا كان هـــذا الغير .

أما لمـــاذا (بقى) الاسلام ، و (زالت) امبراطورية الاســـكندر وامبراطورية المغول ، فان ذلك مرده الى أن الناس (أقبلوا) على الاسلام طائعين مختارين ، سعداء به ، مستعدين (للتضحية) فى سبيله ، بينما

---

(٦٢) مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم ــ الجزء الثالث ــ الطبعة السابعـــة ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ القـــاهرة ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٦٣) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : « الاسلام والتعريب » ــ **عالم الفكر** ــ مجلة دورية ، تصدر كل ثلاثة أشهر ، عن وزارة الاعلام فى الكويت ــ المجلد العاشر ــ العدد الثانى ــ يوليو ــ أغسطس ــ سبتمبر ١٩٧٩ ــ عدد ممتاز ، عن (التجربة الاسلامية) ، ص ٤٦٢ .

(٦٤) ارجع الى ص ٢٨ ــ ٣٠ من الكتاب .

(فرض) الآخرون أنفسهم عليهم ، وفرق بين نظام (يفرض) نفسه على الآخرين ، ونظام يقبل عليه الناس (راضين) .

يضاف الى ذلك ، أن الاسلام يأمر أتباعه بأن يكونوا هم (السابقين) على طريق العلم والحضارة ، ومن ثم شان « المسلمين ، خلال مائتى سنة فقط من الهجرة النبوية ، كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم — بغداد — عاصمة العالم الحضارية ، بدلا من اصطخر الايرانية ، ورمسيس المصرية ، وروما الأوربية »[٦٥] ، كما « أنشأ العرب أسواقا حديثة فى الأندلس ، وأناروا الشوارع ، وأثرياؤهم كانوا يبردون بيوتهم بأنابيب المياه والنافورات ، بينما كان الناس فى طرق أوربا ، يتخبطون فى الوحل نهارا ، والظلام ليلا . لقد كانت البلاد الاسلامية مليئة بالمستشفيات والمكتبات العامة والمدارس ، التى تدرس كل شىء ، من علوم الدين والرياضيات والطب والفلسفة »[٦٦] .

أى أن الاسلام بقى حيث دخل ، لأنه تحول الى (حياة) تعاش ، وبذلك قلب — بالفعل — حياة الناس ، من حال الى حال — فكان لابد أن يشد عليه الجميع بالنواجذ .

وعندما طورد الاسلام فى الأندلس ، كان (الموتورون) لا يعرفون المسلمين ، الا من خلال مظهرهم النظيف ، وبيوتهم النظيفة ، وشوارعهم النظيفة أيضا — اضافة الى فصاحتهم ، وارتفاع مستواهم الثقافى على وجه العموم .

واذا كان الشرق هكذا مهد الأديان منذ كان ، ومن أقدم عصوره ، سواء فى ذلك الأديان الوضعية وديانات السماء ، واذا كان الله سبحانه — لذلك — قد اختاره (مهبطا) لآخر ديانات السماء ، وأخلدها وأبقاها

---

(٦٥) وحيد الدين خان : المسلمون ، بين الماضى والحاضر والمستقبل (مرجع سابق) ، ص ٧ .
(٦٦) المرجع السابق ، ص ١٠ .

حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، على نحو ما سبق [٦٧] ، فهل تنتقل (شعلة) الاسلام الى الغرب ، بعد اقبالته الواضحة على الاسلام ، سواء من الغربيين أنفسهم ، أو من المنتقلين الى الغرب ، من ذوى (الجذور) الشرقية ، على نحو ما سبق أيضا [٦٨] ، خاصة وأن الاسلام قد صار يطارد فى بلاد الشرق نفسها حيث نزل ، كما سبق فى نهايات الفصل الثانى ؟ [٦٩] .

وأغلب الظن ، أن الاسلام ، ستظل (شعلته) فى الشرق . حيث نزل لحكمة أرادها ربنا فيه ، وأن الأحوال من حوله ستتعدل وتتبدل ، ليعود اليه اشراقه من جديد ، وليعود الشرق كما كان دوما ، مهبطا للحضارات ، وموردا لها الى كافة أنحاء المعمورة ، بالرغم من (الواقع) المؤلم الذى يعيشه الاسلام والمسلمون فيه اليوم .

ان (الأخذ والرد) من حول الاسلام ، ومن يتصدى لحمله اليوم ، فى داخل العالم الاسلامى ، لهو (المخاض) ، الذى لابد أن يؤدى الى مولد الاسلام من جديد — اسلام القرن العشرين ، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ، لو أن العمر طال به ، وأدرك هذا القرن العشرين ، بكل متغيرات الحياة فيه .

طريق المستقبل :

أقبل الغربيون على الاسلام فى القرن العشرين يوم أقبلوا ، بعد أن ضاقت بهم الحياة ، سواء فى ظل الكنيسة الكاثوليكية ، أو بعد تحررهم منها ، واندفاعهم فى طريق البروتستانتية ، ثم الرأسمالية ، حيث وصل الغرب الى درجة من التقدم والازدهار ، لم يكن ليحلم بها

---

(٦٧) ارجع الى ص ١٩٦ وما بعدها من الكتاب .
(٦٨) ارجع الى ص ١٩٢ ، ١٩٣ من الكتاب .
(٦٩) ارجع الى ص ٨٤ وما بعدها من الكتاب .

الانسان فيه . في يوم من الأيام — بعد أن حشد الغرب « نفسه لمقاومة دخول الاسلام الى الغرب ، وبدأ يثير الشبهات حوله ، ويقوم بحملة مضادة ، هي ما تولى به الاستشراق أمره ، لتزييف مفاهيم الاسلام ، لدى المسلمين أنفسهم ، وهو ما قام به الغرب ، بعد أن أتيح له الزحف الى بلاد المسلمين » ، وخاصة من خــلال ارساليات التبشير ، « التى زحفت على بلاد الاسلام ، واستقرت فى لبنان ، ومنهــا امتدت الى استنبول والقاهرة ، وكل بلاد المسلمين » (٧٠) .. ثم وصلت أخيرا الى جنوب شرق آسيا ، وخاصــة فى أندونيسيا ، متسللة من خلال قيادة أندونيسيا السياسية .

وقــد بدأت (مدارس الارساليات) ، دورها « بعــد الحمــلة الفرنسية مباشرة » (٧١) ، وذلك حتى يتمكن الغربيون من الوصول الى ما فشلوا فى تحقيقه ، من خلال الحروب الصليبية ، حيث « عزموا على أن يفسدوا حياة الشرق القومية والاقتصادية ، ويفككوا عرى وحــدته الوطنية ، ويخمدوا جذوته الروحية ، حتى يصبح الشرق بين أرجلهم ، اشــلاء لا تستطيع حراكا » (٧٢) — أو حتى يكونوا هم (الغالبين) ، فى معركتهم ضــد الاسلام ، الذى كان هــو (الغالب) فى كل معركة خاضوها ضــده .

ومما يلفت النظــر ، أن المبشرين اليسوعيين (أتبــاع الكنيسة البروتستانتية) ، اضطروا الى التفكير فى اصلاح الكنائس الأخرى ،

---

(٧٠) انور الجندى : الاسلام والغرب — دار الاعتصام بالقــاهرة — ١٩٧٦ ، ص ٧٢ .

(٧١) انور الجندى : التربية ، وبنــاء الأجيال ، فى ضــوء الاسلام — رقــم (١٦) من (الموسوعة الاسلامية العربيــة) — الطبعة الأولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٢١ .

(٧٢) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتــور عمــر فروخ : التبشــير والاستعمار فى البــلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق للاســتعمار الغــربى — الطبعة الخامسة — ١٩٧٣ ، ص ١٦٦ .

غير البروتستانتية ، وفى التوحيد بينها وبين غيرها من الكنائس ، « ليستطيعوا أن يستعينوا بها فى آخر الأمر ، على التبشير بين المسلمين أنفسهم » [٧٣] ، مما جعلهم يكونون موضع ريبة من اخوانهم المسيحيين ، وأنهم كانوا « يتدخلون فى السياسة الداخلية ، ويحاولون أن يؤثروا على مجارى السياسة الخارجية ، ثم هم يرتكبون فى سبيل ذلك ، الفظائع والمجازر ، ويسلبون وينهبون ويقتلون . وهم يحاولون فى كل بلد نزلوا فيه ، وبلغوا شيئا من القوة ، أن يستولوا على الحكم ، أو أن يملأوا مناصب البلاد بطلابهم ، ثم يحاولوا القضاء على خصومهم ، وعلى الجماعات التى لا تخضع لهم ، ثم هم يقاومون كل الحركات التى تنبه الشعوب ، أو تجعل لها سبيلا الى الحياة المستقلة » [٧٤] .

ومما يلفت النظر ، ويدعو الى السخرية ، أو التساؤل على الأقل ، أن « فرنسة (مثلا) (وهى كاثوليكية) ، قد طردت اليسوعيين من بلادها ، ثم هى تنفق عليهم فى الخارج ، ملايين الفرنكات ذهبا . ولا غرو ، فان فرنسة كانت ترسل اليسوعيين الى الخارج ، عمالا سياسيين لها ، ودعامة اجتماعية لآرائها ، وخالقى مشاكل ، فى سبيل مصالحها » [٧٥] .

وقد كان الهدف الأول لبعثات التبشير ، هو « القضاء على الأديان غير النصرانية » ، الا أنه « يبدو بوضوح ، أن أشد الأديان مراسا فى اباء الاستعباد ، انما هو الاسلام ، ولذلك يتمنى المبشرون ، أن ينصروا المسلمين كلهم » . « ويعترف المبشرون ، بأن التبشير الرسمى ، واكتساب المسلمين الى صفوف النصرانية ، قد خاب . من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون ، أن يكون عملهم (الانسانى) ، قاصرا على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل . من أمثال هذه الجملة ، ينفذ القارىء

---

(٧٣) المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٧٤) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٧٥) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

الى حقيقـــة بواعث التبشير : انه ليس الاصـــلاح ، والحياة الروحية ، بل هو الافساد ، والتوسل الى السيطرة » (٧٦) .

ومن قديم ، تنبه المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، الى هـــذه المخاطر جميعا ، حيث وجد أن الغربيين يلجأون الى « محاربة المساجد بالمراقص ، ومحـــاربة الزوجات بالمومسات ، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر ، ومحاربة فنون القوة ، بفنون اللذة » (٧٧) — أى محاربة كل مثلى أعلى ، يسعى اليه الاسلام ، و (يرتفع) بالناس الى مستواه ، بنقيضه ، مما يهبط بالانسان ويهبط .

وليست العبرة بالجهود التى تبذل على طريق (تحطيم) الاسلام ، بل العبرة بالنتائج التى تحققت ، على طريق هذا التحطيم — والنتائج ، يضعها ، مختصرة ، الامام الشيخ محمد عبده ، وهو يرد على هانوتو ، فى نهايات القرن المـــاضى ، وكان قـــد كتب فى صـــحيفة (الأهرام) مقالا ، يشتم فيه الاسلام ونبيه — رد عليه الامام وصفه للاسلام «بأنه مرض وشلل وجنون وجذام ، ووصفه للمسلمين بأنهم وحوش ضارية ، ومطالبته بابادة خمسهم ، والحكم على الأربعة أخماس الباقية بالأشغال الشاقة ، وترميم الكعبة ، ووضع قبر الرسول فى متحف اللوفر » (٧٨) — حيث يقول الامام : « جاء الاسلام ، يدعو العالم بأسره الى التوحيد » ، و « هبت الوثنية واليهودية والنصرانية ، لمناوأة الاسلام ، وهى أكثر عددا ، وأوفر عددا ، وأعظم قوة ، وأشد بأسا ، فلم يكن الا قليل من الزمن ثم ظهر الحـــق ، ونفذ شعاعه الى القلوب ، فدخل الناس فيه

---

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٧٧) مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم — الجزء الثانى — الطبعة السابقة — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة ، ص ٢٥٨ .

(٧٨) الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمـــد عمـــارة — الجزء الثالث (الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، ص ٢١٨ (من هامش الصفحة) .

أفواجا ، من كل ملة من الملل » [٧٩] .

واذا كان الشيخ الامام محمد عبده ، يقف عند (ما كان) من حروب الاسلام ، فان السير توماس أرنولد يتم مسيرته ، ليصف ما (هو كائن) ، فيصف نجاح الاسلام فى أفريقية مثلا ، فى مواجهة فشل النصرانية والتنصير فيها ، ويعزو ذلك الى « أن الاسلام لم يعامل الأسود قط ، على أنه من طبقة منحطة ، كما كانت الحال لسوء الحظ ، فى كثير من الأحيان ، فى العالم المسيحى » [٨٠] .

وهذا الذى تم فى أفريقيا ، تم — عند السير توماس أرنولد — فى جنوب شرقى آسيا ، وفى كل مكان ، كان فيه الاسلام ، والبعثات التبشيرية .

وهكذا ، اذا كان الغربيون قد أقبلوا على الاسلام ، بعد طول هذه الحرب معه ، فليس معنى اقبالهم على الاسلام ، يأسهم من محاربته ، ولكن معنى هذا الاقبال ، أنهم رأوا الاسلام رأى العين ، بسيطا ، لا يحتاج الى ألغاز وألاعيب كهنوتية ، عندما أتيح لهم أن يطلعوا عليه ، ويقرءوا له وعنه ، فرأوا فيه (المثل الأعلى) الذى ينشدونه .

وهذا الذى يحدث فى الغرب اليوم ، من أحفاد الصليبيين ، حدث للأجداد ، ممن حملوا لواء الصليب ، وكلهم حقد على الاسلام ، فاذا بهم يحتكون به احتكاكا مباشرا ، على (الأرض المقدسة) ، فيرونه من خلال المسلمين أنفسهم ، تحت امرة صلاح الدين الأيوبى . لقد « دخلت

---

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٢١٧ (من سلسلة مقالاته بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٠ ، للرد على هانوتو ، فى حديثه مع صاحب الأهرام ، الذى نشر فيه) .

(٨٠) سير توماس و. ارنولد : الدعوة الى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٩٤ .

الأمم المسيحية ، مستجيبة لدعوى العرب والترك طواعية واختيارا ، للجانب الأعز بالحق ، والمثل الأعلى فى الأدب والفضيلة ، ولعل من أظهر الأدلة على ذلك وأعجبها ، اسلام طوائف من الصليبيين ، الذين حشدوا من كل جنس وجيل وجاءوا المشرق ، تغلى صدورهم بالبغضاء ، وتقطر من أيديهم الدماء ، حتى ذبحـوا نفس النصـارى فى طريقهم ، ممن لم ينشط لدعـوتهم ، أو ممن خالف رأيهم ، أو كان على غير مذهبهم فى المسيحية » .

« بل ان كثيرا من زعمـاء الصليبيين ، وكثيرا من عامتهم ، الذين قطعوا الأرض لقطع رقاب المسلمين ، ارتموا فى أحضان الدعوة ، التى غامروا كل مغامراتهم للقضاء عليها ، منذ أول تعارف » (٨١) .

« ولقـد بلغ تأثير الاعجـاب بشجاعة صلاح الدين وفضائله فى الصليبيين ، أن كثيرا من أمرائهم وعامتهم ، المعجبين به ، ذهب بهم هذا الاعجاب ، الى ترك دينهم وأهلهم ، والدخول فى الاسلام » . « وحتى بعد صلاح الدين ، لمـا قام الصليبيون بحربهم الثالثة ، انتقاما لسقوط بيت المقدس ، وحاصروا عكا ، وأصابتهم البأساء ، وعضهم الجوع ، فر كثير منهم الى صفوف المسلمين ، فمنهم من آمن ، ومنهم من رجع الى قومه ، ومنهم من استمر على نصرانيته ، واختار البقـاء ، وأن يقاتل فى صفوف المسلمين » (٨٢) .

واذا كان مستقبل الاسلام هنا فى الشرق فعلا (٨٣) ، حيث نزل ، وحيث أماكنه المقدسة ، وحيث مستقبله كما كان ماضيه ، ورغم حاضره — فان معنى ذلك أن الانسان المسلم ، عليه أن (يعود) الى الاسلام — الوحى ، ليعيش به فى القرن العشرين ، لا فى عصر آخر سبقه ، حتى

---

(٨١) عبد الرحمن عزام : الرسـالة الخالدة — الطبعة الأولى — مطبعة لجنـة التأليف والترجمـة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م ، ص ٢١٥ .
(٨٢) المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٨٣) ارجع الى ص ٢٠٢ من الكتاب .

ولو كان عصر النبوة ، لأن ظروف الزمان والمكان تختلف كثيرا فى أى بلد اسلامى ، عما كانت عليه فى هـذا العصر — الأول .

ولن يستطيع الانسان المسلم أن يعود الى الاسـلام — الوحى وحده ، بعد أن تفرقت به السبل ، بفعل الصليبية العالمية الحاقدة ، التى فشلت عسكريا ، ونجحت فكريا وثقـافيا ، ومن ثم يقع عبء (قيادة المسيرة) على العلماء المسلمين — علمـاء الدين ، وفى مقدمتهم علمـاء الأزهر ، الذين هم — فى الحقيقة — وعلى حـد تعبير مصطفى صادق الرافعى — « قوانين نفسية ، نافـذة على الشعب ، وعملهم أرد على الناس من قوانين الحكومة ، بل هم التصحيح لهذه القوانين ، اذا جرت الأمور على عللها وأسبابها » .

« لقد أصبح ايمان المسلمين كأنه عادة الايمان ، لا الايمان نفسه ، ورجع الاسلام فى كتبه الفقهية ، وكأنه أديان مختلفة متناقضة ، لا دين واحد ، فرسالة الأزهر ، أن تجدد عمل النبوة فى الشعب » .

« ولا وسيلة الى ذلك ، الا أن يكون الأزهر جريئا فى قيادة الحركة الروحية الاسلامية ، جريئا فى عمله لهـذه القيادة ، آخذا بأسباب هـذا العمل ، ملحا فى طلب هـذه الأسباب ، وكل هذا يكون عبثا ، ان لم يكن رجـال الأزهر وطلبته ، أمثلة من الأمثلة القـوية فى الدين والخلق والصـلابة » (٨٤) .

وليس المقصود بالأزهر هنـا — الأزهر المؤسسة ، التى صارت مؤسسة من مؤسسات الدولة الرسمية ، يخضـع علمـاؤها وطلابهـا والعاملون بهـا ، لمـا يخضع له موظفو الدولة العامون من اجراءات ، ولكن المقصود به الأزهر الاسلام / الأزهر المسئولية / الأزهر القيادة

---

(٨٤) مصطفى صادق الرافعى : وحى القـلم — الجـزء الثالث ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

الروحيــة للأمة ، التى تفرض نفسها على الدولة ومؤسساتها ، قبل أن تفرض الدولة ومؤسساتها على الأزهر ما تريد .

ولقــد ظــل قانون الأحوال الشخصية المصرى الجديد ، خائفا يترقب ، فى (حياة) المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ، فلما مات الرجل ، استأسد القانون وفرض نفسه ، وكأن الأزهر لم يكن فيه يوما ، ولن يكون فيه ، غير عبد الحليم محمود — يرحمه الله ، ويضــع همته فيمن يلبسون لباسه ، ويتحملون مسئوليته ، ويجلسون مجلسه ، ليقفوا وقفتــه .

« ان الأمة الاسلامية ، فى أمس الحاجة فى هذا العصر ، الى أن تكتشف من جديد ، وبسرعة ، (منهاجها) . فالعالم الاسلامى يجد نفسه اليوم ، فى دوامة التيارات الثقافية ، تهدر من حوله ، وهــذه الأزمات ، سيكون لها الأثر الحاسم فى تقرير صلاحية الاسلام للتطبيق من الناحية العملية ، لقرون طويلة آتيــة » .

« ان الحركة فى البيئة الاجتماعية ، اما أن تكون بناءة مبدعة ، أو هدامة مدمرة ، فاذا حاولنا الرجوع الى حقائق القرآن والسنة ، وعملنا — فى ضوئهما — على صياغة مجار جديدة ، لتفكيرنا السياسى والاجتماعى ، كانت هــذه حركة بناءة من النوع الأول . أما الذى نراه فى المجتمع الاسلامى اليوم ، من انجراف نحو الأفكار الغربية ، والنظم السياسية السائدة فى الغرب ، فهو حركة من النوع الثانى »[٨٥] .

و « اذا قررنا اختيار » « طريق الاحيــاء والنهضة ، فلا يكفينا القول (بأننا مسلمون ، وأن لنا فكرة ونظاما خاصا بنا) ، ولكن بتحتم

(٨٥) محمــد اســد : منهاج الحكم فى الاســلام (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .

علينا أن نكون فى حالة ، نستطيع معها أن نثبت لأنفسنا وللعالم ، أن هــذه (الفكرة) فكرة حيــة خالدة ، بحيث نستطيع الصمود فى وجه هــذا الزحف العاتى من الأفكار الاجتماعية والثقافية ، المضاد للغايات الاســلامية » .

« ولكى نحقق هــذا الغرض » ، « لابد لنا من أن نبدأ فى اجتهادنا من جديد ، بأسلوب ابداعى خلاق ، على ضوء دراستنا الخاصة لمصادر الشريعة الأصلية .

اننا اذا ما تناولنا هــذه المهمة ، بروح البحث الحر ، فسوف ننتهى حتما الى نتيجتين هامتين : أولاهما ، أن الشريعة الاسلامية ــ ولا سيما بالنسبة للأحكام الاجتماعية ــ ستكتسب مرة أخرى صــفة البساطة التى طبعها الله ورسوله عليها » ، « وثانيتهما » ، « أن جهــاز الدولة الاســلامية ووظيفتها ، ليس من الضرورى أن يكونا متفقــين مع أية (سابقة تاريخية) ، اذ أن كل ما نريده من الدولة ، لكى تنال بحق صفة الدولة الاسلامية ، هو أن تدمج فى دستورها ، وأن تستهدى فى أعمالها ، تلك الأحكام الظاهرة ، المنصوصة فى القرآن والسنة ، والتى لها علاقة مباشرة ، بحياة المجتمع السياسية » (٨٦) .

واذا لم يقم علماء الدين بدورهم المحدد ذاك ، فلا يستغربوا أن تنتشر (ظاهرة) (الشــباب المتطرف) فى كل بلاد المسلمين ، يعتدون ــ باسم الاســلام ــ على بيت الله الحــرام ، ويكفرون كل مســلم فى مجتمعهم ، مهما كان ، ويتصدون للافتاء ، بغير أهلية له ، ويكون كل جهدهم فيما يفتون ، اعادة الناس الى كتب كتبت منــذ قرون طويلة مضت ، لزمان غير زماننا ، وفى ظروف غير ظروفنا .

واذا لم يقم علماء الدين بدورهم المحدد ذاك ، فلينتظروا نتيجة

---

(٨٦) المرجع السابق ، ص ٤١ ، ٤٢ .

تلك (الحرب الضارية) بين الدولة فى أى بلد اسلامى ، وبين مثل هـذا الشباب ، الذى يمثل (خيرة الشباب) الاسـلامى ، والذى ما ضيعه سوى فتوته ، وفرط حماسه الدينى ، وغياب العلماء عنه ، لتوجيهه ، والأخذ بيده ، بينما « واجب العلماء والمشايخ وأولى الأمر من كل أمة ، هو أكبر الواجبات والتبعات . ذلك أنهم ليسوا مسؤولين عن أعمالهم أنفسهم فحسب ، بل تقع عليهم أيضا الى حـد كبير ، تبعة أعمال الأمة بكاملها » . و « لن ينجو من هـذه المسؤولية عند الله ، أولئك الأمراء والعلماء والمشايخ ، الذين هم قابعون فى قصورهم وبيوتهم وزواياهم ، يزاولون التقوى والزهد ويشتغلون فى العبادة والرياضة . وذلك أنه اذا كانت أمتهم قد أحاط بها من كل جانب ، طوفان من الضلال والانحلال الخلقى ، فانه ليس من شأنهم أن يجلسوا فى زواياهم خاشعين ، منهمكين فى العبـادة ، بل من واجبهم أن ينبروا كالمناضـلين ، ويستخدموا كل ما آتاهم الله من القوة والنفوذ ، فى مقاومة هـذا الطوفان » (٨٧) .

ومن العبث القـاء العبء على غير العلماء ، فى هـذه المرحلة من مراحل التاريخ الاسلامى ، لتهيئة (الجـو) الذى يكون فيه (الاسلام) فعلا ، اذ أن « المهمة الأعظم والأصعب فى آن واحد ، ليست فى أن نطلق وصف (الاسلامى) على دولة ليس لها من الاسلام الا اسمها ، بل أن نخلق فى الجماعة الاسلامية ، الأحوال الروحية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية ، المهيئة لبعثها » (٨٨) — وذلك عبء علماء الدين وحدهم ولا شك ، يعاونهم فى ذلك ، وتحت قيادتهم هم دون غيرهم ، العلمـاء (المسلمون) ، المتخصصون فى تخصصات العصر ، من طب وصـيدلة وهندسة واقتصاد وزراعة وتجارة وتربية وعلوم اجتمـاعية ، وغيرها وغـيرها .

---

(٨٧) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية (مرجع سابق) ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٨٨) الدكتـور احمـد عروة (مرجع سابق) ، ص ١١٢ .

ورغم دور العلماء المحدد الواضح ، الذى لا يمكن أن يشك فيه أحـد ، فان كل فرد مسلم مكلف ، مسئول كل بقـدر طاقته ، وعلى حسب موضعه ، والدور الذى يمكنه أن يقوم به •

ويدخل فى اطـار هؤلاء الأفراد المسلمين ، المسلمون الموجودون فى كل مكان ، فى الشرق والغرب على السواء ، الحديثو الاسلام منهم ، والمسلمون بالوراثة ، فلن يكونوا مسلمين حقا ، ما لم (يصمدوا) على طريق الدعوة اليه ، فهم دعاته الأساسيون ، تماما كمـا كان التاجر المسلم ، والجندى المسلم ، والأسير المسلم ، والمرأة المسلمة ، على نحو ما رأيناهم من قبل [٨٩] ، والاسلام حينما صمد ، انما صمد من خلال قاعدته العريضة تلك ، وحينما انتصر انما انتصر بها كذلك ، فهم (جسم) الاسـلام الكبير ، وما العلماء والمتخصصون فيه الا الرأس ، بالنسبة لهـذا الجسم •

وكل من الجسم والرأس ، مكمل للآخر ، لا غنى له عنه ، ولا وجود له بدونه •

---

(٨٩) ارجع الى ص ١٩٦ ـ ٢٠١ من الكتاب •

وللمسلم ان يفخر باسلامه

منذ شهور قليلة ، وبينما كنت أفكر عمليا فى البدء فى هذا الكتاب ــ الأخير من كتب السلسلة ، بعد أن انتهيت من جمع مادته العلمية ، وكان على أن أفكر عمليا فى تحديد محاور الدراسة ، والتخطيط لها ، وترتيب المادة العلمية على أساسها ، ذهبت الى مكتبى ، فوجدت عليه كتابا ، فى نصف حجم هذا الكتاب تقريبا ، عن موضوع من موضوعات الاسلام ، لا أعلم مؤلفه ، ولكنى وجدت المؤلف قد تركه لى على مكتبى ، وعليه اهداء كريم ، منه الى •

وأخذت الكتاب ، وتصفحته سريعا على عجل ، فلم يكن فيه ما يشدنى اليه بحيث أتعمقه ، أو يميزه عن غيره من الكتب التى تصدرها المطبعة عن الاسلام ، فى هذه الأيام ، وما أكثرها ، وما أشدها ــ فى الوقت ذاته ــ املالا ، لكثرة ما فيها من اعادة وتكرار •

وبعد شهر تقريبا مما حدث ، دخل على فى نفس المكتب ، وقد كان المكتب مليئا بالأصدقاء ، والمسجلين معى رسائل ، للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه ، وغيرهم •• دخل رجل ، أشعث أغبر ، بالى الثياب ، رغم أنها افرنكية ، طويل الذقن ، يتضح من شكله ــ اضافة الى ما سبق ــ أنه طاعن فى السن ، ومن ثم فهو لا يمكن أن يكون طالبا من طلاب الدراسات العليا ، الذين يترددون على من كل مكان ، فى العالم العربى ، للاستفسار عن قضية بعينها ، وكثير منهم أراه لأول مرة •

وكان مع الرجل طالب من الكلية ، أشار له على ، فدخل الرجل ، وسلم على ، وعرفنى بنفسه ، فرحبت به ، دون أن أعرف : من هو على وجه التحديد ؟

وبعد قليل قال : ألا تذكرني ؟

قلت : لا •

قال : أنا الذي أحضرت لك كتاب ••• ، وتركته لك ، وعليه اهداء ، وأرجو أن يكون قــد وصلك •

وتذكرت القصة القــديمة ، فرحبت به مرة ثانية ، وشكرته على الكتاب ، وعلى اهدائه •

ثم قال : وهــل قرأته ؟

قلت : نعم قرأته •

قال : وما رأيك فيما ورد فيه ؟

قلت : كلام مشكور ، كافأك الله عليه •

قال : انه جديد في كل شيء ، وفيه دعوة ، يتبناها الكتاب ، وأنا قادم الآن من ادارة الأزهر ، وقابلت الشيــخ ••• والشيخ ••• والدكتور ••• ووعدوني بتشكيل لجنة ، لدراســة الكتاب ، ودراســة الدعوة و ••• الخ •

قلت : لا أرى أن فيه جديدا ، الا اذا كانت ذاكرتي قــد خانتني ، وعلى كل حال ، فأرجو أن تمر هنا بعــد يومين ، أعيد قراءته فيهما ، ونتناقش فيــه •

وقرأت الكتاب ، أو أعدت قراءته ، ودققت فيمــا أقرأ ، لأرى جديدا ، فلم أجد هــذا الجديد •

وجاء الرجل حسب الموعد المحدد ، وقلت له بصراحة رأيي فيه ، فدهش •

ثم كان بيننا حوار ، وكانت بيننا قطيعة .. اذ زارنى بعدها مرة ، ثم انقطع عن الزيارة .

* * *

— أما الرجل ، فهو — كما عرفت منه — خريج احدى كليات الأزهر ، وعمل مدرسا ، ثم أحيل الى التقاعد ، فقرر أن يضيع وقته فى عمل يتقرب به الى الله ، فكان البحث والتفكير ، والدعوة الى ما رآه ، هى هذا العمل .

— وأما كيف عرفنى ، فهو اذاعة القرآن الكريم ، التى لا يستمع الا اليها ، والتى كان لى فيها عدد من اللقاءات والأحاديث ، قال انها نالت اعجابه ، وانه توسم فى خيرا ، فقصدنى بالكتاب ، وهو — كما عرفت منه — لا يملك جهاز تليفزيون ، ولا يحب أن يستمع اليه ، وان كنت قد قلت له : ان بالتليفزيون برامج دينية وثقافية أيضا .

— وأما الدعوة ، التى لم تقع عينى عليها بسهولة ، فهى دعوته فى الكتاب ، الى أن يعود للمسجد قيادته للعالم الاسلامى .

— أما عن الكيفية التى يعود بها للمسجد قيادته للعالم الاسلامى ، فهى أن يقوم خطيب كل مسجد بعمل (جمعية) ، (تؤلف) بين قلوب المصلين ، والمترددين على المسجد ، فلا يصلون ، ثم ينصرفون ، وهم متدابرون .

والرجل مخلص صادق النية ، فهو من وسط الصعيد ، ويأتى الى القاهرة مرة أو مرتين كل شهر (لا أذكر) ، وقد طبع الكتاب عن طريق ناشر مشهور للاسلاميات ، ولكنه يوزع معظم نسخه مجانا ، على من يتوسم فيهم خيرا ، وأحمد الله أننى كنت واحدا من هؤلاء ، وان كان يبدو من قطيعته لى ، أنه رأى أنه أساء الظن بى ، حين توسم فى هذا الخير ، وأرجو ألا يكون نادما على حسن ظنه بى .

وقـــد فكرت أول الأمر ، فى أن يكون واحـــدا من أصـــحاب (التنظيمـــات) ، التى نسمع عنهـــا فى الصحف والاذاعة والتليفزيون فى مصر ، ولكن (لغته) كانت مغايرة تمـــاما للغـــة هؤلاء (الشباب) المتهور ، كمـــا أن تدخينه السيجارة تلو السيجارة ، مما يدل على أنه (صاحب فكر) فقط ، وليس صاحب (تنظيم) •

وقـــد طمأننى من هـــذه الناحية ، قوله : ان معظم المساجد تابعة لوزارة الأوقاف ، ومن ثم فأئمتها موظفون رسميون فى الدولة ، ولذلك توجـــه الى ادارة الأزهر ، لتكون (دعوته) دعـــوة رســـمية علنية ، مشروعة ـــ لولا أن تهرب منه المسئولون عن (الدعوة) ، على حد قوله ، أو لولا انصرافهم بما هو أهم من دعوته ، فى تصورى • وقـــد تحايرت الرجل ولاينته وأكرمت وفادته وسهلت له كل ما أراد ، فى كل مرة زارنى فيها ، خشية أن يكون الرجل على حق ، وأن يكون صادقا فيما يعمل ، فلا يكون لى منه ، سوى (اثم) النكوص عن القيام بالواجب الدينى ، مضافا الى (اثم) تعطيله عن القيام بهذا الواجب •

وكان الرجل ملحا الحاحا ، وجدته يعطلنى عن تقديم العلم الى طالبيه ، والقاطعين مســـافات أطول من مسافته ، لتحصيله ، فوجدت نفسى أقول له ، فى آخر لقاء بينى وبينه :

ـــ عيبنا نحن المسلمين ، أننا نجيد الكلام ، ولا نعرف عن (العمل) شيئا •

ـــ ان مجال (عملى) ، هـــو كليتى ودراستى وتدريسى ، ومجال عمل الواعظ هو منبره ، وامامته للناس فى الصلاة ، ومجـــال عمـــل الضابط ـــ والجندى ـــ هو ميدان القتال ، والتدرب على اتقان مهاراته ، ومجال عمل المدرس ، هو الجيل الجديد الذى يتعهده •• فلو أجاد كل منا عمله ، واتقى الله فيه ، لصلح حال المسلمين •

— ان مناقشتى لطالب ، يسعى للحصول على الماجستير أو الدكتوراه ، أو قراءتى كتابا ينعكس على محاضرتى لطلابى ، يأمرنى بها الاسلام ، وهو لا يأمرنى بترك ذلك كله ، والجلوس فى ساحة المسجد بعد الصلاة ، لأكون تحت (امرة) امام المسجد .

ويبدو أن الذى أغضب الرجل — ان كان قد غضب — أننى اضطررت الى أن أشير له ، الى عدم اقتناعى بالفكرة ، والى أن طول المناقشة فيها ، يعطل الكثيرين ، الذين يراهم بعينيه ، ينتظر كل منهم دوره ، حتى يتمكن الواحد منهم من أن يجد فرصة ، ليتكلم معى ، ولو لدقائق معدودات — وذلك عندما رأيته — رغم طول النقاش — مصرا على وجهة نظره ، لا يريد أن يحيد عنها .

اننى مؤمن تماما بالعمل الجماعى ، وبالعمل المنظم تحت أية قيادة ، ولكنى مؤمن أيضا بأن العمل نوعان ، عمل يرتزق الانسان منه ، ويسخر نفسه لخدمة (الناس) فيه ، مقابل ما يحصل عليه من أجر منه ، وعمل تطوعى ، يمارسه الانسان ، فى أوقات فراغه .

وعيب العمل فى الجامعة ، هو أنه عمل يستغرق حياة الانسان كلها ، فليس فيه وقت للفراغ ، يمكن أن يمارس فيه الانسان ما يحب ، من هذه الأعمال (التطوعية) .

ورغم ذلك ، فميزة العمل فى الجامعة ، هو أنه يعتبر كله من قبيل الأعمال (التطوعية) ، لأنه عمل يقوم على الابداع والخلق والبحث عن الجديد ، ومناقشة الآخرين أفكارهم .

* * *

هذه مقدمة ، رأيت أنه لابد منها ، فى ختام هذا الكتاب الأخير ، من كتب هذه السلسلة (المسلمون ، وتحديات العصر) ، وهى شاهد على ما يمكن أن يكون عليه المسلمون ، فلو سأل أى مسلم نفسه اليوم : ماذا يفعل ؟ ما وجد على سؤاله جوابا .

ولو سألت نفسي : هل أخطأ الرجل ؟ أما أنني أنا الذى أخطأت ؟ أم أننا كنا سويا مخطئين ؟ أم أننا اجتهدنا، ويكفينا هذا الاجتهاد ؟

لو سألت نفسى هـــذه الأسئلة ، أو سألها أى مسلم سمع هـــذه القصة التى قصصتها ، ما وجد اجابة شافية ، على سؤال من هـــذه الأسئلة .

والمسلم معذور ، حين لا يجد مثل هـــذه الاجابة ، لأن (جمود) الاسلام على (اجتهاد) يرتد الى حوالى اثنى عشر قرنا الى الوراء ، لابد أن يكون له تأثيره (العكسى) على الاسلام — وهـــذا ما كان ، وأن يكون له تأثيره السيء على المسلمين ، وهذا ما هو حادث .

ان قضايا كثيرة ، تعتبر اليوم فى صميم حياة المسلم ، لا يجد من علماء الدين الاسلامى ، الاجابة الشافية عليها ، ومنهـــا : التأمين على الحياة — أرباح الأموال المـــدخرة فى البنوك — تعليم الفتـــاة العلوم الحديثة — التوسع فى عمل المرأة ، دون حاجة اليه — مســـاواة المرأة بالرجل — تولى المرأة الوظائف العامة ، وغيرها وغيرها .

وفى غياب رأى هؤلاء العلماء ، أو اجتهادهم فى مثل هذه المسائل الجديدة ، التى هى بنت القرن العشرين غالبا ، نجد القاعدة الاسلامية العريضة ، تجتهد لنفسها ، بغير قدرة على الاجتهاد اطلاقا ، بعد أن صارت (عجلة الحياة) تدفعهم معها ، فلا يكون لهم من الاســـلام ، الا ما يؤدونه على طريقه ، من صلاة وصوم وحج ، على أحسن الفروض ، دون أن ينعكس ذلك على سلوكهم ، وتعـــاملهم مع الناس والأشياء ، بل على العكس من ذلك ، يكون سلوكهم هو السلوك (المضاد) للاسلام ، على نحو ما رأينا فى الفصل الثانى (١) .

---

(١) ارجع الى ص ٨٤ — ٩٠ وما بعدها من الكتاب .

وفى غياب الاسلام غيابا حقيقيا ، من خلال سلوك المسلمين عادة ، ومن خلال سلوك حتى المتمسكين بالشعائر منهم ، بسبب غياب الاجتهاد ذاته ، الذى يفـرض أن يكون معينـا للمسلم ، ليعيش حاجات يومه (المتجددة) ، يكون المنطقى أن يظهر (مجتهدون) ، لا تتوافر لديهم (أهلية) للاجتهاد ، فالاجتهاد ليس بابا مفتوحا ، يلجه كل من هب ودب من المسلمين ، وانما هو باب ضيق ، لا يلجه الا المقتدر عليه ، المتمكن من مهـاراته •

والمجتهدون الجدد نوعان ، أحدهما مفرط تماما ، يرى أن الاسلام يدفع للحياة العصرية ، بكل ما فيها ، ومن ثم فهو يشـق طريقه الى الاسلام ، بالغرق تماما فى الحياة العصرية ، بما فيها الاسراف والبذخ ، ان كان قادرا عليه ، وبما فيها (الفهلوة) والسرقة ، ان كان قادرا عليها أيضا ، وبما فيها ترك الصلاة وترك الصوم أيضا •

أما النوع الثانى من هؤلاء المجتهدين الجدد ، فهو على النقيض من النوع الأول ، يرى أن كل ما فى الحياة الحديثة كفر ، وأن مسلمى اليوم كلهم كفار أيضا ، ومن ثم فهو يرى (اعتزال) المجتمع ان كان معتدلا ، واعلان الحرب عليه ان كان (متطرفا) •

ويحرم هؤلاء المجتهدون الجدد بطبيعة الحال ، كما تعرضنا لهم فى الفصل الثانى [٢] ، (كل شىء) على المسلم ، فهو أن حلق ذقنه كان كافرا ، وان أطلقها ، فهو كافر أيضا ، لأنه لا يسويها ، أو لأنه يسويها ، أو لأنه لا يقص شاربه أو يقصه ، ولأنه يلبس جلبابا أبيض أو لا يلبسه ، أو لأنه يعرف اللغة الانجليزية أو لا يعرفها ، أما العمل فى الحكومة ، والتعامل معها ، فهو حرام حرام ، لأنها أموال كانت مودعة فى البنوك ، التى تتعامل بالربا ، وهكذا •

---

(٢) ارجع الى ص ٩٢ من الكتاب •

حتى (البنوك الاسلامية) على سبيل المثال ، كفر فى نظر هؤلاء ، لأنها تتعامل مع البنوك الأخرى ، الربوية ، الكافرة بطبيعة الحال ، مع أن المسلمين جميعا تفاعلوا بها •• كأنما كتب على المسلمين — فى نظرهم — ألا يتفاعلوا أبدا •

وهكذا صار (كل شىء) فى نظر هؤلاء المجتهدين الجدد (كفرا) ، وصار (كل شىء) — فى نظرهم — يستأهل (الثورة) عليه ، واعادته الى الاسلام — ولكن : أى اسلام ؟

انه سؤال لا يستطيع أن يجيب عليه (خوارج) العصر ، الذين اختاروا (الخروج) لمجرد الخروج ، لأنهم لم يدخلوا الاسلام من بابه الصحيح ، ولم يثبتوا أقدامهم على طريقه ، بالأساس القوى — أساس القراءة والعلم والمعرفة والفهم والوعى •• ثم الاجتهاد •

ووسط هذا الجو الاسلامى (المضطرب) ، والذى مرجع (اضطرابه) غياب (الاجتهاد) ، الذى يمكن الاسلام من أن يشاركنا حياتنا ، أو يمكننا — اذا نحن أردنا الدقة فى التعبير — من أن نعيش فى (ضوء) الاسلام — وسط هذا الجو ، يكون منطقيا أن (يجتهد) الرجل ، الذى أتانى يرى اصلاح حال المسلمين ، من خلال قيام المسجد بدوره القيادى ، فى حياة المجتمع الاسلامى ، وأن (أجتهد) أنا ، فأرى ذلك الاصلاح ، من خلال قيام كل منا بدوره ، أيا كان موقعه الذى يعمل فيه (٣) •

ويكون منطقيا — لذلك — أن يعيش المسلمون فى داخل كل مجتمع اسلامى ، لا تجمع بينهم جامعة ، وكأنما هم ينتمون الى ديانات مختلفة ، لا الى دين واحد •

---

(٣) ارجع الى ص ٢١٣ وما بعدها من الكتاب •

ويكون منطقيا أيضا — أن يرى كل مسلم نفسه (كبيرا) ، اذا كان يتحدث مع مسلم غيره ، فلا يحترمه ، ولا يوافقه على رأى ، ولا يجادله حتى بالتى هى أحسن .. فالمسلم أمام المسلم ، يعتبر نفسه (عالمـا) كبيرا .. حتى اذا وجد نفسه أمام رأى محدود القيمة ، يصدر اليه من غير مسلم ، حنى له الرأس ، واعتبره كأنما هو وحى ، نزل اليه من السـماء .

ويكون منطقيا — أخيرا — أن نرى كل ما هو قادم من الغرب ، دليل تقدم ، بدءا من المنتجات التكنولوجية والأفكار ، وانتهاء بخطوط الموضة ، وتفكك الأسرة ، وتشرد الأطفال ، وانتشار المخدرات ، وغيرها — فى الوقت الذى ننظر فيه الى كل ما هو اسـلامى ، نظـرة دون ذلك بكثير — لا يستثنى من ذلك الا القليلون ، وفى مقدمتهم الشباب الذى يرى كل ما هو قادم من الغرب كفرا والحادا .

ثم تضيع (الشخصية القومية) الاسـلامية ، (لتذوب) — فى النهاية — فى غمار (الشخصية الغربية) — رأسمالية كانت أو شيوعية .

وينجح المخطط المضاد للاسلام ، فى قلب دار الاسلام — مخطط اخراج المسلم من اسلامه ، بعد أن فشل مخطط تحويل المسلم ، الى غير الاسـلام .

* * *

ولكن الذى يحدث ، على النقيض تماما مما تراه العين بسرعة ، ولأول وهلة .

ان الذى يحدث ، هو (مقدمة) مولد (ثقافة جديدة) ، هى ثقافة المسلم فى النصف الثانى من القرن العشرين ، أو (التطور) الطبيعى فى الثقافة الاسلامية المعاصرة ، من ثقافة ما قبل القـرن العشرين الى ثقافة القرن العشرين ، بكل ما فرض على (الانسان) فيه من متغيرات — كل انسان — أراد ذلك أم لم يرده .

والذي يدرس الثقافة — أية ثقافة — فى تطورها ، يرى أنها تنتقل — فى جمودها — من حالة الى الحالة المضادة ، قبل أن تعود الى التكيف مع الواقع الجديد ، مستمدة ملامح شخصيتها المتميزة ، من (توسطها) بين الجمود الذى كانت تعيش فيه ، والتطور الذى يراد لها أن تتطور اليه .

وفى عملية التطور تلك ، لابد أن يكون هناك صراع ، بين مختلف التيارات — بين اليمين (المتشبث) بالقديم — لأسباب كثيرة ، وبين اليسار ، (المتحلل) من القديم ، لأسباب أخرى كثيرة أيضا — ولابد أن يتمخض هذا الصراع عن تيار (وسط) ، متشبث بالقديم ، وساع الى الجديد رغم ذلك .

ثم تسير الثقافة الى هذا التيار (الوسط) ، رغم أنف الجميع ، بقدر (تمكن) هذا الوسط من نفسه ، و (قدرته) على الملاءمة بين القديم والجديد .

ألم يكن هذا هو ما حدث فى العصر الأموى ، فى انتقالة الثقافة العربية والاسلامية ، من عصر (نبذ) الدنيا ، الى عصر (الاقبال) عليها ، على نحو ما رأينا فى الفصل الثالث [4] — ولو أن هذا الكلام لا يعجب الشيعة ، الذين لا يرون فى هذه الدولة — الأموية — الا كل شر أصاب الاسلام [5] ؟

ثم ألم يكن هذا هو ما حدث فى العصر العباسى ، فى انتقالة الثقافة العربية والاسلامية ، من عصر (المحلية) ان صح التعبير ، الى عصر (العالمية) ، وان كان هذا الكلام لن يعجب الشيعة ، وكثيرا من فرق السنة المتشددة ، بسبب ما أصاب الأئمة الأربعة على أيدى خلفائهم ،

---

(٤) ارجع الى ص ٩٦ — ٩٨ وما بعدها من الكتاب .
(٥) ارجع الى ص ١٠٦ ، ١٠٧ وما بعدهما من الكتاب .

على نحو ما وضحنا فى الفصل الثالث أيضا [٦] ؟

ومن الأمور العجيبة فعلا ، أننا جميعا — سنة وشيعة — حبا منا للامام على وآل البيت جميعا — ننسى أنفسنا ، (فنلعن) الأمويين والعباسيين جميعا ، ثم نعود فلا نرى فى تاريخنا الاسلامى كله ، فترة نباهى بها ونزهو ، خيرا من العصرين ، الأموى والعباسى ، لنبين أن الاسلام دين حضارة ومدنية وأنه دين عالمى ، نزل للناس كافة ! !

وهــذه القلاقل والاضطرابات ، التى حدثت فى العصرين ، الأموى والعباسى ، ممهــدة لحضارة الاسلام الزاهية ، أساس حضارة الغرب الحديثة ، لم نر لهـا وجودا فى عصور الضعف التاليــة ، مما يدل على أن القلاقل والاضطرابات ، هى فى حقيقة الأمر ، (مقدمة) للغد المشرق الذى نرجوه .

فللمسلم أن يفخر باسلامه ، الذى وضع (المبـادرة) فى يــده ، لأول مرة فى تاريخ الديانات [٧] ، فكان منطقيا أن (يرى) كل مسلم رأيا فى قضايا عصره ومجتمعه ، وأن يتخذ من هذه القضايا (موقفا) ، وأن (تتفاعل) هــذه الآراء جميعا فى (بوتقــة) الاسلام الطاهرة ، لتخرج المجتمع الاسلامى من (ظلام) يتربص به بعيدا عن الاسلام ، الى (نور) ينتظره ، فى حضانته .

* * *

وقوام الثقافة فى أى مجتمع من المجتمعات ، هو الدين السائد .

ولكل دين من الأديان ، سماويا كان أو وضعيا ، كتــاب (يعبر) عنه ، سواء كان هذا الكتاب منزلا من السماء ، أو من وضــع انسان ملهم ، استطاع أن (يتمثل) ثقافة أمته ، ويعبر عنها بذكاء وعبقرية .

---

(٦) ارجع الى ص ١٢٨ وما بعدها من الكتاب .
(٧) ارجع الى ص ٢٩ ، ٣٠ من الكتاب .

ويعرض كل كتاب (مقدس) ، رأيه فى شتى القضايا ، المتصلة بالدين ، والمعبرة عنه ، بلغة ، تعتبر (مقدسة) أيضا ، لها من التأثير فى الناس ، مثل ما للكتاب ذاته .

وفى الكتاب الثالث عشر من كتب السلسلة ، عن ((اليهود واليهودية والاسلام) ، رأينا أن كتاب اليهود المقدس ، انما هو من صنع اليهود أنفسهم ، فالتوراة من صنع شيوخهم ، بقيادة عزرا [٨] ، والتلمود من صنع الفريسيين منهم [٩] — وفى الكتاب الرابع عشر ، عن ((المسيح والمسيحية والاسلام) ، رأينا أن الانجيل انما هو أناجيل متعددة فى الواقع ، كل منها من تأليف صاحبه ، وأن من أصحاب الأناجيل ، من لم ير المسيح [١٠] ، ومن ثم (تناقضت) الأناجيل فيما بينها ، فى أماكن كثيرة [١١] .

ورغم ذلك ، فقد كانت (التوراة) ، التى أحاط بها اليهود ، فى كل بيت يهودى ، وفى كل كنيس يهودى ، هى التى (حفظت) الشعب اليهودى ، رغم الشتات والضياع ، والتفرق فى جميع أنحاء العالم ، حيث كان للمنزل اليهودى عبر عصور التاريخ المختلفة « وظائف بالغة الأهمية » ، فقد كان « هو المؤسسة التربوية الوحيدة للجماهير ، حتى عصر المسيح ، وكان الآباء ، هم المدرسين الأساسيين للأطفال ، وكانت العلاقة بين الأب وابنه ، علاقة ذات طابع بطريركى » [١٢] ، و « كان كل بيت فى بلاد اليهود كنيسا ، وكل مدرسة معبدا ، وكل أب كوهنا » ،

---

(٨) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٥٠ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(١٠) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ١١٥ وما بعدها .
(١١) المرجع السابق — الفصل الخامس كله ، بدءا من ص ١٥٨ .
(12) GOOD SELL, WILLYSTINE : A History of the Family, as a Social and Educational Institution ; The Macmillan Company, New - York, 1923, pp. 73, 74.

كمـا « لم يكن الكنيس معبدا دينيا فحسب ، بل كان فوق ذلك المركز الاجتماعى للعشيرة اليهودية » ، « وكان بكل كنيس مدرسة » ، « وأول ما كان يدرسه الغـلام اليهودى ، هو اللغـة العبرية ، وأسفار موسى الخمسـة ، فاذا بلغ العاشرة من عمره ، بدأ يدرس المشنا ، وفى الثالثة عشرة ، يأخذ فى دراسة الأجزاء الرئيسية من التلمود » (١٣) .

وكان « يطلب الى كل جالية فى بلد ، أن تقيم على نفقتها مجتمعة ، ما لا يقـل عن مدرسة ابتدائية ، وأخرى ثانوية ، يضمها فى العـادة ، الكنيس ذاته » ، « وكان الدين ، هو الموضوع ، الذى يدور حوله التعليم اليهـودى ، أما الثقافة غير الدينية ، فكادت فى ذلك الوقت أن تهمـل اهمالا تاما » (١٤) .

وقـد صارت هذه الثقافة غير الدينية ، فيما بعد ، جزءا لا يتجزأ من الثقافة الدينية لليهود ، وبها سيطروا على العالم ، خاصة فى مجال التجارة والمـال ــ خاصة بعد (التلمود) ، الذى ظل « أربعـة عشر قرنا من الزمان ، أساس التربية اليهودية وجوهرها .

وكان الشاب العبرانى ، ينكب عليه سبع ساعات فى كل يوم ، مدى سبع سنين ، يتلوه ويثبته فى ذاكـرته ، بلسانه وعينه ، وكان هو الذى يكون عقولهم ، ويشكل أخلاقهم ، بما تفرضه دراسته من نظام دقيق ، وبما يستقر فى عقولهم من معرفة ، شأنه فى هذا شأن كتابات كنفوشيوس ، التى كان يستظهرها الصينيون ، كما يستظهر اليهـود التلمود ، ولم تكن طريقة تعلمـه مقصورة على تلاوته وتكراره ، بل كانت تشمل فوق ذلك ، مناقشته بين المدرس والتلميذ ، وبين التلميذ والتلميذ » (١٥) .

---

(١٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ٧٣ ــ ٧٥ .
(١٤) المرجع السابق ، ص ٩ ، ١٠ .
(١٥) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

ويرى الدكتور عبد الله عبد الدايم ، أن هذه التربية اليهودية ، كانت، « هى التى استطاعت أن تبقى عاداتهم واعتقاداتهم حيـــة ، طوال هـــذه العصور ، رغم ما خضع له اليهود منذ ثمانيـــة عشر قرنا ، من فقدان لأرض يسكنونها ، وتشرد فى البلدان ، اذ لاشـــك أن بقـــاء الشعب اليهودى متماسكا قويا ، فى الوشائج التى تربط أبنـــاءه ، دون أن تكون له دولة تجمعه ، أو رئيس يوجهه ، يرجع قبل كل شىء ، الى قـــوة التربية الدينية والقومية ، التى نقلها قدماء العبريين الى أحفادهم » (١٦) .

ومثلما استطاعت الكتب الدينية اليهودية أن تفرض نفسها ، رغـــم تفرق الشعب اليهودى و (محاصرته) ، فى أنحـــاء العالم المختلفة ، بل وأن تجمع هذا الشعب — فى النهاية — فى صورة (أمة) — أو (ثقافة) حيـــة ، تعيش اليوم فى (فلسطين) ، بعد أن فرضت نفسها عليها بالقوة المسلحة ، وأبادت شعبها ، وفرضت ارهابها على العرب المحيطين بها،حتى يقبلوا الأمر الواقع ، بل وأن تفرض نفسها — فى النهاية — على الحضارة الغربية المعاصرة ، فى خارج حـــدود فلسطين — اسرائيل — فى أوربا والولايات المتحدة — حيث صار اليهود هم الذين يقودون العـــالم ، « فى العلم والفن ، والاكتشاف والاختراع ، وفى السيطرة على هـــذه الحضارة ، وتملك زمامها ، وتوجيهها فى صالحهم » ، « حتى أصبحوا العنصر الفعال الرئيسى ، فى قيادة الحضارة الغربية ، التى ظهرت فى بيئة مسيحية » (١٧) — مثلما استطاعت الكتب الدينية اليهودية أن تفعل ذلك ، حين (تشبث) اليهود بهـــا ، رغم أنها من وضعهم ، استطاعت الكتب الدينية المسيحية — وهى من وضع المسيحيين كذلك ، كما سبق فى أكثر من

---

(١٦) الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربيـــة — من منشورات كليـــة التربيـــة بجامعـــة دمشق — مطبعـــة جامعة دمشـــق — ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

(١٧) أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطبـــاعة والنشر والتـــوزيع — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٥ .

مناسبة (١٨) — أن تحفظ لأوربا وحدتها ، بعد سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب ، فى القرن الخامس الميلادى (سنة ٤٧٦ م) ، تحت سيطرة الكنيسة ، والكتاب المقدس ، حيث « استسلم العقل فى العصور الوسطى للايمان فى أغلب الأوقات والحالات ، وجعل كل اعتماده على الله وعلى الكنيسة ، كما يثق رجل هذه الأيام بالعلم وبالدولة » (١٩) ، حتى لقد كانت شئون التعليم كلها ، فى قبضة الكنيسة ورجالها ، على نحو ما نرى فيما « أصدره بابواتها وأساقفتها من أوامر ، لانشاء المدارس الأولية ، ومدارس الترنيم ، لتعليم القراءة والكتابة والموسيقى ، فى الأبرشيات ، وفيما قامت به أديرتها وكاتدرائياتها ، من توفير تعليم أولى وثانوى وعال » (٢٠) ، وكانت (حقائق الحياة) المختلفة ، تخضع لما يراه رجال الدين المسيحى ، وما يفرضه الكتاب المقدس (٢١) ، وكانت الدراسة تقتصر على « الدراسات الدينية ، والفنون الحرة ، التى كانوا يرونها مناسبة وصالحة ، وتتمشى مع العقائد المسيحية » (٢٢) .

وقد استمرت (وحدة) أوربا تلك ، تحت سيطرة الكنيسة أكثر من عشرة قرون كاملة ، برغم ما عرف عن الكنيسة ورجالها من انحرافات متعددة (٢٣) ، ولولا ثورة مارتن لوثر سنة ١٥١٥ ، وما صحبها من

---

(١٨) ارجع الى ص ٢٢٤ — اقرب هذه المناسبات لنا هنا — على سبيل المثال .

(١٩) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ١٣ .

(٢٠) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ١٥٧ .

(21) HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance ; George G. Harrap & Company, Ltd., London, 1928, pp. 5, 6.

(٢٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة (مرجع سابق) ، ص ٣٥١ .

(٢٣) تحدثنا عن مفاسد الكنيسة بشىء من التوسع ، فى الكتاب السابق من كتب السلسلة — ارجع الى :

— دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٢٤ — ١٣٢ .

(انتفاضة) على الكنيسة ، ومن حروب (مقدسة) ، لظلت قبضتها عليها قوية ، الى اليوم •

وقد تعرضنا فى الفصل السابق لحضارة اليابان المعاصرة ، ورأينا أنها قامت فى (أحضان) الديانة البوذية ، لا بمعزل عنها ، برغم أخذها بالأسلوب الغربى فى الحضارة [٢٤] ، ورأينا أن الحضارة دائما ، هى (بنت دين) ، فاذا قوى الدين فى النفوس ، قويت الحضارة •

واذا كانت التجارب القديمة والحديثة قد أثبتت هذه (العلاقة العضوية) بين الدين والحضارة ، فان التجربة الاسلامية تثبت نفس الشىء ، حينما كان الاسلام دينا فعالا فى النفوس ، فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى عصر الخلفاء الراشدين ، وفى العصرين الأموى والعباسى ، برغم كل (المظاهر) ، التى قد يراها البعض عكس ذلك ، على نحو ما وضحناها فى فصول الكتاب السابقة •

واذا كان (الكتاب المقدس) لأى دين من هذه الأديان ، اما من صنع بشر ، أو امتدت اليه بالتحريف يد بشر ، فان كتاب الاسلام المقدس — القرآن الكريم — قد ظل حتى الآن ، كما نزل به على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، الأمين جبريل من السماء [٢٥] ، حيث كان متناثرا فى الصحف والأوراق ، وقام البعض بجمعه فى مصحف ، « ومنهم على بن أبى طالب » ، فأمر عثمان بجمعه ، « فجمعوا القرآن من الصحف ، ومن شقف محفوظة ، ومن صدور الناس ، وكانوا لا يتقبلونه الا اذا شهد له شاهدان » • « ولما فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابته ، جعلوه مصحفا رسميا ، وبعث عثمان بنسخ منه الى الأمصار ،

---

(٢٤) ارجع الى ص ١٦٢ من الكتاب •

(٢٥) خليل طاهر (مرجع سابق) ، ص ٩ ، ١٠ (من المقدمة ، للدكتور عبد الحليم محمود) •

وأمر باحـــراق ما عداها ، من صحف أو مصاحف » [٢٦] — وكان عدد المصاحف وحدها أحد عشر مصحفا [٢٧] .

وهكذا ، أينمـــا ذهبت ، « فى طوكيو أو القـــاهرة أو واشنطون أو كراتشى ، ستجد نفس نسخ القـــرآن كما هى ، متوافقة مع بعضها البعض ، ومتوافقة مع القـــرآن ، كما نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان » [٢٨] .

ولأن القـــرآن الكريم من عند الله سبحانه ، نجـــده مسجلا كمـــا هو ، بمـــا فيه من آيات تتصل بالمستقبل ، ومن آيات تتصل بالمـــاضى ، ومن آيات كونية (قوانين طبيعية) ، لا يمكن أن تكون من قول بشر ، لأنها فوق مستواه ، وبما فيه من آيات تقريع للرسول صلى الله عليـــه وسلم ذاته ، ومن آيات تهديد له ، اذا هو خرج عن الخط المرسوم له فى الحيـــاة ، على نحو ما رأينا فى نهـــاية الفصل الأول من الكتاب [٢٩] — ومن آيات تتحدث عن أمور ، لا يمكن لبشر أن يدرى عنها شيئا ، كالملائكة والشياطين والجن ، وغيرها ، وغيرها — الا أن يكون ما يتحدث به عنها ، موحى به من عند الله سبحانه ، خالق الكون كلـــه ، ومدبر أمره .

وتمضى أربعـــة عشر قـــرنا من الزمـــان على نزول القـــرآن الكريم ، تتغـــير الدنيـــا من حـــوله ، فى كل ناحيـــة ، ويتغير الناس ، وتظهر أمور جديدة كثيرة ، وتختفى أمور قديمة كثـــيرة أيضا ، وكان مفروضا أن يبلى القـــرآن الكريم ، بكثرة (المتغيرات) حوله ، تمـــاما

---

(٢٦) كتاب المصاحف ، للحافظ ابى بكر ، عبد الله بن ابى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ هـ — صححه ووقف على طبعه: الدكتور آثر جفرى — الطبعة الأولى — مكتبة المثنى ببغداد — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م ، ص ٥ — ٧ .

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٨١ — ٩١ .

(28) KHALIFA, RASHAD : Miracle of the Quran, Significance of the Mysterious Alphabets ; Islamic Production International, Inc., St. Louis, Missouri, U.S.A., 1963, p. 4.

(٢٩) ارجع الى ص ٥١ من الكتاب .

كما حدث مع (توراة) اليهـود ، حيث (اضـطروا) الى (تأليف) (التلمود) بعد ذلك ، ثم (بروتوكولات حكماء صهيون) ، على نحـو ما رأينا فى كتابنا الذى خصصناه لهم (٣٠) •• والبقية تأتى — وكمـا حدث مع (أناجيل) النصارى ، التى اختير ما اختير منها ، ورأيناها — فى الكتاب السابق من كتب السلسلة — تفرض على الناس فرضا (٣١) — حتى كان القـرن السادس عشر الميلادى ، واستطاع الناس أن يبدءوا فى (التحرر) من (سلطان) الكنيسة ، فبدءوا يخضعونها (للمحاكمة) ، ليروا كل شىء فيها باطـلا ، مشكوكا فيه •

أما القـرآن الكريم ، فان كل يوم يمـر ، وكل حقيقة تكتشف ، تحدث العكس معه ، اذ يثبت أن هذا القرآن ، هو كلام الله بلا منازع ، وأن الأيام على تطاولها ، والحقائق الجديدة على كثرتها ، والمتغيرات من حوله على وفرتها ، لم تثبت بعد القـرآن عن النـاس وحياتهم ، بقدر ما أثبتت كلهـا أنه جـزء لا يتجزأ من حياتهم ، ومن ثم فلا غنى لهم عنه ، اذا هم أرادوا أن يعيشوا حياة انسانية فضلى •

فللمسلم أن يفخر بكتابه ، المنزل على قلب نبيـه صلى الله عليـه وسلم ، الباقى كما نزل من السماء ، لم تمتـد اليـه بالتحريف يـد ، ومن ثم كان استمرار تأثيره فى قلب المسـلم ، تكاد عينه تفيض من الدمع ، كلمـا قـرأ آياته ، أو سـمع هـذه الآيات ، وما أكثر ما تسمع هـذه الآيات ، فى عصر التقدم العلمى والتكنولوجى المعاصر •

انه — فى ضـمير المسلم المعاصر — لا يزال « أشبه بالطلسم ، بالتعويذة ، التى تحرسنا وتهدينا » (٣٢) ، « ويعتقد المؤمنون أن للقـرآن

---

(٣٠) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسلام (مرجـع سابق) ، ص ٤٩ — ٥٥ •

(٣١) دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام (مرجـع سابق) ، ص ١١٤ وما بعدها •

(٣٢) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ٤٧ •

بركة ، وهى عقيدة يصعب تفسيرها أو ايضاحها منطقيا » ، وهو « اذا أخذ جملة ، كان أشبه شىء بالوجود ذاته ، وبالكائنات التى تتحرك فيه » ، « ولذا فانه هو ذاته الكون ، الذى يضع فيه المسلم حياته ، منذ ولادته ، حتى مماته » (٣٣) — رغم المحاولات المستميتة ، التى بذلت للمباعدة بيننا — كمسلمين — وبين القرآن ، لأن آياته لا تزال تنفرد « بخاصية عجيبة •• انها تحدث الخشوع فى النفس ، بمجرد أن تلامس الأذن ، وقبل أن يتأمل العقل معانيها •• لأنها تركيب موسيقى ، يؤثر فى الوجدان والقلب لتوه ، ومن قبل أن يبدأ العقل فى العمل •

فاذا بدأ العقل يحلل ويتأمل ، فانه سوف يكشف أشياء جديدة ، وسوف يزداد خشوعا » (٣٤) •

وكم أسلم على طريق هذا القرآن •• كثيرون ، قبل أن يتفقهوا آياته •• ثم انتقلوا من الاسلام الى الايمان •• بعد تفقه هذه الآيات •

وفى الوقت ذاته ، كان « المساس بالقرآن ، أمام أى مسلم ، حتى ولو كان ضعيف العقيدة ، واهى الايمان ، يثير فى نفسه حمية واندفاعا ، للذود عنه ، ومحاربة أعدائه » (٣٥) •

* * *

والقرآن الذى نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، نزل باللغة العربية ، ومن ثم صارت هذه اللغة العربية ، لغة مقدسة ، وقد استمدت قدسيتها من قدسية القرآن ذاته ، وان « كان يصعب على الغربيين أن يفهموا مدى أهمية اللغة المقدسة ، والدور الروحى الذى تقوم به فى بعض الديانات ، لأنه ليس فى المسيحية لغة مقدسة » (٣٦) •

---

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٣٤) مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصرى للقرآن — الطبعة الثالثة — دار الشروق — بيروت — ١٩٧٣ ، ص ١٨ .
(٣٥) الدكتور سيد حسين نصر (مرجع سابق) ، ص ٤١ .
(٣٦) دكتور عبد الصبور شاهين : فى علم اللغة العام — الطبعة الثالثة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٢٥٧ .

ولولا القرآن الكريم ، لأصاب اللغة العربية ما أصاب غيرها ، من تطور ، أو من تحريف ، اذا أردنا الدقة فى التعبير •

وقد كادت اللغة العربية أن (تتفتت) — كما تفتتت اللاتينية مثلا — الى مجموعة من (اللهجات) العربية ، التى لا يفهم بها العربى السورى مثلا ، العربى المغربى أو التونسى •• أو اليمنى ، أو العدنى •• لولا أن أكرم الله هذه اللغة ، بظهور وسائل الاعلام ، وفى مقدمتها الاذاعة •• لتقرب بين هذه (الهجات) ثانية ، فى اطار اللغة العربية •• الأم ، لغة القرآن •

ومن خلال اللغة العربية — التى صارت مقدسة — كان تأثير القرآن السحرى •

واللغة العربية — بوصفها لغة — متاحة ألفاظها وأساليبها ، لكل من أراد استخدامها ، وقدر على هذا الاستخدام ، ولكن أحدا لم يستخدمها استخدام القرآن الكريم لها ، لا فى القديم ولا فى الحديث ، مما يدل على أن القرآن من عند الله وحده •

والتعبير اللغوى ، لابد أن يدور حول (معنى) ، أو (فكرة) ، والفكرة الأساسية فى القرآن الكريم ، هى أنه (شفاء لما فى الصدور) — بمعنى أنه (شفاء للنفس) ، حيث أن « مهمة القرآن الأولى ، هى تصفية النفوس وتنقيتها » ، حيث « أن البدن يصح ، اذا صحت النفس أولا » (٣٧) •

والقرآن الكريم يصل الى هذه (الفكرة الأساسية) ، من (مداخل) مختلفة ، يخاطب القلب مرة ، والعقل مرة ، والجسد مرة ، ومن ثم كانت « ظاهرة التكرار » ، « وحين ننظر الى القرآن ، على أنه كتاب التربية لهذه الأمة ، وللبشرية كلها ، التى ينبغى أن تدخل دين

---

(٣٧) الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ •

الله ، تزول عنا غرابة هـذه الظاهرة ، وتصبح بعض حكمتها على الأقل ، مفهومة لدينا » [٣٨] .

ويرى المرحوم عباس محمود العقاد أن القـرآن « كتاب عقيدة ، يخاطب الضـمير ، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة ، فى مجال العلم ، أن يحث على التفكير ، ولا يتضمن حكما من الأحكام ، يشل حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع ، حيثما استطاع .. وكل هـذا مكفول للمسلم فى كتابه ، كما لم يكفل قط فى كتب الأديان — فهو يجعل التفكير السليم ، والنظر الصحيح الى آيات خلقـه ، وسيلة من وسائل الايمـان بالله » [٣٩] .

ومن ثم يكون ما فى القـرآن الكريم من تكرار ، ليس تكرارا فى واقع الأمر ، بقدر ما هـو (تأكيد) ، على فكرته الأساسية ، يستطيبه المؤمن ويحبه ، ولا يستهجنه أبدا .

والتكرار فى القرآن الكريم ، تكرار فى اللفظ — من ثم — وليس تكرارا فى المعنى ، لأن المعنى — كما سبق — واحد .

وبرغم كل شيء ، فاعجازه فى هـذا اللفظ أيضا .

وتأتى أجيال المسلمين تلو الأجيال ، لتكتشف فى كل جيل معجـزة من معجزاته ، وليكتشف أنه جديد متجدد دائما [٤٠] .

واذا كنا فى هـذا العصر ، تبهرنا الأرقام ، وتبهرنا الحاسبات الاليكترونية ، فكأنما خلقت هـذه الحاسبات لتلقى الضوء على جمـال جديد فى القـرآن ، لم يسبق للانسان أن توصل اليه ، وهو جمـال

---

(٣٨) محمد قطب : دراسـات قرآنيـة — دار الشروق ، ص ٢٤٥ .
(٣٩) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنيـة (مرجع سابق) ، ص ١٢ .

(40) KHALIFA, RASHAD ; Op. Cit., p. 2.

« التوازن والتناسق العددى » فى موضوعات القــرآن الكريم » ، الذى « لا يمــكن أن يكون صــدفة قدرية •• أو وقفــة عشوائية •• أو حادثة عفــوية •• لأنه توازن مقصود ، وتناسق غير محدود •• » (٤١) — فالملاحظ مثلا ، أن « الدنيا تكررت فى القــرآن الكريم ، قدر ما تكررت الآخــرة » ، و « الشياطين تكررت قدر ما تكررت الملائكة » ، وهــذا « التناسق والاتزان ، يشمل كل ما جاء فى القــــرآن الكريم » ، وهى « صورة من صور الاعجاز ، التى لا يمكن لأى باحث أو دارس أو قارىء ، أن يستعرضها ، الا ويؤمن الايمان الكامل المطلق أن هذا القرآن لا يمكن الا أن يكون •• وحى الله سبحانه وتعالى ، لآخر أنبيائه ، وخاتم رســله •• لأنه شىء فوق القــدرة •• وأعلى من الاستطاعة ، وأبعد عن حدود العقل البشرى » (٤٢) .

كما ثبت أن الحــروف المقطعــة فى أوائل السور ، التى « كانت وما زالت من ألغــاز القــرآن وطلاســمه ، وقــد اختلف فى شــأنها المفسرون » كانت ذات معنى ، فقد « وجــد بالاحصاء ، أن استهلال سورة بحروف معينة ، يقابله دائمــا تفوق حســابى لمعــدل توارد وتكرار هــذه الحــروف فى نفس الســورة » ، « ففى سورة ق مثلا ، نجــد أن الحــرف ق يتكرر فى الســورة بمعــدل أعلى من باقى الحــروف ، ثم ان معــدله فى السورة ، هــو أعلى معدل فى ســور القــرآن على الاطـــلاق • ونفس الشىء فى أ• ل• م• البقــرة • وأكثر من هــذا ، تأتى المعدلات فى سلم تنازلى من أ الى ل الى م ، وبنفس الترتيب » (٤٣) ، حيث « تتكون سورة البقرة من ٢٨٦ آية ، بما فيها الحروف الثلاثة الأولى (ألم) ، التى تكون المقطع ، الذى تبدأ به السورة ، ويبلغ عدد حروف السورة ٢٥٫٧١٧ حرفا ، ويتكرر حرف

---

(٤١) عبد الرزاق نوفل : الاعجاز العددى ، للقــرآن الكريم — الطبعة الثانيــة — مطبوعات الشعب — ١٩٧٥ ، ص ١٨١ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٨ ، ٩ (من المقدمة) .

(٤٣) مصطفى محمود : من أسرار القــرآن — العــدد (١١٥) من (كتاب اليــوم) — مؤسسة أخبار اليوم بالقــاهرة — سبتمبر ١٩٧٦ ، ص ٧٠ ، ٧١ .

الألف فى هذه السورة ٤ر٣٢٩ مرة » ، « بنسبة ٨ر١٦٪ » ، « ويتكرر حرف اللام ٢ر٩٤١ ، بنسبة ٤ر١١٪ » ، « ويتكرر حرب الميم ٢ر١٩٥ مرة ، بنسبة ٥ر٨ ٪ » (٤٤) .

أى أن قضية القــرآن ، ليست قضية معنى ، ولفظ يعبر عن هــذا المعنى ، مهما كانت درجة بلاغته فى التعبير ، ولكن هــذا القــــرآن ، قــد (هندست) كلماته وحروفه على نحو معين ، لا يقدر عليه بشر ، مهما بلغت قدرات هــذا البشر .

واكتشاف هــذه الحقيقة ، شاهد على (تجدد) القــرآن ، وقدرته على العطاء فى كل عصر ، حسب (معجزات) هــذا العصر .

وبغض النظر عن هــذه (الهندسة) القرآنية ، يعتبر القــــرآن كتاب (العرب) ، حتى ولو لم يكونوا مسلمين ، فان « الانطلاق العربى ، كان مبعثه الايمــان بدين الهى هو الاسلام » ، الذى هو « لهداية البشر فى دنياهم ، ولاعدادهم لآخرتهم » (٤٥) ، والذى لولاه ما كان «الانبعاث الحقيقى للشخصية العربية » (٤٦) ، ومن ثم كان الاسلام ذا مركز مهم ، فى فكر (القوميين) العرب ، المخلصين لعروبتهم ، حتى ولو لم يكونوا مسلمين ، كما نرى فى فكر ميشيل عفلق ، الذى « يهمه اقناع المسيحيين بقبول الاسلام ، أكثر مما يهمه قبول المسلمين للعلمانية » ، حيث يرى أنه « لا يوجد عربى غير مسلم ، هذا اذا كان العربى صادق العروبة ، واذا كان متجردا من الأهواء والمصالح الذاتية » (٤٧) ، ومن ثم نراه « أكثر الحاحا على دعوة المسيحيين العرب ، للاقتراب الحميم من الاسلام ، فى سبيل تأكيد صــدق عروبتهم ذاتها » (٤٨) .

---

(44) KHALIFA, RASHAD ; Op. Cit., pp. 34, 35.

(٤٥) قسطنطين زريق : نحن والمستقبل (مرجع سابق) ، ص٢٤ .

(٤٦) دكتور عبد الحميد ابراهيم (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

(٤٧) د. محمد جابر الأنصارى (مرجع سابق) ، ص ١٢٨ .

(٤٨) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

واذا كان القــرآن الكريم قــد حافظ على اللغــة العربيــة ، فى مواجهة الحملة الشرسة ضدها ، منذ مطلع الاستعمار الحديث وقبله ، فقد صار بذلك ((هدفا استراتيجيا) للحملة الشرسة ، من الغــرب الحاقد منذ ظهور الاســلام •

ذلك أنه لم يقف دوره عند حــد كونه ((كتاب) الاسلام ، الذى (يلف) المسلمين حوله ، على نحو ما وضحنا سابقا [٤٩] ، وانما تعــدى ذلك الى كونه وسيلة من وسائل ((التفكير المشترك)) للمواطنين ، ووسيلة من وسائل استمرارية الأمة ، واستمرارية تراثها القــومى ، وهى لا تقل أهميــة فى تحــديد ((ملامح) شــخصية الأمة ، وتحقيق تماســكها واستمراريتها ، عن الدين السائد ، ومن ثم كان اتجــاه المســتعمرين اليها ، على أنهــا ((هدف استراتيجى) ، لا سبيل للقضاء على مقاومتها ، بدون ((تدميره) •

وقــد رأينا فى الفصل الخامس ، كيف اتجهت حملة الاغريق فى مصر منذ القــديم ، الى اللغة الهيروغليفية — لغــة المصريين القــدماء ، لتحطيم المقاومة المصرية القديمة لغزوهم ، وكيف واجه المصريون حمــلة (الأغرقة) تلك ، بالالتفاف حول اللغــة الهيروغليفية [٥٠] •

وما فعله الاغريق منذ أكثر من عشرين قرنا من الزمان فى مصر ، فعله أحفــادهم الفرنســيون والانجليز ، فى مصر وفى غيرها من بلاد الاســلام •

وقبل هــذا الاستعمار الحديث ، واتجاهه الى اللغة العربية ، فى شــمال أفريقيا مثلا ، كان فرض اللغــــة الفرنسية على أرض الراين Rhineland ، من قبل نابليون بونابرت (١٧٦٩ — ١٨٢١) ، الذى فرض على هــذه الأرض الألمــانية ، « طوال عشرين عاما (من سنة

(٤٩) ارجع الى ص ٢٢٣ وما بعدها من الكتاب .

١٧٩٥ الى سنة ١٨١٥ ، حيث أعيدت أجزاء كثيرة من أرض الراين الى ألمـانيا ، بعد مؤتمر فيينا) ـ الأفكار الفرنسية ، واللغـة الفرنسية ، والقـانون الفرنسى ، وبذلك أفقد هذه الأرض ، استقلالها السياسى ، ومقوماتها الثقافية » [٥١] ـ ولم يكن هناك من سبيل لانقاذ الأرض ، سوى اعادة (الهـوية) الألمـانية الى هـذه الأرض ، من خـلال تلك (الكلمات الى الأمة الألمـانية) Speeches to the German Nation قدمها الفيلسوف الألمـانى الشـهير فيخت Fichte الى الأمة ، فى تد اء سنة ١٨٠٧ / ١٨٠٨ ، من خلال أكاديمية العـلوم فى برلين ، حيث قدم مشروعا جديدا للتربية ، يرى فيه « أنه ليس هناك بديل لاقامة نظـام جديد للتربيـة ، يضم كل الألمـان » [٥٢] ، تستطيع به ألمـانيا ، « بحكم وضعها الجغرافى ، وظروفها التاريخية ، أن تقـود العـالم » ، وبذلك « أثار فيخت النعرة القومية الألمـانية » [٥٣] ، التى كانت مقـدمة لظهور النظام النـازى فى ألمـانيا ، فيما بعد ٠

وكانت اللغـة الألمـانية ، فى مقدمة الأهداف التعليمية ، لمشروع فيخت هـذا ، بطبيعة الحـال ٠

وقصة نفس الاستعمار الفرنسى مع الشمال الأفريقى ، وخاصـة مع الجـزائر ، قصة معروفة للجميـع الآن ، فقد كان شعار هـذا الاستعمار ، هو (الفرنسية ، والكثلكة) ، وكان الصـمود الجـزائرى ضـد الاستعمار الفرنسى ، هو الطـرف المضاد ، أى (التعـريب ، والاسلام) ٠

---

(٥١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ٤٤ ٠

(52) HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958, p. 218.

(53) Ibid., p. 219.

وها هى اللغة العربية ، تستعيد حياتها من جديد ، بعد أن أدرك العــرب جميعا ــ مسلمين وغير مسلمين ــ على نحو ما ســبق (٥٤) ــ أن لا حياة لهم بدونها ، سواء فى ذلك حياتهم الدينية ، وحياتهم القومية ــ وبعد أن أثبتت قدرتها ــ رغــم جمــود أصولهــا وثباتها ــ بمــا فيها من ألوان اشتقاق مختلفة ــ على أن تكون لغــة حضارية أيضا ، تستجيب لكل جديد .

وصحيح أن هناك ضعافا فى العقيدة ، وضعافا فى العزيمة معا ، من العلمانيين قصار النظر ، ومن العلميين ، فى مختلف المجالات ، فى العالم العربى ، يرون غير هذا الرأى ، ولكن عددهم بحمد الله يقــل ، وحجمهم يتضاءل .

وغدا سيأتى اليــوم ، الذى يتم فيه (تعريب) التعليم الجــامعى كلــه ، لتتم عودة هــذه الأمة ، الى لغتها الأصلية ، التى هى لغــــة العرب ــ والمسلمين ــ القومية والمقدسة معا .

فللمسلم أن يفخر باسلامه ، الذى لولاه لضاعت لغته القوميــة أيضا ، ولضاعت شخصيته ، فى خضم الحياة المعاصرة ، التى لا ترحم ضعيفا ، ولا تحنى رأســها الا للأقوياء .

* * *

ولن نتطرق هنــا الى بقيــة محتــويات (الثقافة الاسلامية) ، ووضعها فى ضــمير المسلم ، وواقع المجتمع الاسلامى ، فذلك موضوع يطول ، ويحتاج الى كتب متكاملة ، لا الى كتاب واحد ، ولكننا نكتفى بالقــول ، بأن هــذه الثقافة الاسلامية ، قــد أتيح لهــا أن تتحــول ، من فكر فلســفى نظرى ، متمثل فى القــرآن الكريم ، الى (حيــاة عمليــة) ، عاشها المسلمون بالفعل (مع) النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عاشوها مع الخلفاء الراشدين (من بعــده) ، كل على قدر اجتهاده ، ثم لا يزال المسلمون يعيشونها اليــوم ، على نحو أو آخر ، يقترب تارة

---

(٥٤) ارجع الى ص ٢٣٥ من الكتاب .

من الاسلام / الوحى ، ويبتعد عنه تارة ، ولكنـــه لا يزال يعيش ، فى أعمـــاق المسلمين •

ولن تستطيع هــذه الثقافة الاسلامية المعاصرة ، أن تقترب من الاســلام / الوحى ، وبالتالى تقرب المسلمين من رضـــا ربهم ، ومن تحقيق النصر الذى وعدهم اياه ، الا اذا عاد القــرآن الى حياتهم ، يعمل بالفعل عمله ، ولا ترتل آياته مجرد ترتيل ، أو يقرأ على المقابر وفى المناسبات ، فيعيش بينهم معطلا •• الا اذا عاشه كل مسلم ، معملا عقله فيه ، محاولا أن يجتهد ، وأن يرجع الى المتخصصين فى الدين ، وفى فروعه المختلفة ، ليجتهدوا معه ، حتى تعيش هــذه الثقافة ، حيـــاة القرن العشرين ، التى يسعى كل مسلم الى أن يعيشها •

والسنة النبوية المطهــرة ، على المسلمين أن يعيشوها ، لا كمـــا عاشـــها النبى صلى الله عليه وسلم ، منذ أربعـــة عشر قرنا من الزمان ، والا كانوا لهـــا من الظالمين ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لو كان يعيش بيننا اليـــوم ، لفكر بشكل جديد ، مغاير لتفكيره يومها ــ لفكر فى العلوم الطبيعية ، وفى التكنولوجيا ، التى يستطيع المسلمون أن يكونوا بهـــا ــ بالفعل ــ « خير أمة أخرجت للنـــاس » (٥٥) ــ فهذا هو (الأخذ بالأسباب) فى القرن العشرين ، وقـــد كان رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ، متعودا على هذا الأخذ بالأسباب ، فى كل ما يفعـــل ، وعلى أساس هـــذا الأخذ بالأسباب ، كانت الثقافة الاسلامية فى عصره ــ وبعد هـــذا العصر ــ تعاش •

و (الأخذ بالأسباب) ، الذى كان لابد أن يأخذ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو خلفاؤه الراشدون ، أو السلف الصـــالح من بعده ، لو كان يعيش فى القـــرن العشرين ، يعنى تملك زمام العلم ، والأخذ بأسباب التكنولوجيا ، جنبا الى جنب مع التشبث بالقـــرآن الكريم ، واللغة العربية ، والشد عليهما بالنواجذ ــ كما سبق •

---

(٥٥) قرآن كريم : آل عمـــران ــ ٣ : ١١٠ .

وبدون هـذا (الأخذ بالأسباب) ، الذى كان يحرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح من بعده ، لايمكن فهم الاسلام، وما آدخله على الفكر الدينى قبله ، من تغيير جذرى ، أشرنا اليه فى الفصل الأول من الكتاب ، وهو وضع المبادرة فى يد الانسان (٥٦) .

ولا يمكن أن يتحقق هـذا (الأخذ بالأسباب) فى القرن العشرين، بدون (الاجتهاد) ، لتوضيح موقف الاسلام ، من (المتغيرات) الكثيرة ، التى تفرض نفسها على المسلم ، فى حياتنا المعاصرة ، و (للتحكم) فى دخول هـذه المتغيرات على الثقافة الاسلامية ، بحيث تضيف اليها ، كما تعودت هـذه الثقافة عبر أربعة عشر قرنا من الزمان، لا أن (تنسفها) هـذه الثقافة نسفا ، كما خطط الغرب الحاقد على الاسلام ، منذ فشلت حروبه الصليبية .

وهو جهد ضخم ، ولكنه جهد واجب ، اذا نحن أردنا أن نعيش — بالفعل — مسلمين .

بل انه جهد أكثر وجوبا ، من ذلك (الاقتتال) على (حب) آل البيت، ومدى هـذا الحب .. لأن مثل هـذا الاقتتال ، يضيع الجهود على طريق يضر بقضية الاسلام ، وبأوضاع المسلمين .. أكثر ما يفيد .

ان الشيطان لم يهدأ ، منذ ظهر (نبى الهدى) صلى الله عليه وسلم ، ليضع هـذه (المبادرة) فى يد الانسان ، سواء تجسد هـذا الشيطان وثنيا ، أو صاحب دين محرف ، أو مسلما بعيدا عن اسلامه — أو منافقا ، وعلى المسلم المعاصر ألا يفهم معنى هـذه المبادرة ، (اقتتالا) على الرأى ، على طريق (الاجتهاد) ، بل (تعاونا) لاعلاء كلمة الله ، وكل المؤشرات تدل على أن هـذا (التعاون) بدأت تتبلور معالمه ، وتتجمع خيوطه ، بعد أن ظن (زبانية) الشيطان ، أنهم قد حققوا غايتهم ، وأنهم أجهزوا على الاسلام بالفعل .. وبدأ المؤمنون الموحدون،

---

(٥٦) ارجع الى ص ٢٩ ، ٣٠ من الكتاب .

يعرفون أعداءهم ، بعد أن سقطت الأقنعة عن وجوه الكثيرين منهم ، ليراهم المسلمون على حقيقتهم ، وغدا يأتى نصر الله مؤزرا ، ليفــرح به المؤمنون ، الواثقــون من نصر الله وتأييده :

ـ « انا لننصر رسلنــا والذين آمنــوا فى الحيــــاة الدنيــا ، ويوم يقــوم الأشــهاد • يوم لا ينفع الظــالمين معذرتهم ، ولهم اللعنـــة ، ولهم سوء الدار » (٥٧) •

ـ « ••• ويومئذ يفــرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشــاء ، وهو العــزيز الرحيم • وعد الله ، لا يخلف الله وعــده ؛ ولكن أكثر النــاس لا يعلمون » (٥٨) •

« صـــــدق الله العظيم »

---

(٥٧) قرآن كريم : غافر ــ ٤٠ : ٥١ ، ٥٢ .
(٥٨) قرآن كريم : الروم ــ ٣٠ : ٤ ــ ٦ .

مراجع الكتــاب

اولا : المراجع العربيــة :

١ ــ الدكتور ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية ، منهج وتطبيقه ــ الجزء الأول ــ من (مكتبة الدراسات الفلسفية) ــ الطبعة الثالثة ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٦ .

٢ ــ شيخ الاسلام ، ابن تيميــة (٦٦١ ــ ٧٢٨) : الجواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح ــ قدم له واشرف على طبعه : على الســيد صبح المدنى ــ الجــزء الأول ــ مكتبة المدنى ومطبعتها ــ جــدة (بدون تاريخ) .

٣ ــ ابن مسكويه : تهــذيب الأخلاق ، وتطهير الأعراق ــ حققه وشرح غريبه : ابن الخطيب ــ الطبعة الأولى ــ المطبعة العصرية ومكتبتها ــ ١٣٩٨ هـ .

٤ ــ ابو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية ــ نقله الى العربيــة : احمــد ادريس ــ الطبعة الأولى ــ المختار الاســلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٥ ــ ابو الأعلى المودودى : دور الطلبــة فى بنــاء مستقبل العــالم الاسلامى ــ دار الأنصار بالقاهرة ــ ١٩٧٧ .

٦ ــ ابو الأعلى المودودى : نحن والحضــارة الغربية ــ دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ) .

٧ ــ ابو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ــ الطبعة الثالثــة ــ المختــار الاســلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٨ ــ ابو الحسن النــدوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ــ الطبعة الرابعة ــ دار القلم بالكويت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

٩ ــ ابو الحسن النــدوى : ماذا خسر العــالم بانحطاط المسلمين ــ الطبعة العاشرة ــ مطابع على بن على ــ الدوحة ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

١٠ — ابو الحسن الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة ، فى الحكومات والبلاد الاسلامية — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٦ .

١١ — ابو الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجر العسقلانى (الحافظ) : فتح البارى ، بشرح البخارى — الجزء الثالث عشر — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر — ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م .

١٢ — ابو الفضل شهاب الدين احمد بن على بن حجر العسقلانى (الحافظ) : هدى السارى ، مقدمة فتح البارى — تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض — الطبعة الأولى — الجزء الأول — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر — ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .

١٣ — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الأول — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ٧٨ / ١٣٧٩ هـ .

١٤ — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الثالث — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨هـ .

١٥ — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الرابع — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨هـ .

١٦ — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء السابع — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ١٣٧٩/٧٨ هـ .

١٧ — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى : صحيح البخارى — الجزء الثامن — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب بالقاهرة — ٧٨ / ١٣٧٩ هـ .

١٨ — د. احمد ابو زيد : « التجربة الاسلامية — تمهيد » — عالم الفكر — مجلة دورية ، تصدر كل ثلاثة اشهر ، عن وزارة الاعلام فى الكويت — المجلد العاشر — العدد الثانى — يوليو — اغسطس — سبتمبر ١٩٧٩ — عدد ممتاز ، عن (التجربة الاسلامية) .

١٩ — الشيخ احمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى : الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه — الطبعة السابعة عشرة — دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

٢٠ — الدكتور احمد الشرباصى : الدين والمجتمع — المطبعة العربية — مصر — ١٩٧٠ .

٢١ — الدكتور احمد امين بك : المهدى والمهدوية — رقم (١٠٣) من سلسلة (اقرأ) — دار المعارف بمصر — اغسطس ١٩٥١ .

٢٢ — الدكتور احمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان امين — دار الشروق — ١٩٧٥ .

٢٣ — أدونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الاتباع والابداع عند العرب —١ (الأصول) — الطبعة الأولى — دار العودة — بيروت — ١٩٧٤ .

٢٤ — أدونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الاتباع والابداع عند العرب — ٢ (تأصيل الأصول) — الطبعة الثانية — دار العودة — بيروت — ١٩٧٩ .

٢٥ — استراتيجية مقترحة لمحو الأمية فى الوطن العربى (المجلد الثانى) — اعداد الدكتور عبد الفتاح جلال وآخرين — المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى — سرس الليان (مصر) — يناير ١٩٧٦ .

٢٦ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة العربية — الجزء الاول — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

٢٧ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثانى — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

٢٨ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات دار ومكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

٢٩ — الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره — بقلم محمد عمارة — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر ، بالقاهرة — ١٩٦٨ .

٣٠ — الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة — الجزء الثالث (الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ .

٣١ — البرت أشفيتسر : فلسفة الحضارة — ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى — مراجعة الدكتور زكى نجيب محمود — المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — مارس ١٩٦٣ .

٣٢ — البهى الخولى : الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظرية والتطبيق — مكتبة وهبة — القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٣ — البير كامى : المتمرد — ترجمها عن الفرنسية : عبد المنعم الحفنى — مطبعة الدار القومية (بدون تاريخ) .

٣٤ — الدومييلى : العلم عند العرب ، واثره فى تطور العلم العالمى — نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى — قام بمراجعته على الأصل الفرنسي : الدكتور حسين فوزى — جامعة الدول العربية — الادارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — القاهرة — ١٩٦٢ .

٣٥ — « الشخصية العربية ، والتحدى الحضارى » — تنظيم وتحرير د. سمير نعيم — **مجلة العلوم الاجتماعية** — فصلية اكاديمية علمية ، مختصة بالشؤون النظرية فى مختلف حقول العلوم الاجتماعية — جامعة الكويت — العدد الثانى — السنة الحادية عشرة — حزيران / يونيو ١٩٨٣ .

٣٦ — العبودية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨هـ) — مطبعة المدنى بالقاهرة — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

٣٧ — الفين توفلر : صدمة المستقبل (المتغيرات فى عالم الغد) — ترجمة محمد على ناصف — تقديم احمد كمال ابو المجد — دار نهضة مصر، للطبع والنشر — ١٩٧٤ .

٣٨ — القرآن الكريم ، ومعه صفوة البيان ، لمعانى القرآن ، لفضيلة الأستاذ ، الشيخ حسنين محمد مخلوف — الجزء الثانى — الطبعة الأولى — مطابع دار الكتاب العربى بمصر — ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦م .

٣٩ — المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — القاهرة — ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

٤٠ — الياس انطون الياس ، وادوار ا. الياس : القاموس العصرى ، عربى / انكليزى — الطبعة التاسعة — المطبعة العصرية بمصر — ١٩٧٠ .

٤١ — أنور الجندى : الاسلام والغرب — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٦ .

٤٢ — أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال ، فى ضوء الاسلام — رقم (١٦) من (الموسوعة الاسلامية العربية) — الطبعة الأولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٥ .

٤٣ — أنور الجندى : التفسير الاسلامى للفكر البشرى : الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة ، فى ضوء الاسلام — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٥ .

٤٤ — انيس منصور : طلع البدر علينا — الطبعة الأولى — المكتب المصرى الحديث — ١٩٧٥ .

٤٥ — اوضح التفاسير ، بقلم محمد محمد عبد اللطيف ، ابن الخطيب ، صاحب الفرقان — الطبعة الخامسة — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة — شعبان ١٣٧٥ — مارس ١٩٥٦ .

٤٦ — ب. ف. سكينر : تكنولوجيا السلوك الانسانى — ترجمة د. عبد القادر يوسف — مراجعة د. محمد رجا الدرينى — رقم (٣٢) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رمضان ١٤٠٠ هـ — اغسطس (آب) ١٩٨٠ م .

٤٧ — باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الأول — الطبعة الثانية — مطبعة الآداب بالنجف — العراق — ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م .

٤٨ — باقر شريف القرشى : حياة الامام موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، دراسة وتحليل — الجزء الثانى — الطبعة الثانية — مطبعة الآداب فى النجف الأشرف — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

٤٩ — الشيخ العلامة ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد العينى : عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى — المجلد الحادى عشر — الجزء الثانى والعشرون — دار الفكر — بيروت (بدون تاريخ) .

٥٠ — دكتور بهى الدين زيان : الغزالى ، ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية — الكتاب العاشر من سلسلة (قادة الفكر ، فى الشرق والغرب) — مكتبة نهضة مصر بالفجالة — اغسطس ١٩٥٨ .

٥١ — تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٢ (صورة الذات وتطلعات شعوب العالم) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ .

٥٢ — تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ٣ (التعبير) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ .

٥٣ — تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير ، القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ — الجزء الرابع — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م (بدون ناشر) .

٥٤ — سير توماس و. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية — ترجمه الى العربية وعلق عليه : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور عبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٧ .

٥٥ — ج. برونوفسكى : ارتقاء الانسان — ترجمة د. موفق شخاشيرو — مراجعة زهير الكرمى — رقم (٣٩) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — ٢٩ ربيع الثانى / جمادى الأولى ١٤٠١هـ — مارس (آذار) ١٩٨١ م .

٥٦ — دكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان — المجلد الثانى — عالم الكتب — سبتمبر ١٩٨١ .

٥٧ — جمهورية أفلاطون — ترجمة ودراسة الدكتور فؤاد زكريا — راجعها على الأصل اليونانى : الدكتور محمد سليم سالم — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ .

٥٨ — جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى — ترجمة وتقديم راشد البراوى — الطبعة الثالثة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٢ .

٥٩ — الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : دعاة ، لا قضاة (أبحاث فى العقيدة الاسلامية ، ومنهج الدعوة الى الله) — رقم (١) من (كتاب الدعوة) — دار الطباعة والنشر الاسلامية — القاهرة — ١٩٧٧ .

٦٠ — حسين فهمى مصطفى : « أضواء على اليابان » — **الكاتب** — مجلة المثقفين العرب — السنة الحادية عشرة — العدد ١١٨ — يناير ١٩٧١ .

٦١ — الدكتور حسين فوزى النجار : الاسلام والسياسة ، بحث فى أصول النظرية السياسية ونظام الحكم فى الاسلام — مطبوعات الشعب — ١٩٧٧ .

٦٢ — خالد محمد خالد : ابنـاء الرسول فى كربلاء — الطبعة الأولى — دار ومطابع الشعب — يونية ١٩٦٨ .

٦٣ — خليل طاهر : الأديان والانسان ، منذ مهبط آدم ، حتى : اليهودية — المسيحية — الاسلام — قدم له وراجعه : فضيلة الامام الأكبر ، الشيخ عبد الحليم محمود — دار الفكر والفن — القاهرة — ١٩٧٦ .

٦٤ — ديل كارنيجى : دع القلق ، وابدأ الحياة — تعريب عبد المنعم محمد الزيادى — الطبعة الخامسة — مؤسسة الخانجى بمصر (بدون تاريخ) .

٦٥ — الدكتور رشدى عليان : الاسلام والخلافة — الطبعة الأولى — مطبعة دار السلام — بغداد — ١٩٧٧ .

٦٦ — رينيه ديكارت : مقال عن المنهج — ترجمة محمود محمد الخضيرى — الطبعة الثانية — راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى — من (روائع الفكر الانسانى) — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — ١٩٦٨ .

٦٧ — دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر — الطبعة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ .

٦٨ — الدكتور زكى نجيب محمود : هـذا العصر وثقافته — الطبعة الأولى — دار الشروق — ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

٦٩ — سعد جمعة : الله ، أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٧٠ — سعيد حوى : جند الله ، ثقافة واخلاقا — من (دراسات منهجية هادفة فى البنـاء) — الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .

٧١ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : « الاسلام والتعريب » — **عالم الفكر** — مجلة دورية ، تصدر كل ثلاثة اشهر ، عن وزارة الإعلام فى الكويت — المجلد العاشر — العدد الثانى — يوليو — اغسطس — سبتمبر ١٩٧٩ — عدد ممتاز عن (التجربة الاسلامية) .

٧٢ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٣ .

٧٣ — سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية — باشراف دكتور ابو الفتوح رضوان — تقديم دكتور باهور لبيب — دار الكرنك ، للطبع والنشر والتوزيع — القاهرة — ١٩٦٣ .

٧٤ — الدكتور سيد احمد عثمان : المسئولية الاجتماعية ، والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

٧٥ — سيد امير على : روح الاسلام — نقله الى العربية : عمر الديراوى — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦١ .

٧٦ — الدكتور سيد حسين نصر : الاسلام ، اهدافه وحقائقه — الطبعة الأولى — الدار المتحدة للنشر — بيروت — ١٩٧٤ .

٧٧ — سيد قطب : التصوير الفنى فى القـرآن — دار الشروق (بدون تاريخ) .

٧٨ — سيد قطب : السلام العالمى ، والاسلام — الطبعة السادسة — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

٧٩ — سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى بمصر — ١٩٥٢ .

٨٠ — سيد قطب : المستقبل لهذا الدين — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

٨١ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول (الأجزاء ١ — ٤) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٨٢ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى (الأجزاء ٥ — ٧) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م .

٨٣ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٨٤ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع (الأجزاء ١٢ — ١٨)— الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٨٥ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الخامس (الأجزاء ١٩ — ٢٥) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٨٦ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس (الأجزاء ٢٦ — ٣٠) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م .

٨٧ — سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م (بدون ناشر) .

٨٨ — سيد قطب : نحو مجتمع اسلامى — الطبعة الثانية — دار الشروق— ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

٨٩ — سيد قطب : هـذا الدين — دار الشروق (بدون تاريخ) .

٩٠ — الدكتور شكرى محمد عياد : الحضارة العربية — رقم (١٧٢) من (المكتبة الثقافية) — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر بالقاهرة— أول ابريل ١٩٦٧ .

٩١ — طـه حسين : الشيخان — دار المعارف بمصر — ١٩٦٠ .

٩٢ — دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : الشخصية الاسلامية، دراسة قرآنية — الطبعة الثانية — دار العلم للملايين — بيروت — آيار (مايو) ١٩٧٧ .

٩٣ — عباس محمـود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ الى اليوم) — الطبعـة الخامسة — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ .

٩٤ — عباس محمود العقاد : ابو الشهداء ، الحسين بن على — العـدد رقم (٤) من (كتاب الهـلال) — سبتمبر ١٩٥١ .

٩٥ — عباس محمود العقـاد : الاسـلام فى القـرن العشرين ، حاضره ومستقبله — الطبعـة الثانية — دار الكتاب العـربى — بيروت — فبراير ١٩٦٩ .

٩٦ — عباس محمود العقاد : الانسان ، فى القـرآن الكريم — دارالاسلام— القـاهرة — ١٩٧٣ .

٩٧ — عباس محمـود العقـاد : الفلسفة القـرآنية — دار الاسـلام — القـاهرة — ١٩٧٣ .

٩٨ — عباس محمود العقاد : الله — مطابع الأهرام التجـارية — ١٩٧٢ .

٩٩ — عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، واباطيـل خصـومه — دار الاسلام — القـاهرة — ١٩٥٧ .

١٠٠ — عباس محمود العقاد : عبقرية الامام — رقـم (١١٣) من سلسلة (اقـرأ) — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

١٠١ — عباس محمود العقاد : عبقرية الصديق — جمهورية مصر العربية— وزارة التربية والتعليم — ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .

١٠٢ — عباس محمود العقاد : عبقـرية عمـر — الجمهورية العربيـة المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .

١٠٣ — عباس محمود العقاد : عبقـرية محمد — دار الكتب الحديثة — القـاهرة — ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م .

١٠٤ — عباس محمـود العقاد : ما يقال عن الاسلام — دار الهـلال بمصر — ١٩٧٠ .

١٠٥ — عباس محمود العقاد : محمد عبـده — الجمهورية العربية المتحدة— وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .

١٠٦ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن : أصـول البحث الاجتماعى — الطبعة الثانية — لجنة البيـان العربى — ١٩٦٦ .

١٠٧ — عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الاسلامية ، فى الحديث الشريف — الكتاب الخامس من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٣ .

١٠٨ — الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوى : المراجعات — مؤسسة الأعلمى للمطبوعات — بيروت — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

١٠٩ — الدكتور عبد الحليم محمود : منهج الاصلاح الاسلامى فى المجتمع — مطبوعات دار الشعب بالقاهرة — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

١١٠ — دكتور عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية ، مذهب وتطبيق — دار المعارف — ١٩٧٩ .

١١١ — عبد الحميد كشك : بناء النفوس ، واثره فى التربية — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م (بدون ناشر) .

١١٢ — الدكتور عبد الدايم ابو العطا البقرى الأنصارى : اهداف الفلسفة الاسلامية ، نشأتها وتطورها — دار الفكر العربى بالقاهرة — ١٩٤٨ .

١١٣ — عبد الرحمن النجار : كلمات على طريق الايمان — رقم (١٢٩) من (دراسات فى الاسلام) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — السنة الحادية عشرة — ١٣٩١هـ — ١٩٧٢ م .

١١٤ — عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، تاريخنا القومى فى سبع سنوات (١٩٥٢ — ١٩٥٩) — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٩ .

١١٥ — العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر — المطبعة الشرفية — القاهرة — ١٣٢٧ هـ .

١١٦ — عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن أبى الديبع الشيبانى : تيسير الوصول ، الى جامع الأصول ، من حديث الرسول — الجزء الثالث — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر (بدون تاريخ) .

١١٧ — عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة — الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

١١٨ — عبد الرزاق نوفل : الاعجاز العددى ، للقــرآن الكريم — الطبعة الثانيــة — مطبوعات الشعب — ١٩٧٥ .

١١٩ — عبد الرزاق نوفل : الله ، والعلم الحديث — الناشرون العــرب — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧١ .

١٢٠ — دكتور عبد الصبور شاهين : المنهج الصــوتى ، للبنية العربيــة (رؤية جديدة ، فى الصرف العربى) — الطبعة الأولى — مكتبــة دار العلوم — القــاهرة — ١٣٩٧ — ١٩٧٧ .

١٢١ — دكتور عبد الصبور شاهين : فى علم اللغــة العــام — الطبعــة الثالثة — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م (بدون ناشر) .

١٢٢ — الدكتور عبد العزيز الخياط : المجتمــع المتكافل فى الاســلام — مؤسسة الرسالة ، ومكتبة الأقصى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م .

١٢٣ — الدكتور عبد العزيز كامل : دروس من غزوة احد — الجزء الثانى من (الدين والحياة) — الطبعة الأولى — الأمانة العــامة للاتحــاد الاشتراكى العربى (أمانة الدعوة والفكر) — رقم (٧) — القاهرة — ١٩٦٨ .

١٢٤ — دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ .

١٢٥ — دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية . مدخل لدراســة التربيــة المقــارنة — الطبعــة الثالثة — دار الفكر العــربى — ١٩٨٠ .

١٢٦ — دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١٢٧ — دكتور عبد الغنى عبــود : الحضارة الاســلامية ، والحضــارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسلام وتحــديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ .

١٢٨ — دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعــاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة (الاسلام وتحــديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٨١ .

١٢٩ — دكتور عبد الغنى عبـود : العقيـدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الثانية — دار الفكر العـربى — ١٩٨٠ .

١٣٠ — دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الثانية — دارالفكر العـربى — ١٩٨١ .

١٣١ — دكتور عبد الغنى عبود : المسيح والمسيحية والاسلام — الكتاب الرابع عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعـة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٨٤ .

١٣٢ — دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسـلام — الكتاب الثالث عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعـة الأولى — دار الفكر العربى — اكتوبر ١٩٨٢ .

١٣٣ — دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله والحيـاة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعةالأولى — دار الفكر العـربى — سبتمبر ١٩٧٨ .

١٣٤ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨

١٣٥ — دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى — الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العـربى — يناير ١٩٧٩ .

١٣٦ — الشهيد عبد القـادر عودة : الاسلام بين جهل ابنائه ، وعجـز علمـائه — المختار الاسلامى ، للطبـاعة والنشر والتـوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

١٣٧ — عبد الكريم الخطيب : الله .. ذاتا وموضوعا ، قضية الألوهيـة ، بين الفلسفة والدين — الطبعة الثانيـة — دار الفكر العربى — ١٩٧١ .

١٣٨ — عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ، والغزالى بوجه خاص — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة — ١٩٦٣ .

١٣٩ — الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ : مختصر سيرة الرسول ، صلى الله عليه وسلم — نشره محب قصى الدين الخطيب — الطبعـة الثانية — المطبعـة السلفية ومكتبتها بمصر — ١٣٩٦ هـ .

١٤٠ — الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ .

١٤١ — عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر (١٠٠ هـ — ١٣٧٠ هـ) — الطبعة الثانية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر — ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .

١٤٢ — الدكتور عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ .

١٤٣ — د. على خليفة الكوارى : دور المشروعات العامة ، فى التنمية الاقتصادية — رقم (٤٢) من سلسلة (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رجب / شعبان (١٤٠١ هـ — يونية (حزيران) ١٩٨١ م .

١٤٤ — الدكتور على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ، واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الاسلامى — من (المكتبة الفلسفية) — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر — ١٩٦٧ .

١٤٥ — على محمد راضى : عصر الاسلام الذهبى ، المأمون العباسى — العدد (٧) من (مذاهب وشخصيات) — الدار القومية ، للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

١٤٦ — د. عون الشريف قاسم : « الجذور الفكرية ، للمجتمع المسلم » — المسلم المعاصر — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد الثالث — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ .

١٤٧ — الدكتور فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، أهميتها للبلدان العربية » — فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد — دائرة التربية ، فى الجامعة الأمريكية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ .

١٤٨ — الدكتور فهمى جدعان : أسس التقدم عند مفكرى الاسلام ، فى العالم العربى الحديث — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٩ .

١٤٩ — قرآن كريم .

١٥٠ — قسطنطين زريق : نحن والمستقبل — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — شباط (فبراير) ١٩٧٧ .

١٥١ — « كتاب المرشد الأمين ، للبنات والبنين » — من : **الأعمال الكاملة ، لرفاعة رافع الطهطاوى** — دراسة وتحقيق محمد عمارة — الجزء الثانى (السياسة والوطنية ، والعربية) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر — بيروت — تشرين أول (اكتوبر) ١٩٧٧ .

١٥٢ — كتاب المصاحف ، للحافظ أبى بكر ، عبد الله بن أبى داود بن سليمان ابن الأشعث السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ هـ — صححه ووقف على طبعه : الدكتور آثر جفرى — الطبعة الأولى — مكتبة المثنى ببغداد — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

١٥٣ — كولن ويلسون : ما بعد اللامنتمى « فلسفة المستقبل » — نقلها الى العربية : يوسف شرورو ، وعمر يمق — الطبعة الأولى — منشورات دار الأدب — بيروت — نيسان (ابريل) ١٩٦٥ .

١٥٤ — ماركوف : مشكلة التغذية ، وسياسة الامبريالية — دار التقدم — موسكو — ١٩٧٥ .

١٥٥ — مالك بن نبى : المسلم فى عالم الاقتصاد — دار الشروق — ١٩٧٢ .

١٥٦ — محمد ابو زهرة : ابن حنبل (حياته وعصره — آراؤه وفقهه) — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

١٥٧ — الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، فى السياسة والعقائد ، وتاريخ المذاهب الفقهية — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

١٥٨ — الامام محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية — الجزء الثانى — فى تاريخ المذاهب الفقهية — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

١٥٩ — الامام محمد ابو زهرة : فى المجتمع الاسلامى — دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

١٦٠ — محمد اسد : منهاج الاسلام فى الحكم — نقله الى العربية : منصور محمد ماضى — الطبعة الثانية — دار العلم للملايين — بيروت — كانون الثانى ١٩٦٤ .

١٦١ — الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — القاهرة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

١٦٢ — الدكتور محمد البهى : الاسلام فى حياة المسلم — الطبعة الخامسة — مكتبة وهبة — القاهرة — رجب ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٦٣ — الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى ، والمجتمع المعاصر (مشكلات الحكم والتوجيه) — الطبعة الثانية — دار الكتاب اللبنانى — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

١٦٤ — محمد الحسنى : الاسلام الممتحن — تقديم المفكر الاسلامى الكبير ، ابو الحسن الندوى — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٦٥ — محمد الصادق عرجون : الموسوعة فى سماحة الاسلام — المجلد الأول — مؤسسة سجل العرب — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

١٦٦ — محمد الغزالى : فقه السيرة — مطابع على بن على — الدوحة — قطر (بدون تاريخ) .

١٦٧ — محمد الغزالى : هموم داعية — الطبعة الأولى — دار الحرمين للطباعة والنشر — توزيع دار الاعتصام — القاهرة — ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م .

١٦٨ — الدكتور محمد بيصار : العقيدة والأخلاق ، واثرهما فى حياة الفرد والمجتمع — الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٠ .

١٦٩ — د. محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (١٩٣٠ — ١٩٧٠) — رقم (٣٥) من سلسلة (عالم المعرفة) — المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — ذو الحجة ١٤٠٠ هـ / المحرم ١٤٠١ هـ — نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠ .

١٧٠ — الدكتور محمد حسين هيكل : الحكومة الاسلامية — دار المعارف بمصر — ١٩٧٧ .

١٧١ — الدكتور محمد عبد الغنى حسن : ابن الرومى — رقم (١١) من (نوابغ الفكر العربى) — الطبعة الثالثة — دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

١٧٢ — الدكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية ، فى القــرآن — تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية — بيروت — ١٩٧٤ .

١٧٣ — الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية — من(مكتبة الدراسات الفلسفية) — دار المعــارف بمصر — ١٩٦٩ .

١٧٤ — الدكتور محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة ، فى البــلاد النامية — الدار التونسية للنشر — ١٩٦٨ .

١٧٥ — الدكتور محمد فاضل الجمالى : تربيــة الانسان الجديد (محاضرات فى مبادىء التربيــة ، ألقيت فى الجامعــة التونســية) — الشركة التونسية للتوزيع — ١٩٦٧ .

١٧٦ — محمد فاضــل الجمــالى : دعوة الى الاسلام (رسائل من والد فى السجن الى ولده) — الطبعــة الأولى — منشورات دار الكتــاب اللبنــانى ، للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٦٣ .

١٧٧ — الدكتور محمد فاضــل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى ، فى العــالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٢ .

١٧٨ — الدكتور محمد فريد أبو حديد : « فلسفة تربوية متجددة ، وكيفية تطبيقها فى المنهج والأسلوب والتقييم والامتحان » — فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد — دائرة التربية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ .

١٧٩ — محمد قطب : الانسان بين المــادية والاسلام — الطبعة الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٨٠ — محمد قطب : التطور والثبات ، فى حياة البشر — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م .

١٨١ — محمد قطب : دراسات قرآنيــة — دار الشروق (بدون تاريخ) .

١٨٢ — محمد قطب : قبسات من الرسول — الطبعة الثانية — دار الشروق (بدون تاريخ) .

١٨٣ — فضيلة الشيخ ، محمد متولى الشعراوى : القضــاء والقــدر ، معجزات الرسول ، اعجاز القــرآن ، مكانة المرأة فى الاســلام — اعداد وتقــديم احمــد فراج — الطبعة الثانية — دار الشروق — سبتمبر ١٩٧٥ .

١٨٤ — دكتور محمود محمد مزروعة : دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان — ١٩٧٩ (بدون ناشر) .

١٨٥ — مختار الصحاح ، للشيخ الامام ، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر — ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م .

١٨٦ — الدكتور مصطفى الرافعى : حضارة العرب ، فى العصور الاسلامية الزاهرة — الطبعة الثانية — دار الكتاب اللبنانى ، للطباعة والنشر — ١٩٦٨ .

١٨٧ — الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، فى البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين التى ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى — الطبعة الخامسة — ١٩٧٣ (بدون ناشر) .

١٨٨ — مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم — الجزء الثانى — الطبعة السابعة — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة (بدون تاريخ) .

١٨٩ — مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم — الجزء الثالث — الطبعة السابعة — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة (بدون تاريخ) .

١٩٠ — د. مصطفى كمال وصفى : « الفكرة الأخلاقية ، بين القانون والشريعة الاسلامية » — المسلم المعاصر — فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد العاشر — ابريل — مايو — يونيو ١٩٧٧ .

١٩١ — الدكتور مصطفى كمال وصفى : محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبنو اسرائيل — من مطبوعات (لجنة الخبراء) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

١٩٢ — مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصرى للقرآن — الطبعة الثالثة — دار الشروق — بيروت — ١٩٧٣ .

١٩٣ — مصطفى محمود : من اسرار القرآن — العدد (١١٥) من (كتاب اليوم) — مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة — سبتمبر ١٩٧٦ .

١٩٤ — معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس — تاليف حجة الاسلام ، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى — الطبعة الثانية — منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت — ١٩٧٥ .

١٩٥ — مقداد يالجن : الاتجـاه الأخلاقي في الاسلام (دراسة مقارنة) — الطبعة الأولى — مكتبة الخانجي بمصر — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٣ م .

١٩٦ — الدكتـور مهدي بن عبود : عقيدة الاسلام ، ايديولوجية المستقبل.. الطبعة الأولى — المختار الاسلامي — القـاهرة — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

١٩٧ — نورمان بريل : بزوغ العقل البشري — ترجمة وتقـديم اسماعيل حقى — مكتبة نهضة مصر ومطبعتها — ١٩٦٤ .

١٩٨ — هـ. أ. ر. جب وآخرون : وجهة الاسلام ، نظـرة في الحـركات الحديثة في العـالم الاسلامي — اشرف على تحريره الأستاذ (جب)— ونقله عن الانجليزية : محمد عبد الهـادي أبو ريدة — المطبعـة الاسلامية — القاهرة — ١٩٣٤ .

١٩٩ — وحيـد الدين خان : الاسلام يتحـدى ، مدخل علمي الى الايمان— ترجمة ظفر الاسلام خان — مراجعة وتقديم دكتور عبد الصـبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الاسلامي — ١٩٧٤ .

٢٠٠ — وحيد الدين خان : المسلمون ، بين المـاضي والحاضر والمستقبل— ترجمـة ظفر الاسلام خان — مراجعـة د. عبد الحليم عويس ، الطبعة العربية الأولى — المختـار الاســلامي ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ .

٢٠١ — وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته — ترجمـة ظفر الاسلام خان — الطبعة الأولى — المختار الاسلامي ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٣ .

٢٠٢ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول (نشأة الحضارة) — ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود — الادارة الثقافية ، في جامعـة الدول العربية — لجنـة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ .

٢٠٣ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثاني ، من المجلد الثاني (حيـاة اليونان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، في جامعة الدول العربية — لجنة التـأليف والترجمة والنشر (بدون تاريخ) .

٢٠٤ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الثالث ، من المجلد الثاني (حياة اليونان) — ترجمـة محمـد بدران — الادارة الثقافية ، في جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٤ .

٢٠٥ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — الادارة الثقافية، فى جامعة الدول العربيــة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ .

٢٠٦ — ول ديورانت : قصـــة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) — ترجمـــة محمـــد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعـــة الدول العربيـــة — لجنة التأليف والترجمـــة والنشر — ١٩٥٦ .

٢٠٧ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجـــلد الرابع (١٦) (عصر الايمان) — ترجمـــة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنـــة التأليف والترجمـــة والنشر (بدون تاريخ) .

٢٠٨ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربيـــة فى العصـــور القـــديمة ، دراســـة تاريخية مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ .

٢٠٩ — الدكتور وهيب ابراهيم ســـمعان : الثقافة والتربية فى العصـــور الوسطى ، دراســـة تاريخيـــة مقارنة — دراسات فى التربية — دار المعـــارف بمصر — ١٩٦٢ .

٢١٠ — الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المسلم (التكوين الأساسى) — المكتبة العصرية — صيدا — بيروت (بدون تاريخ) .

٢١١ — الدكتور يوسف القرضاوى : الايمـــان والحيـــاة — الطبعة الثانية — مكتبـــة وهبـــة — القاهرة — ١٩٧٣ .

٢١٢ — الدكتور يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للاسلام — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة — القـــاهرة — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 — ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur-an, Text, Translation and Commentary, Volume Two ; Hafner Publishing Company, New - York, U.S.A., 1946.

2 — AL - NAHDA DICTIONARY, English - Arabic, Compiled by : ISMAIL MAZHAR, Revised by : MOHAMMAD BADRAN and I. ZAKI KHORSHID, Volume Two ; First Edition, The Renaissance Bookshop (Without date).

3 — AL QUADIRRE, ATAWOOLLAH ALI SARFARAZ KHAN JOOMAL : The Path of Islam ; The World Federation of Islamic Missions, South African Branch (Without date).

4 — DEWEY, JOHN :Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education ; The Macmillan Company, New - York, 1916.

5 — DEWEY, JOHN : Education To - day ; G.P. Putman's Sons, New - York, 1940.

6 — GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Instituion ; The Macmillan Company, New - York, 1923.

7 — HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958.

8 — HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance ; Goerge G. Harrap & Company, Ltd, London, 1928.

9 — MODAWI, ALI KHALID : A Theoretical Basis For Islamic Education ; Thesis Submitted to the Unversity of Wales, in Candidature for the Degree of Philosophiae Doctor, April 1977.

10 — KHALIFA, RASHAD : Miracle of the Quran, Significance of the Mysterious Alphabets ; Islamic Production International, Inc., St Louis, Missouri, U.S.A., 1973.

11 — NAYAR, D.P. : «Educations as Investment» — EDUCATION AS INVESTMENT, Edited by : BALJIT SINGH ; Meanakshi Prakashan, Meerut, India, 1967.

12 — SAISSE, L. & CHEHATA I. : Vocabulaire Francais - Arabe ; Longman, Green and Co., London, New-York, 1951.

13 — The Concise Oxford Dictionary, of Current English, Edited by : H. W. FOWLER and F. G. FOWLER, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959.

14 — WEST, MICHAEL PHILIP and ENDICOTT, JAMES GARETH : The New Method English Dictionary ; Twenty-fourth Impression, with Illustrations ; Longman Group Ltd., London, 1976.

للمؤلف

أولا : من كتب التربية :

١ ـ **فى التربية المقارنة** ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ (مع الدكتورة نازلى صالح) .

٢ ـ **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ ـ **نحو فلسفة عربية للتربية** ـ دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النورى) ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ ـ **فى التربية الاسلامية** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ .

٥ ـ **فى التربية المعاصرة** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع) .

٦ ـ **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ .

٧ ـ **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ .

٨ ـ **البحث فى التربية** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٩ .

٩ ـ **التربية ومشكلات المجتمع** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٠ .

١٠ ـ **الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته (أيها الولد)** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٢ .

١١ ـ **فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته** (مع الدكاترة : حسن عبد العال ، وعلى خليل ، وشوقى ضيف) ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٢ .

١٢ ـ **التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى** ـ ١٩٨٢ .

١٣ ـ **التربية الاسلامية وتحديات العصر** (تحت الطبع) .

ثانيــا : كتب سلسلة (الاســـلام وتحــديات العصر)
(وتصدرها كلهــا : دار الفكر العــربى)

١ — **العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة** — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ — **الله والانسان المعــاصر** — الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعــة الثانيــة ١٩٨١ .

٣ — **الاســلام والكون** — الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانيــة ١٩٨١ .

٤ — **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر** — يناير ١٩٧٨ .

٥ — **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** — يونية ١٩٧٨ .

٦ — **انبياء الله ، والحياة المعاصرة** سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ — **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** — يناير ١٩٧٩ .

٨ — **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** — يونية ١٩٧٩ .

٩ — **الملامح العــامة ، للمجتمع الاســلامى** — فبراير ١٩٨٠ .

١٠ — **ديناميات المجتمع الاسلامى** — يونية ١٩٨٠ .

١١ — **الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة** — فبراير ١٩٨١ .

١٢ — **الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة** — يونية ١٩٨١ .

١٣ — **اليهود ، واليهودية ، والاسلام** — يونية ١٩٨٢ .

١٤ — **المسيح ، والمسيحية والاسلام** — يناير ١٩٨٤ .

١٥ — **المسلمون وتحديات العصر** — مايو ١٩٨٥ .

ثالثا : كتب يقـدم لهـا المؤلف
(سلسلة مكتبـة التربيـة الاسلامية)
(وتصـدرها : دار الفكر العـربى)

١ — **التربيـة الاسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى** ، تاليف حسن عبد العـال — ١٩٧٨ .

٢ — **فلسفة التربية الاسلامية ، فى القـرآن الكريم** ، تاليف : على خليـل — ١٩٨٠ .

٣ — **نظام التربيـة الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر** ، تاليف : على سالم النباهين — ١٩٨١ .

٤ — **تاريخ التعليم فى الأندلس** ، تاليف : الدكتـور محمد عيسى — ١٩٨١ .

٥ — **فلسفة التربيـة الاسلامية ، فى الحـديث الشريف** ، تاليف : عبد الجواد السيد بكر — ١٩٨٣ .

٦ — **الفكر التربوى فى كتابات الجاحظ** ، تاليف : محمد سعد القزاز (تحت الطبع) .

رقم الايداع
١٩٨٥ / ٣٩٩٤